
المختار
من
ريدرز دايجست

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ السابع عشر (الخامس من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

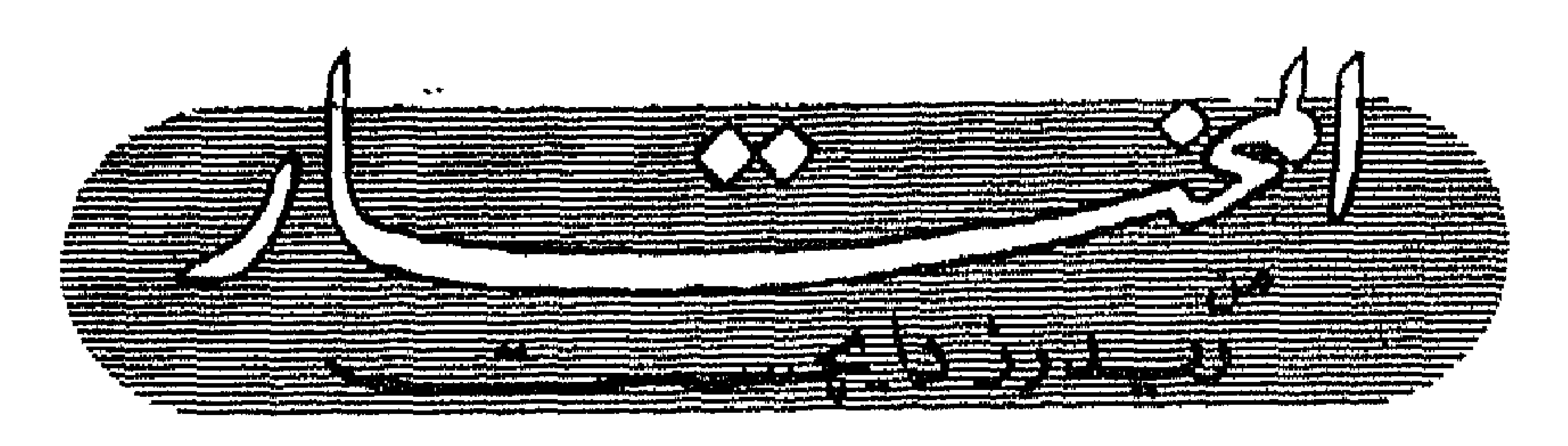
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون .



كتاب فيه لكل يوم مقالة بحكمة الإيجاز باقية الأثر

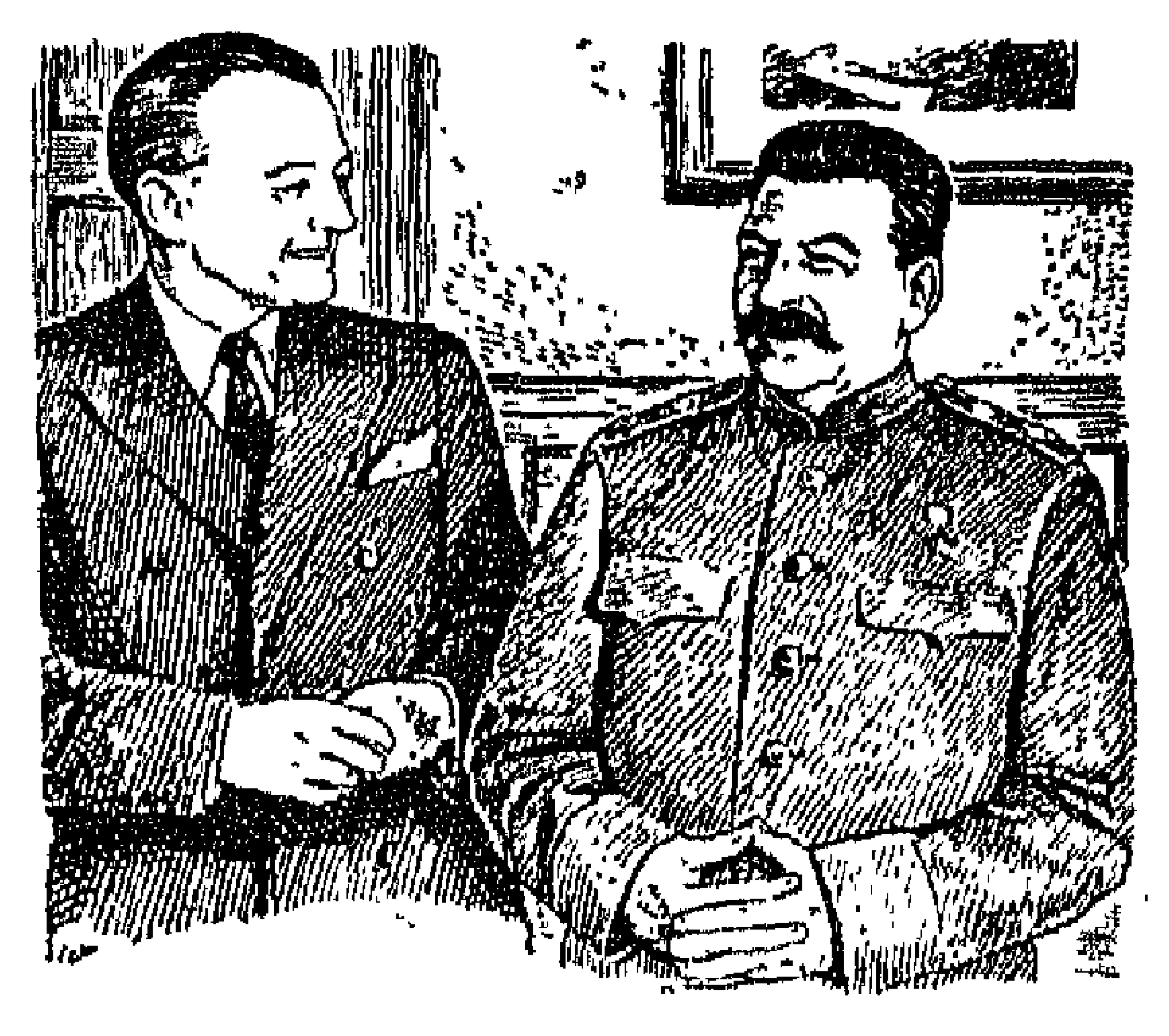
السنة الثانية • يناير ١٩٤٥ • المجلد ٣ العدد ١٧

حديث مع جوزيف ستالين

إريك جونستون
رئيس الغرفة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية

ما يعرفه العالم عن روسيا قليل، وما يفهمه من شئونها أقل من القليل، في حين ينبغي للناس أن يعرفوا عنها أكثر مما يعرفون، وأن يفهموها أكثر مما يفهمون. وإني لأعترف بأن ما أعرف وأدرك من أمورها نزر يسير، فإنها بلاد واسعة مترامية الأطراف، كثيرة التعقيد، شديدة الغرابة. ثم إن للأمم الأخرى أسلوباً في التفكير يختلف عن أسلوبها.

وقد قطعت عشرة آلاف من الأميال في ستة أسابيع قضيتها ضيفاً على الحكومة، مرتحلا أجوس خلال الأراضي السوفيتية، عرفت كثيراً، والذي نبذت مما كنت أعرفه كثير. وقد وجدت «خبراء» الجالية الأجنبية في موسكو يختلفون حتى على أبسط المسائل. على أنه من الإنصاف أن أسلم بأنه قلما تتاح لهم فرصة الاطلاع الصحيح، إذ قلما يسمح لهم بالخروج من موسكو.



ظفر إريك جونستون، خلال رحلته الحديثة في روسيا، بما لم يظفر به أحد. فقابل ستالين مقابلة خاصة في الكرملين دامت ثلاث ساعات، وجرى بينهما حديث صريح يرويه المستر جونستون في هذا المقال.

فإذا حاولنا أن نعرف روسيا وجب علينا أن نعرف رجلا واحداً يتكلم ويعمل من أجل شعب الاتحاد السوفيتي، وهو أقوى شخص في العالم اليوم، ومع ذلك لا يعرفه العالم إلا معرفة يسيرة، ألا وهو المارشال جوزيف ستالين.

وحتى المقابلات القليلة التى أتاحها للأجانب قلما نشر مما يدور فيها من الأحاديث إلا النزر الأقل ، فكان من جراء ذلك الضباب المتكاثف من الإشاعات والشكوك والمبالغات أن أصبح : « الرجلَ الغامض الأول ! »

وقد قضيت زهاء ثلاث ساعات مع ستالين فى جناحه بقصر الكرملين ، وأعتقد أنه من الخير ، لكى يستنير الرأى العام ، أن أخرج على السنة الجارية وأروى طرفاً من الموضوعات التى تناولها الحديث . وقد كان موعد المقابلة فى الساعة التاسعة مساء ، لأن العمل يقل فى الكرملين أثناء النهار ، ولكن أنواره تسطع متلألئة طول الليل .

استقبلنى أنا والسفير الأمريكى مستر أفريل هاريمان ومساعده مستر إدوارد بيدج ، فى البناء الذى فيه جناح المارشال ستالين ، عدد من كبار ضباط الجيش . وبعد تبادل التحيات المألوفة قادونا إلى حيث هبطنا فى ممر دائر أبيض . كانت الأرض مصقولة لامعة ، وفى وسطها بساط ممدود من المخمل ، وكان سقف الممر ناعماً صقيلا مزوداً بالأنوار المستورة . ولم يكن ثم من مظاهر الزينة سوى رجال أيقاظ من الحرس عند كل منحنى ، وليس بينهم من تقل رتبته عن « ميجور » .

وسرعان ما دخلنا غرفة للانتظار ، ورميت ببصرى إلى ساعة كهربائية على الحائط ، وساءلت نفسى إلى متى يمتد بنا الانتظار ، فقد علمتنى تجاربى أن من دأب رؤساء الدول أن لا يحفظوا المواعيد . ولكن الباب فتح فى الساعة التاسعة بالضبط وقال أحد ضباط الجيش الأحمر بصوت مرتفع : « المارشال ستالين يستقبلكم الآن » .

الرجـــل

وقادنا الرجل فدخلنا من بابين مطابقين بينهما ١٨ بوصة ــ توقياً لاستراق السمع ــ ودخلنا غرفة رحبة مستطيلة ، ورمقت ببصرى رجلين قد وقفا فى طرفها الأقصى ، وكنت قد قابلت أحدهما قبل ذلك ، وهو قوميسار الشعب للشئون الخارجية ــ مستر مولوتوف .

وكان الرجل الذى على يساره هو المارشال ستالين . أفتراه ابتسم لنا ونحن نجتاز الغرفة ؟

إن ستالين أكبر سناً مما يبدو فى أية صورة من صوره التى تزين المكاتب والمصانع والأماكن العامة فى الاتحاد السوفيتى ، قد شمط شعر رأسه وخف ، ووخط المشيب حاجبيه الأسودين الكثيفين وشاربه الكث .

وستالين قصير يكاد أعلى رأسه يمس شحمة أذنى ــ ولكنه ضخم الصدر مستديره ، قصير الساقين . وكانت حلته الرسمية متقنة التفصيل ، وإن كان الكمان مفرطين فى

الطول حتى ليكادان يتدليان إلى أطراف أصابعه . وكانت الحلة مصنوعة من القماش « الكاكى » الناعم الجميل ، وقد وشيت أطرافها بالشريط الرفيع الأحمر ، وعلى الكتفين شريطتان عريضتان مذهبتان أعلاهما شارة براقة ضخمة — هى شارة المارشالية . وكان يحمل وساماً واحداً ، وهو نجمة من الذهب معلقة فى شريط أحمر — « بطل العمل السوفيتى » . وكان بنطلونه المكوى مثبتاً فى حذاء روسى أسود شديد اللمعان .

وتم تقديمنا إليه ، وكانت مصافحته عادية ، ولكنه ألقى على بعينيه الرماديتين نظرة سريعة فاحصة ، ثم أشار بإجلاسى عند طرف مائدة طويلة مغطاة بقماش أخضر ، يحيط بها نحو ٣٥ كرسياً من خشب الكابلى (الموجان) . ودار فجلس إزائى ، فأثارت فى ذهنى مشيته وطول ذراعيه صورة الدب القطبى حين يمشى قائماً على خلفيتيه ! وكان إلى يمينه مستر مولوتوف ، وإلى يسارى مستر هاريمان ومستر بيدج ، وجلس المترجم الرسمى لوزارة الخارجية مستر بافلوف فى طرف المائدة .

وحينئذ أتيح لى أن أظفر بنظرة أوفى إلى الغرفة . فبهذه المائدة الكبيرة التى يكاد يبلغ طولها ثلاثين قدماً تشغل حيزاً كبيراً منها ، وفى أحد الأركان مكتب المارشال ستالين الضخم ومقعده المنجد الفخم . وعلى الأرض بساط طويل أحمر ، وقد غطيت الجدران بخشب قاتم إلى ارتفاع ثلاث أقدام ونصف قدم تقريباً ، ويليه طلاء بين البياض والصفرة يصل إلى السقف الأبيض الذى يتلألأ بالضوء المستور . كانت الغرفة غنية بأجود المواد وأبسط آيات الذوق السليم ، وكان أثاثها يلمع كالمرايا الساطعة .

ولم يكد المارشال ستالين يتخذ مقعده حتى تناول قلماً أحمر من الرصاص وراح يرسم به عابثاً فى مفكرة من الورق الأبيض الكبير . وقد ظل خلال الحديث يرسم ذئابا ، ونساء ، وقصوراً ، وأشكالا هندسية حتى تمتلىء الصفحة ، فيطويها بعناية من أسفلها إلى أعلاها ، ثم يستأنف الرسم ، ثم يعيد ذلك ، حتى تصبح الورقة شريطاً ضيقاً لكثرة الطى ، فيرميها ويبدأ فى ورقة أخرى من جديد . وقد لاحظت أن يديه مربعتان قويتان ، وأظافره مقلمة ومطرّفة . ولم ينظر إلىّ ، بل بدا شارد اللب اهتماماً بالرسوم التى يخطها فى الورق .

أما مولوتوف فكان يدخن ويحدق فى وجهى ، وله وجه مربع غامض السمات كأنه رئيس قبيلة من قبائل الهنود الحمر ، وكانت عيناه الزرقاوان اللتان لم تكفا عن

التحديق في لحظة واحدة ، واسعتين كعيون الدمى المصنوعة من الخزف الصيني .

ثلاثون دقيقة بلا نظرة

وكانت فترة ثقيلة محرجة ، فلما لم يبدأ أحد الحديث رأيت أن أبدأه (وأنا أنقل المحادثة التالية من مذكرات دونتها في الغداة اثناء طيراني إلى سيبريا) .

بدأت بإبلاغ المارشال ستالين تحيات عدة رجال من أهل أمريكا .

فقال ستالين وهو بعد مستمر في رسمه : « أشكرك » .

ورغب إلي كذلك في أن أحمل إلى هؤلاء الناس أطيب أمانيه . ولما جاء ذكر أحد أساطين الصناعة الأمريكية قال : رعاه الله .

وقلت بعد ذلك إنني أود أن أعرب عن شكري لما لقيت من ترحيب ومجاملة في الاتحاد السوفيتي ، وشعوري بأن زياراتي للصناعات السوفيتية كانت ممتعة ومفيدة في وقت واحد . فقال وهو يحدق في المائدة ويرسم عابثاً دون أن ينظر فيما يرسم : « ولم ذلك ؟ إن الصناعة الأمريكية من غير شك أكثر إمتاعاً » .

وبدأ يداخلني الشعور بأن الأمور ربما كانت تسير على غير ما يرام . فأجبت : « ربما كان ذلك صحيحاً من وجهة النظر الروسية ، ولكننا في الولايات المتحدة نتوق إلى أن نعرف من دراستنا المباشرة مدى التقدم الذي بلغتموه » .

فقال المارشال : « إن الولايات المتحدة قد أسدت إلى الصناعة السوفيتية عوناً عظيماً ، وفي الاتحاد السوفيتي مصانع كبيرة أنشئت بالمعونة الأمريكية أو استعين في إنشائها بالخبرة الأمريكية » .

فقلت : « لقد لاحظت ذلك يا مارشال ستالين ، وقد رأيت بالفعل آلات أمريكية ، وأساليب أمريكية ، وخططاً أمريكية . وأنتم قد استعنتم بكثير من خبرة مهندسي الإنتاج الأمريكيين » .

ثم استطردت قائلا : « ولكنكم ما زلتم تهدرون كثيراً من الجهود البشرية ، ففي مدنكم المكتظة بسكانها اكتظاظاً مروعاً رأيت صفوفاً طويلة من الناس تقف لتشتري الطعام ، وفي ذلك إهدار لنشاط بشري لستم في غنى عنه . وأنتم في حاجة إلى تحسين نظام التوزيع لتحسين مستوى الكفاية والإنتاج . لقد استخدمتم خبراء أمريكيين في الإنتاج ، ولكنكم في حاجة إلى المشورة الفنية الأمريكية في التوزيع . وإن عدداً قليلا من خبرائنا في المخازن المسلسلة . . »

فقاطعني ستالين دون أن يرفع رأسه قائلا : « وما هي المخازن المسلسلة ؟ » .

فبينت له أنه نظام يتيح شراء البضائع جملة وتوزيعها جملة على سلسلة فروعها .

فأومأ برأسه وقال : « ولكن لا يكون توزيع ، حتى يكون هناك شيء يوزع » .

فقلت : « سيكون لديكم بعد الحرب ما توزعونه » .

فسألنى : « وأنى لك علم هذا ؟ » .

ولم أستطع أن أتبين ماذا عسى أن يكون الرسم الذى يخرج من قلمه العابث .

قلت : « لأن إنتاج بضائع المستهلك يزداد دائماً بعد الحروب . ولعلك تذكر أنه على أثر حروب نابليون حسب كثير من الإنجليز أن بلادهم قد منيت بالدمار ، على حين كانت إنجلترا فى الواقع على عتبة عهد من الرخاء منقطع النظير دام قرناً من الزمان ، لم يكد يقع فيه ما يعكر صفو السلام . فإذا أتيحت فترة طويلة من السلام بعد هذه الحرب استطاعت روسيا أن توجه طاقتها المطردة الزيادة إلى إنتاج بضائع الاستهلاك » .

وكان ستالين قد تململ فى جلسته مرتين أو ثلاثاً ، بل لقد خيل إلىّ أننى سمعته يتنهد ، ولهذا غيرت موضوع الحديث قائلا :

« إن صداقة الشعب الأمريكى والشعب الروسى ربما رجعت إلى أيام ثورتنا ، فإن دول أوربا الأوتوقراطية لم تشأ فى ذلك الحين أن تتبادل التجارة مع الولايات المتحدة ، ولكن قيصر روسيا كان أول من تقدم للاتجار مع بلادنا الجديدة » .

وحسبتنى ألمح ابتسامة على شفتيه حين قاطعنى قائلا : « ذلك لأن القياصرة وجدوا من هذا السبيل باباً للحصول على المال ! » .

فقلت : « مهما يكن من أمر ، فإن الصداقة العريقة بين شعبينا قد عادت عليهما بالفائدة فى الماضى ، وأعتقد أن التجارة بين روسيا وأمريكا سيتسع مداها بعد هذه الحرب » .

فقاطعنى وهو لا يزال مطرقاً : « إن الكساد يصيب الدول الرأسمالية بعد كل الحروب ، وسينزل بكم الكساد بعد هذه الحرب » .

فقلت : « ليس ذلك بالأمر الحتم ، على الأقل خلال عدة سنوات ، وإذا أوتينا من الشجاعة وبعد النظر وسعة الحيلة ما يمكننا من استخدام المعلومات التى تجمعت لدينا بالفعل ، فلربما استطعنا أن نتفادى أزمة أخرى من أزمات الكساد » .

فقال معقباً : « إننى لم أحدد تاريخاً » .

وكان قد طوى ورقته بعناية وشرع يرسم صورة جديدة ذات خطوط مديدة مقوسة .

وكان قد قيل لى إن علىّ أن أختتم حديثى إذا لم أجد من المارشال ستالين اهتماماً ،

وكان بعضهم قد أنبأني أن مقابلتي قد تستغرق ثلاثين دقيقة ، وكان الوقت في الساعة المعلقة على الجدار البعيد هو الساعة التاسعة والنصف تماماً . فهل أحاول أن أمهد طريق الخروج بلباقة ؟

ألقيت لمحة خاطفة إلى الصورة الأخيرة فوجدتها تمثل جسم فتاة تتلوى من العذاب ، فقلت : « يا مارشال ستالين ! إن ذلك الرسم يبدو من حيث أجلس وكأنه صورة فتاة في كرب وعذاب ، ولما كنت قد سمعتك تتحدث مؤكداً عن الكساد والضيق ، فإني أرجو ألا تكون قد قصدت بهذه الصورة أن تعبّر عن « مس أمريكا » . . .

فلأول مرة ، رفع بصره إليّ ، وحدجني بنظرة ملؤها الدهشة والتدقيق ، ثم ابتسم فجأة ، في شيء من الحياء ، وقال :

« كلا ، إنني أعبث ، ولا أحاول أن أرسم شيئاً بعينه » .

فقلت : « ربما لم تكن تحاول ، ولكنك كنت واثقاً في حديثك عن أزمات الكساد ، وكان الشقاء يرتسم على الفتاة حتى لقد خشيت أن تكون بين الأمرين علاقة ! » .

فقال : « كلا ، لا علاقة مطلقاً » . ثم نحى الورق جانباً ، ووضع القلم ، وابتسم ابتسامة عريضة . .

ينبغي أن أكون أظرف

ثم قال : « لقد تعلم أني كنت رجلا مرحاً ودوداً ، ولكن السن تتقدم بي ، وعلى عاتقي تقع جميع مشاكل الحرب ومتاعبها ، ويجب أن أتخذ قرارات تتعلق بالاتحاد السوفيتي كله » ثم أشار بيده إلى عينه وهو يغمز بعينيه قائلا : « وها هو ذا مولوتوف لا يزال مرحاً ودوداً ، وليس لديه من سبب يحمله على أن لا يكون كذلك . وينبغي عليّ أن أكون أكثر مرحاً وأظرف برغم متاعبي » .

ولاحظت أن مستر هاريمان يمد يده في جيبه ليخرج لفائفه ، وكنت قد سمعت أن المارشال يدمن تدخين الغليون ، وسألت نفسي أتراه يحب تدخين السجاير ؟ ولم يكن قد مس اللفائف الروسية التي أمامه ، فسألته : « ألا تتناول سيجارة أمريكية يا مارشال ستالين ؟ » .

فقال : « أشكرك ! إنني أحبها » .

وتناول بنهمة أنفاس عميقة من اللفافة التي قدمتها إليه .

ثم تابع الحديث قائلا : « إن الحكومة السوفيتية وشعبها يقدرات المعونة التي تلقيناها من الولايات المتحدة خلال هذه الحرب أعظم التقدير ، وقد كانت آلات

المصانع ، ومقادير الطعام ، والطائرات التى أرسلتموها عظيمة القيمة . وقد ظفرت سيارات النقل عندنا بتقدير خاص ، فإن سيارات النقل الأمريكية هى التى مكنتنا من ملاحقة الألمان المدحورين بهذه السرعة . إن الشعب الروسى يكنّ للأمريكيين أعظم الاحترام » .

فقاطعته قائلا : « إننا نحن الأمريكيين ننظر إلى الانتصارات الروسية المجيدة بأعظم الإعجاب » .

فقال المارشال : « ونحن من جانبنا مبتهجون بغزو الحلفاء الموفق لأوربا . لقد وفقتم إلى عمل حربى باهر بإنزال قوات كبيرة على الساحل الأوربى الذى يسيطر عليه العدو . والآن تدرك ألمانيا أنه لا سبيل إلى ممارسة حرب ضروس واسعة النطاق بغير أسطول . وقد كان من الحماقة أن يثير الألمان حرباً كبرى بلا أسطول . وأنت لا تستطيع أن تملك أسطولا تجارياً بغير أسطول حربى ، كما أن الأسطول لا يزدهر وحده بل يجب أن يكون إلى جانبه أسطول تجارى يغذيه بالرجال » .

فأجبت : « هذا صحيح يامارشال ستالين ، وإن الحديث عن الأسطول التجارى ليذكرنى بالرغبة فى أن أتحدث إليك كرجل أعمال بشأن مشاكلنا التجارية المشتركة . فهل تريدون أن تشتروا بعد الحرب بضائع استهلاك أو معدات صناعية ؟ لقد فهمت مثلا أن الجلود تنقصكم ، ونحن نصنع الأحذية رخيصة فى أمريكا . فهل تفضلون استيراد أحذية نصنعها نحن ، أو استيراد جلود وآلات ؟ » .

قروض طويلة الأجل

فقال المارشال ستالين : « ربما استوردنا بعض الأحذية . ولكن مطلبنا الأساسى هو استيراد الآلات لنصنع الأحذية هنا . إننا سنحتاج إلى كثير من المعدات والآلات بعد هذه الحرب » .

كان يحدجنى بنظره ، وكان يجيب بصوت خفيض متزن ، وكانت جمله موجزة ، ولم يكن ثم بحث عن الكلمات ، ولا تردد فى الجواب .

سألته : « كم تريدون أن تبتاعوا من الآلات الثقيلة من أمريكا ؟ » .

فأجاب : « أى قدر ، تبعاً لمدة التقسيط وطولها بمقتضى شروطكم . وسندفع ثمن كل شىء فى موعده حالا ، طبقاً لشروط العقود » .

فقلت : « إننى أحد أولئك الأمريكيين الذين يعتنقون فكرة منح قروض طويلة الأجل للاتحاد السوفيتى ، ولكن للتجارة

طريقان غادٍ ورائح ، فيهمني أن أعلم ماذا يستطيع الروس أن يبادلوا أمريكا من البضائع ؟ » .

فنظر إلى السقف برهة ، ومر بأنامله على شاربه وقال : « إن لدينا صنوفاً شتى من المواد الخام ، هل تريد منجنيزا ؟ لدينا منه مقادير كبيرة . وفى استطاعتنا كذلك أن نعطيكم معدن الكروم والبلاتين والنحاس والزيت والتنجستن . ثم إن هنالك الخشب ولباب الخشب لصناعة الورق والغراء » .

« ربما احتجتم إلى الذهب . ونحن نستخرجه بمقادير كبيرة ، وفى استطاعتنا أن نزيد مقاديره كثيراً بعد الحرب » .

فنظر إلىّ فى شيء من السخرية الغامضة وقال : « إن معظم الدول الرأسمالية تحتاج إلى الذهب » .

فقلت : « لا أستطيع أن أجزم بأن الولايات المتحدة ستهتم بالاستزادة من الذهب لمجرد دفنه فى الأرض على نحو ما دفنا خمسة بلايين من الريالات فى قلعة نوكس » .

ومدّ المارشال ستالين يده ليتناول سيجارة أمريكية أخرى وهو يواصل الحديث قائلا : « إن الإنتاج السوفيتى للمواد الخام التى تصدر إلى الولايات المتحدة ، سيعدل طبقاً لحاجات الولايات المتحدة ، وفى استطاعتنا أن نقدم أى مقدار تريدون ، إذا استطعتم أن تمدونا بالمعدات اللازمة لإنتاجها ، ولهذا ترانا حريصين على القروض الطويلة الأجل . وفى استطاعتنا أن نستغنى عنها ، ولكن النتيجة ستكون أبطأ » .

فأجبت : « إذا بعثنا إليكم بشتى أنواع المعدات بالتقسيط لآجال طويلة ، فكم يستغرق إتمام برنامجكم للتحول الصناعى ؟ » .

فقال المارشال ستالين وهو يؤكد عباراته بحركة من يديه : « مثل هذا البرنامج لا يمكن أن ينتهى . إن بلادنا واسعة الرقعة (وهى تعادل أكثر من مساحة الولايات المتحدة مرتين ونصف مرة) وحاجاتنا عظيمة ، ونمونا ضئيل ، حتى لا أكاد أحجم عن التكهن بالوقت الذى نبلغ فيه كفايتنا من أى شيء . وقد وضعنا قبل الحرب مشروعات السنوات الخمس ، فكنا كلما أنتجنا ما نحتاج إليه ازداد شعورنا بالحاجات . وسيكون أول واجباتنا بعد انتهاء الحرب أن نعيد تعمير مناطقنا المخربة ، فقد دمرت مدن بأكملها ، وحتى المصانع القائمة الآن لا بد من تعديلها وإصلاحها ، إذ تبين أن كثيراً مما عملنا من قبل كان قد أعد إعداداً ناقصاً » .

سياسة السوفييت فى التجارة الخارجية

قلت : « يا مارشال ستالين ، كم تلبثون حتى تصبحوا مصدرين لا للمواد الخام وحدها ، بل للبضائع المصنوعة كذلك؟ » .

فأجاب المارشال : « لن يكون ذلك قريباً . فإن أمامنا حاجات بلادنا وهى بالغة الكثرة ، بالغة الضخامة . ولم يشتبك الاتحاد السوفيتى قط فى صراع على الأسواق الخارجية . وسياستنا تقضى بأن لا نصدر سوى البضائع التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بوارداتنا . مثال ذلك البضائع الخام التى ندفعها فى مقابل الآلات الثقيلة » .

وعندئذ كان الحديث قد بلغ حده من السرعة والحرارة ، وكان يجيبنى إجابة كاملة سريعة .

سألته : « وما خبر صناعة الصلب السوفيتى ؟ ماذا كان إنتاجكم فيها قبل الحرب ؟ وماذا يبلغ الآن ؟ وماذا سيكون فى المستقبل ؟ ومتى تصل إلى كفاية نفسها بنفسها ؟ » .

فذكر الأرقام من فوره وقال : « كان إنتاجها قبل الحرب ٢٢ مليون طن ، ولكن كثيراً منها قد دمره النازى ، وربما بلغت هذا العام ١٢ مليون طن . ويجب أن تزيد بعد الحرب إلى ٦٠ مليون طن » .

فسألته : « وماذا أنتم صانعون بالمقادير الزائدة من الصلب ؟ أتصدرون بعضها ؟ »

فأجاب المارشال : « كلا ، فإننا سنضاعف خطوطنا الحديدية ، وسنبنى جسوراً ، وسنحتاج إليه فى التعمير والإنشاء . وسيمضى وقت طويل قبل أن تستوفى حاجة السوفيت إلى الحديد والصلب » .

ثم تحدثنا عن إنتاج الطاقة الكهربائية ، ماذا كان ؟ وماذا يبلغ اليوم ؟ وقد تبينت أن مهمة التعمير تبلغ من المشقة حداً لا يكاد يصدق . وتناقشنا كذلك فى بعض أرقام الإنتاج الأخرى .

ثم قلت : « فى كل هذا البرنامج هل تبلغ حاجتكم إلى المعونة الفنية الأمريكية مبلغها إلى الآلات الثقيلة ؟ » .

فقال المارشال ستالين : « بالطبع سنحتاج إليهما معاً . لقد تعلم المهندسون السوفيت كيف ينشئون مصانع جيدة ، ولكنا سنحتاج مع ذلك إلى المعونة الفنية » .

فسألته : « هل تكون هذه المشورة من أفراد تستخدمونهم ، أم تراكم تفكرون فى أن تتعاقدوا مع شركة أمريكية على أن تبنى المصنع وتصبح مسئولة عن إنشائه ؟ » .

فقال المارشال : « سيتوقف ذلك على المال ، والسعر ، ونوع الآلات ، وشروط

الاتفاق ، وسيبت فى كل حالة على حدة » .

ومضيت فى مناقشة الإنتاج الصناعى ، مبيناً أن التحسينات فى العمل من ناحية الإدارة والخبرة الفنية قد زاد الإنتاج فى الولايات المتحدة نحواً من ثلاثة فى المائة لكل رجل ، وأن هذا الإنتاج يمكن أن يستوعبه قوم يزداد مستوى معيشتهم باطراد .

ثم قلت : « إن أسباب الترف للأمير اليوم ، هى حاجة الفلاح فى الغد » .

فضحك المارشال ستالين وقال : « هذا مثل حسن جداً . إن لشعبنا مطالب كثيرة تقابلها فرص قليلة لإشباعها . ولم يزل إنتاج كثير من الأشياء ضعيفاً » . .

وهز رأسه ثم استطرد : « إن إنتاجنا من المحارط والأدوات الزراعية تافه إذا قيس بحاجتنا إليها ، ولم تزل صناعة السيارات عندنا فى دور طفولتها . مثال ذلك أنكم قبل الحرب كنتم تنتجون نحو أمس ٥،٠٠٠،٠٠٠ سيارة فى العام ، بينما كنا ننتج نحن بين ٣٥٠،٠٠٠ و ٤٠٠،٠٠٠ سيارة » .

فعلقت على ذلك قائلا : « معنى ذلك أن هناك مجالا عظيما للتوسع فى هذا الميدان » .

فقال المارشال ستالين فى لهجة المفكر المتأمل : « نعم . إن الآمال عظيمة ، ولكن الفرص اللازمة لمثل ذلك التوسع قد لا تكون سانحة حتى الآن . فنحن مثلا يجب أن نبدأ بإنشاء الطرق فى شتى أنحاء الاتحاد السوفيتى » .

ثم استطرد : « أما أنتم فى أمريكا فإنكم تنتجون الآن نحو ١٠٠ مليون طن من الصلب ، على حين كنتم قبل الحرب تنتجون نحو ٦٦ مليون طن . فماذا أنتم فاعلون بالفائض الذى يبلغ نحو ٣٠ مليون طن ؟ » .

فأجبته قائلا : « إن علينا أن نتوقع توسعاً فى السوق . وقد صرح أحد كبار صانعى السيارات عندنا بأننا سنزيد إنتاج السيارات إلى سبعة ملايين سيارة سنوياً ، أى ما يزيد نحو ٤٠ فى المائة على إنتاج ماقبل الحرب . وستزداد حركة بناء المنازل ، وتمس الحاجة إلى أنواع كثيرة جديدة من المنتجات . وربما ازدادت طلبات تصدير الصلب بمختلف أنواعه زيادة كبيرة » .

فقال المارشال : « ولكن مجموع صادراتكم قبل الحرب لم يكن يزيد على عشرة فى المائة من إنتاجكم ؟ » .

فقلت : « أعتقد أن صادراتنا لم تزد على سبعة فى المئة » .

فقال : « أليس ذلك قليلا بالقياس إلى البريطانيين ؟ إن نسبة صادراتهم كانت أكثر من ٤٠ فى المئة . ربما كانت هذه النسبة غير عادية ، بل خطرة ، على أن

أعظم مشكلة ستواجه الشعب الأمريكى بعد هذه الحرب هى تفادى البطالة درءاً لأزمة أخرى من أزمات الكساد » .

ليعرف كل منا الآخر

فقلت : « ذلك حق يامارشال ستالين ، يجب أن نخلق أعمالا جديدة بالتوسع فى إنتاجنا وقت السلم . وإن فترة طويلة من السلم لأفعل من كل شىء فى تنمية الإنتاج وضمان العمل الثابت ، وإن التفاهم المتبادل بين بلدينا لخليق أن يساعد على ضمان السلم العالمى مساعدة تفوق الحدود . صحيح أن كلينا يعمل فى ظل نظام اجتماعى واقتصادى شديد التباين والاختلاف ، ولكن ليس بيننا من وجوه الخلاف ما يستعصى حله . نحن نحب نظامنا ، وأنتم تحبون نظامكم ، فعلى كلا البلدين أن يعقد العزم على أن لا يتعرض لشؤون الآخر الداخلية . يجب أن تعرفوا عنا أكثر مما تعرفون ، ويجب أن نعرف عنكم أكثر مما نعرف » .

فقال : « هذا صحيح . ويجب على أمثالك من الرجال أن ينقلوا معلوماتهم إلى الشعب الأمريكى » .

فأجبت : « ولكننى فرد واحد ، أما الصحفيون الأمريكيون هنا فى موسكو فيمثلون مئات من الصحف لها ملايين من القراء ، وفى استطاعتهم أن يزيدوا الشعب الأمريكى اطلاعاً على الحقائق ، إذا أتيح لهم العون اللازم ، وأبيح لهم من حرية السفر نصيب أوفر . مثال ذلك أن الشعب الأمريكى يتوق إلى معرفة شىء عن إمبراطوريتكم الصناعية الجديدة فى جبال الأورال ، ولكن لم يسمح للصحفيين بالذهاب إلى هناك . ولهذا السبب أجد فى نفسى رغبة فى رجاء الإذن باصطحاب أربعة من مراسلى الصحف معى إلى الأورال » .

فقال ستالين : « ولم لا ؟ » .

« وهل معنى ذلك أننى أستطيع أن أصطحبهم ؟ » .

« بالطبع » .

« حسن ، أشكرك يا مارشال ستالين . ولكنى لا أدرى هل يوافق مستر مولوتوف أو لا يوافق ؟ ذلك بأن وزارته لم توافق على طلبى بعد » .

وهنا تحول مولوتوف ببصره إلى ستالين ، بعد أن كان دائم النظر إلى ، وقال فى سرعة وفى حزم :

« إننى أوافق دائماً على أوامر المارشال ستالين » .

فمال المارشال برأسه ناحيته ، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ثم قال : « يا مستر

جونستون ، أكنت تنتظر حقيقة أن يخالفنى مستر مولوتوف فى ذلك ؟ » .

فأجبت : « كلا ، ولكنى رأيت أن أحتاط بالسؤال على كل حال » .

وألقى ستالين برأسه إلى الخلف وأرسل نوعاً من هدير الرضا والسرور ، ثم قال : « والآن أود أن أسألك أنت بضعة أسئلة ، نبئنى عن أمر الانتخابات القادمة » .

فقلت مازحاً : « لعلى أستطيع أن أنبئك بها خيراً من مستر هاريمان ، ذلك لأنى من حزب المعارضة . إننى جمهورى ! » .

فقال ستالين : « أنت جمهورى ! ! » .

وفتل شاربه وهو يتعجب ، ورفع أحد حاجبيه دهشةً ، وانحنى إلى الأمام ليحملق فى وجهى . ثم التفت إلى مولوتوف وقال له شيئاً لم ينقله المترجم ، ثم عاد ستالين ليحدثنى قائلا فى صوت خافت وهو ينظر إلىّ :

« إذن أنت جمهورى ، إننا لا نرى منهم كثيرين ، وربما كنت أول من قابلت منهم » .

فقلت : « إنك تعرف على الأقل واحداً من الجمهوريين ، وهو وندل ويلكى » .

فأجاب المارشال ستالين : « هذا صحيح ، وبهذه المناسبة كيف حال مستر ويلكى ؟ » .

فقلت : « إنه بخير ، وقد رأيته قبيل مغادرتى نيويورك ، وأبدى لى رغبة خاصة فى أن أذكره عندك » .

فقال : « أبلغه تحياتى ، إنه رجل عظيم » .

وعندئذ سرح ببصره ، وقد سرت فى عينيه ابتسامة هادئة ثم قال : « أظنه حانقاً علينا من أجل ما قالت عنه جريدتنا « برافدا » ، لقد كان مقالها سخيفاً جداً » .

فقلت : « إننى لم أتحدث فى هذا الشأن إلى مستر ويلكى ، ولكنه قد تعرض لنقد صحف كثيرة ، وأنا على يقين من أنه أعظم من أن يضيق صدره بمقال واحد فى صحيفة روسية » .

ومال ستالين مرة أخرى برأسه إلى الوراء وضحك تلك الضحكة الموقرة المرسلة الخافتة .

وقد وجدت المارشال عليما بشؤون أمريكا ، ودهشت حين علمت أنه يقرأ ترجمة الصحف الأمريكية ، ولكنه لم يزل فى شك من أمر سياستنا بعد الحرب .

سألنى مشيراً إلى ما حدث بعد الحرب الماضية : « هل يرفض مجلس الشيوخ إبرام المعاهدات بعد الحرب ؟ » .

فقلت : « لا أعتقد أن أى رئيس للولايات المتحدة سيعيد اقتراف الخطأ الذى وقع فيه الرئيس ولسن ، فلا يشاور مجلس الشيوخ فى شأن مفاوضات السلم ، بل الواقع أن وزير الخارجية « هل » قد استشار بالفعل مجلس الشيوخ فى أهداف ما بعد الحرب » .

فقال المارشال ستالين : « هذه معلومات مهمة » .

ثم استطرد قائلا : « إن الروس يعتقدون بالطبع أن للصناعة والتجارة شأناً حيوياً فى علاقاتنا بعد الحرب ، على أن للعلاقات السياسية كذلك شأناً يعادله . إن القروض والاتفاقات الاقتصادية لا يمكن عدها مستقلة تمام الاستقلال عن الحكومة، ولهذا كان من خطر الشأن بمكان ، عند إعداد المشروعات، أن تلاحظ فيها صفة الاستمرار . ويجب أثناء الحرب أن تقرر السياسة الخارجية كل شىء ، وأن تخضع السياسة الداخلية لمقتضيات الحرب ما دامت مستمرة » .

وكانت الساعة الآن قد بلغت الحادية عشرة والربع مساء ، ومضى على بدء الحديث أكثر من ساعتين .

" صورة "

قلت « يامارشال ستالين إن لى رجاء قد لا تقره الأصول المتبعة ، ولكنك تعلم أننى رجل أعمال لا رجل سياسة ، إننى أرجو أن تسمح لى بصورة لك عليها توقيعك » .

فقال : « ولم لا ؟ أتريدها صورة لى وحدى أو لنا نحن الاثنين ؟ »

قلت : « أننى سأغادر موسكو فى الساعة الخامسة صباحاً . وقد لا يتسع الوقت لاستدعاء أحد المصورين .

فتجاهل ملاحظتى ، ونهض ، وأدار زراً كهربائياً فى الحائط غمر القاعة بالضوء الباهر ، ثم ضغط على زر خلف مقعده ، ففتح الباب وظهر منه ضابط ألقى إليه المارشال ستالين بكلمات موجزة ، لم تكد تنتهى حتى دخل الغرفة لساعته ضباط آخرون يحملون أنواراً كشافة وآلات مصورة .

ووقف ستالين أمام مكتبه وأشار إلىّ أن أقف إلى جانبه ، فاقترحت أن يظهر مستر هاريمان كذلك فى الصورة ، فدعاه المارشال . وقال مستر هاريمان وقد وقف إلى يساره : « لعلها أول صورة لك وأنت بين جمهورى وديمقراطى ! » .

فقهقه المارشال ثم قال : « نعم . وما كنت أتصور أن ذلك سيحدث يوماً ما ، تصور شيوعياً يوفق بين الجمهوريين والديمقراطيين ! » .

قلت : « يجب أن يكون مستر مولوتوف فى الصورة أيضاً » .

فقال المارشال ستالين بصوت خفيض وهو يغمز بعينه غمزة خفيفة : « من الغريب أن مولوتوف لا يكاد يحرص قط على أن يظهر معى فى صورة واحدة »، ولكنه ضمه كذلك إلينا فى الصورة .

ثم تحول ستالين من المزاح إلى الجد .

يجب أن نعمل معاً

قال : « لقد صنع هتلر الأحمق خيراً واحداً ، هو أنه جمع بين الشعب الأمريكى والشعب الروسى . وعلينا أن لا نسمح لشيء ما أن يفرق بيننا ، بل يجب أن نعمل معاً بعد الحرب » .

ثم استطرد قائلا ، وقد خفت نغمة الجد الصارم التى اتخذها قليلا : « إننى أحب أن أعامل رجال الأعمال الأمريكيين ، إنكم قوم تعرفون ماذا تريدون ، وأنتم تحفظون وعودكم ، وخير من ذلك كله أنكم تبقون فى مراكزكم طويلا — كما هى الحال عندنا . أما رجل السياسة فهو اليوم حاضر وغداً غائب ، ولا بد حينئذ من إعادة الإجراءات مع قادم جديد » .

وأخيراً شكرت له دعاباته ، وقد كان حقاً شديد الظرف .

وأخبرته أننى أرجو أن أعود فأقابله بعد الحرب . فقال المارشال ستالين : « ربما كنت عندئذ فى عداد الأموات ، فاحضر قبل ذلك » .

فقلت مازحاً : « كلا ، إنك من جورجيا وربما عشت إلى الأبد ! » .

فقال : « حسن ، إذن فلتحضر لزيارتى بعد الحرب ، وسنطلعك يومئذ على تقدم جديد فى تطورنا الصناعى » .

وهز يدى هذه المرة بحرارة ، واجتزنا البابين المطابقين ، وتركنا الغرفة من خلفنا شعلة من النور ، وصحبونا ونحن نجتاز الأروقة إلى حيث استقبلنا الهواء الرطيب فى ليلة من ليالى موسكو الصيفية ، وكان الليل قد انتصف . وبينما كانت السيارة تجتاز بنا شوارع موسكو التى يسودها نظام الإظلام ، كنت لا أزال أحس بحضرة هذا الرجل الذى استولى على مشاعرى بصرامته ، وصراحته ، ودعابته . وقد وجدته عملياً إلى الغاية ، قلما يستعمل فى حديثه صفة أو صيغة من صيغ التفضيل المطلقة .

ومضيت أفكر فى أنه حين يحل السلام ستكون روسيا والولايات المتحدة أقوى أمتين فى العالم ، وستملكان أكبر نصيب من قوة العالم الحربية والصناعية . أجل ، إن ستالين على حق . لقد جمعت الحرب بين البلدين ، ولكن أمامنا تيارات عاتية من عسير المشاكل . فهل تستطيعان أن تحافظا على انتهاج طريق التعاون والصداقة السوى بعد سحق العدو المشترك ؟ ربما كان مصير العالم معلقاً على جواب هذا السؤال .

★ ★ ★ ★ ★ ★

علم سام هيجينبوتم ملايين الهند
الفلاحين كيف يخدمون أنفسهم

راجا الأرض

وليم ف . ماك درموث
بمعاونة داريل دميريجان مكاتب
الصحافة المتحدة في الهند



ملخصة عن مجلة
« ذى روتيريان »

هيجينبوتم يودع الهند

سام البسام وقد رحل إليها لأنه تحادث مع رجل غريب على مركبة فى سنة ١٩٠٣ ، وهو الآن يعود إلى وطنه فى السبعين من عمره ، كمزارع الهند الأول ، و قد اشتهر بأنه شيد من لا شىء معهد الله أباد الزراعى ، وهو أكبر وأتقن مزرعة نموذجية ومحطة تجريب فى الهند .

وقد أسدى هيجينبوتم إلى الزراعة بالهند أكثر مما أسداه إليها أى رجل آخر . فنى هذه البلاد التى يعيش فيها على الأرض ثمانون فى المئة من سكانها الذين يبلغون ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٩٠ نسمة ، يشفى منهم على الموت جوعاً ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٠ . خاض هيجينبوتم معركة لا يكاد يتصورها العقل ضد القحط ، والجفاف ، والفيضانات ، والحر ، وضد الخرافات والجهل والحواجز التى بين الطبقات . وقد عرّف الفلاحين المتضورين كيف يربون الأبقار التى تدر جالونين من اللبن فى اليوم بدلا من أقل من ربع جالون . واستصلح رقعاً واسعة من الأرض المهملة الغمِقة ، وأقنع أمراء ونبلاء بأن يرتدوا ثياب العمال ، وأن يدعوا الأقذار تدخل تحت أظافر أناملهم ، وألقى محاضرات فى الزراعة العلمية فى قصور شرقية ، كان العواهل يتولون رياسة جلساتها وهم فى ثيابهم الملكية ، ولكن أعظم ما قام به هيجينبوتم كان بين الفقراء المدقعين .

ولد سام هيجينبوتم فى إنجلترا ، ورحل إلى أمريكا على سفينة لنقل الماشية ، وتعلم فى جامعة برنستون وكان يعمل نُدُلاً ليكسب نفقاته ، ثم أرادت بعد ذلك كليته أن تكرم ابنها الممتاز ، فلم تجد عندها درجة لائقة به تمنحه إياها ، فأنشأت درجة جديدة — دكتور فى الخير الإنسانى — وأنعمت بها عليه . وقد منحته الحكومة البريطانية عدة مداليات .

ولما كان لا يزال طالباً فى جامعة برنستون اتفق له يوماً أن دخل فى حديث مع راكب فى سيارة ، فأقنعه بأن يذهب إلى الهند

ليقوم بعمــل « وقتى » بين المنبوذين . فسافر فى ٨ يوليه سنة ١٩٠٣ من نيويورك ، وكان يتوقع أن يعود بعد شهور قليلة ، غير أن الواقع أنه اتخذ من الهند وطناً له أكثر من أربعين عاماً لم يعد فى خلالها إلى الولايات المتحدة إلا قليلا وعرَضاً .

وعين فى كلية أيونج المسيحية فى الله أباد لتدريس الاقتصاديات ، فجرت دروسه من أول الأمر على خلاف المعهود ، فكان يخرج تلاميذه إلى الحقول ليدرسوا المسائل على الطبيعة .

ولم يكن قد رأى مثل هذا الفقر المروّع ، وكان شرا من الفقر أن النــاس يتحملونه كأنه أمر طبيعى ، فشرع ســام يخاطب الموظفين ويسألهم عما يصنعون لإنقاذ الناس من هذه الفاقة ، فكان الجواب الذى لا يختلف : « لا شىء ! فإنه أمر لا معدى عنه » . فاستقر عزم هــذا الشاب على أنه يستطيع على الأقل أن يعالج المسألة .

ووجد أن الأسرة من أوساط الناس علك أربعة أفدنة من أرض ضعيفة متآ كلة تكثر فيها الآفات لا تحصل منها إلا على معاش زرىّ ، والمساكن عبــارة عن كوخ من الطين مع مأوى للثور والبقرة ، أما المحاريث فمن خشب وأطرافها من حــديد ، وهى لا تزيد على أن تخدش الأرض ، والرجل يقطع خمسين ميلا ليحرث فداناً واحداً .

وقام بزيارة أحد السجون فكان ذلك بداية التحول فى حياة سام . وكان سجن نايني المركزى هذا ، وفيه ثلاثة آلاف من السجناء ، يديره ضابط إنجليزى أنشأ له حديقة مدهشة الإنتاج ، وكانت الأرض تعد عديمة القيمة حتى إن الهنود كانوا يأبون أن يحاولوا زرعها ، ومع ذلك وسع هــذا الضابط أن يستنبت من كل فدان كرنباً زنته خمسون رطلا و ٣٠ طنا من العلف .

فاقتنع هيجينبوتم ، وأيقن أن إدخال الأساليب الحديثة فى مزارع الهنــد أعظم خدمة يمكن أن يسديها إنسان .

وكان سام لا يعرف عن الزراعة الحديثة إلا قليلا ، ولكنه لا جهله هاله ولا ضخامة الهنــد . فاقترح على زملائه إنشاء مزرعة نموذجيــة فلم يلق منهم تشجيعاً ، فلج سام وألح وعرض الأمر على موظفى الكلية ، فرموا باقتراحه فى حجرة وقالوا له : « إذا كنت ترى أنه ينبغى أن ندرس الزراعة العلمية فلماذا لا تعود إلى أمريكا وتدرس الموضوع ، وتنظر هل القوم هناك مستعدون أن يظاهروك بمالهم » .

جازف ســام — فقد اعتــاد العمل . مثال ذلك أنه فى أيام التحصيل بالكلية التقى بإثيل كودى الجذابة ، وتحبب إليها ، وبعد

عام من رحيله إلى الهند خطبها بالبريد وأصر على أن تبرق إليه بردها ، فأبرقت إليه أنْ «نعم» واستقلت أول باخرة . وقد عادا معاً إلى أمريكا فى سنة ١٩٠٩ فدخل سام جامعة ولاية أوهيو ليدرس الزراعة ، وليحاول فى الوقت نفسه أن يجمع المال ليشترى به المزرعة التى يتعلم كيف يديرها .

وكان الفتى يلقى محاضرة فى اليوم — فى المتوسط ، وكان يسعه فى أى مكان أن يحصل على دعوة إلى إلقاء محاضرة وجمع تبرعات . وكان خطيباً ذَرِباً مقنعاً ، وقد خطب مرة فى حشد فى مسرح فألقى إليه أحد عمال المسرح بعشرة ريالات . وتكلم مرة أخرى فى إصلاحية فجمع له من فيها مبلغاً لمشروعه .

وشهد غداء لخريجى جامعة برنستون بشيكاجو فحدث زميلا له بمشروعه فأشار عليه صديقه أن يحدث عمته عن الهند ، وحمله معه إلى قصر بشيكاغو حيث قدمه إلى سيدة عجوز صماء تستعين بسماعة .

فلما أخذ هيجينبوتم يشرح لها ما يفكر فيه من إنشاء كلية زراعية فى الهند ، قابلته السيدة بإشارة ساخرة .

وقالت : « الهند ؟ هذا شأن إنجلترا » وتركت السماعة تهوى عن أذنها .

فهبط قلب صديقه فى صدره ، ودنا من عمته وتناول السماعة ووضعها على أذنها وصاح :

« ولكن يا عمة ! إن سام زميلى فى الدراسة ! » .

« أوه ! زميلك ! حسن إذن ! سأعطيه ١٠٠٠ ريال » .

ولم يكد سام يفيق من هذه الصدمة السارة حتى سمع صديقه يصيح مرة أخرى .

« ولكن سام صديقى يا عمة ! » .

« أوه حسن — إذن أعطيه ألفى ريال» .

وكانت هذه السيدة العجوز هى المسز سيراس هـ . ماك كورميك أرملة مخترع آلة الحصاد ، وقد ساهمت فيما بعد بخمسين ألف ريال فى مشروع هيجينبوتم .

ولما عاد سام إلى الهند اختار بعناية موقعاً لمزرعته على مسافة وجيزة من مدينة الله أباد المقدسة ، وعلى بضعة أميال قليلة من ملتقى نهر الجمنة بنهر الكنج . وفى كل عام يفد ملايين من الحجاج ليغتسلوا فى المياه السحرية لهذا الملتقى ، وتوقع سام أن يتلبث كثيرون عند مزرعته ثم يعودوا إلى بلادهم فينشروا الآراء الجديدة . وقد اختار أخشن قطعة من الأرض وأصلبها ، فقد أراد أن يثبت أنه ما من أرض فى الهند لا يمكن استصلاحها . وكان معظم الأرض التى اشتراها — وهى ٢٧٥ فداناً — مقشعراً هامداً ولم يزرع قط فيما يذكر أى إنسان .

واستنفد المال ما احتاج إليه من الآلات ،

والبذور ، والماشية ، والأسوار والآبار ، ولم يبق شيء لغرف الدراسة أو النوم ، فاجتمعت أول فرقة تحت شجرة ، ونام الطلبة في المخزن .

واستخدم سام جرارة وثلاثة محاريث لإثارة الأرض وتشقيقها . وكانت سكة المحاريث الحديثة تغوص في الأرض فتقلب تربة زكية غاية الزكاء ، وتقطع ما تحت الحشائش الوبيلة التي تحدت وأعيت آلات الهند التي لا تعدو أن تخدش وجه التربة منذ آلاف من السنين ، فتقلب جذورها وتعرضها للشمس ، حتى إذا جفت هذه الجذور ويبست تبين أنها مخصبات حسنة .

واستنقذ سام ٥٠ فداناً ببناء سدصغير — وبذلك بيّن ماتستطيع السدود أن تمنعه من التحاتّ والتفتت . وكان فلاح مجاور لهذه المؤسسة ، له خمسة فدادين يراقب هذه المعجزة ، فبنى سدوده الخاصة من الطين فكان أن تضاعف محصول أرضه . وأثبت سام أن البذر على خطوط يحول دون تبديد البذور حين تبعثر باليد ، ويزيد المحصول بمقدار ٢٥ ٪ ، وأدخل نظام خزن الماء ، وزراعة المرتفعات والزراعة المتعاقبة ، وانتقاء البذور وتحسين الآلات .

وصنع أحد مهندسي سام محراثاً جديداً — سماه الهنود « واه واه » يعنون بذلك « الأعجوبة » — وبه يستطيع الفلاحون الهنود أن يحرثوا الأرض حقا بدلا من مجرد خدشها وهو يؤدي خمسة أمثال العمل الذي يؤديه النوع البدائي ، ولايحتاج لجره إلى أكثر من الثيران المستخدمة في النوع العادي ، ولا يكلف إلا نحو جنيه وبضعة قروش .

وفي خلال سنوات قليلة تبرع أصدقاء له أمريكيون بالمال اللازم لمسكن الطلبة ، وافتتحه حاكم الإقليم رسميا . وجاء ستة مهراجات في قطر خاصة ليشاهدوا المزرعة ، وحاول أحدهم أن يستخدم خير أعوان سام وعرض عليه ضعفي ما يتقاضى من مرتب . فأبى الشاب إباءا كريماً . ثم التحق بالمعهد ولي عهد ولاية من أعظم ولايات الهند ، ومنذ ذلك الوقت صار التحاق أبناء الأمراء به مألوفاً .

وأقبل الطلبة من أرجاء الهند جميعاً ، وبعضهم من أبناء كبار الملاك وأغنيائهم ، والبعض من المنبوذين . وكان على كل طالب أن يخرج إلى الحقل ويعمل ، سواء أكان أميراً أم برهمياً أم منبوذاً .

والبقر مقدس في الهند فلا يجوز ذبحه ، فإن كان حاوياً وعديم القيمة ، فما تعطى البقرة المتوسطة إلا نحو ٧٠٠ رطل من اللبن في العام . وقد كان سام حكيما في اجتناب

المعارضة التى كانت خليقة أن تثور لو أنه ربى البقر للحمه ، وربى بدلا من ذلك قطيعاً متخيراً للحلب . وجاء بثيران كريمة وربى أبقاراً تؤتى الواحدة منها ١٠٫٠٠٠ رطل من اللبن فى العام ، وترك هذا القطيع الحسن الغذاء الرائق المنظر على مرأى دائماً من جموع الحجاج الهنود . فكانت النتيجة وابلا من الأسئلة عن صناعة الألبان .

وأوفد سام رسلا يعلمون الناس الطريقة الصالحة للتغذية والحلب ، وأنشأ مراكز يشترى فيها ما يزيد على الحاجة من اللبن ، وتصنع منه الزبدة وتباع فى كلكتا .

وعرّف الفلاحين كيف يبنون مطامير تحت الأرض ، وعلمهم أن يخزنوا ، للعلف ، المقادير الهائلة من الحشائش البرية وغير البرية التى تنمو فى مواسم الأمطار ، وقد وجد تلاميذه الذين يقومون بالبحث ، أن هناك ٢٢ نوعاً من الأعشاب تأبى الماشية أن تأكلها وهى خضراء ، ولكنها تلتهمها إذا خزنت فيبست ، وقد نشر المتخرجون هذه المعارف والأساليب فى كل أنحاء الهند ، واليوم انتشرت فى الأقاليم المزارع الحديثة والقطعان الصالحة . وأصبحت الأساليب المستخدمة فيها تستفيض بين الفلاحين .

ويوجد الآن فى معهد الله أباد الزراعى ٢٠٠ طالب و ٣٠ فلاحاً يتدربون ، وعدد هيئة التدريس ٢٧ منهم ١٨ من الهنود ، واثنان من المهندسين الزراعيين الخمسة الوحيدين فى الهند كلها . وقد اتخذ المعهد محطة لاسلكية تذيع فوائد فى الزراعة والصحة وصناعة الألبان ، وتداول بينها بالموسيقى والتسلية . وقد امتدت المزرعة حتى صارت ٦٠٠ فدان ، وتضرب مياه نهر الجمنة حوافى الحقول العريضة من الغلال والخضر ، وتعكس كالمرآة صور الأغصان المثقلة بالبرتقال والجوافة والباباز فى حدائقها ، وينشر شجر « النيم » المقدس شذاه حول المبانى الأنيقة المشيدة بالآجر الأحمر ، ويفيض النوار البرتقالى من أشجار الدخن ألوانه على الطرق المهدة .

ولم يكن الأمر سهلا وطريقه معبّدا ، فإن الكد عاما بعد عام فى حر محرق ينهك القوى ويستنفدها ، وكانت الأمراض الاستوائية ترقد سام أحياناً ثلاثة اشهر . وقد عاد مرة إلى أمريكا ليستجم ثمانية شهور ، وفى هذه الفترة للاستجمام ألقى ألف خطبة ، أو أربع خطب فى اليوم . وبلغت جملة ما جمع من الاكتتابات أكثر من مليون ريال .

وظلت إثيل كودى هيجينبوتم سنوات وهى تدير صيدلية على شرفتها الخلفية ، وكانت فى كل ساعة من ساعات النهار والليل تقدم الأدوية للملاريا ، والكوليرا ، والبثور

والبرد ، معتمدة فى ذلك على كتاب «الطبيب المنزلى» . وأسست كذلك مدرسة للاقتصاد المنزلى للبنات فى المزرعة ، يتعلم فيها الأميات علم الصحة والإسعاف والتغذية ورعاية الطفل .

وفى باكورة حياة سام وزوجته ، توليا أمر ملجأ نايني للجذام فى الله أباد ، وكان يومئذ عبارة عن عدد من أكواخ الطين غاية فى القذارة ، فجعلا منه ملجأ نموذجيا للمجذومين ، فيه طائفة من المساكن ومستشفى ومدرسة وبساتين ومتنزهات . وإلى العمل الذى تقوم به إثيل فى سبيل أبناء المجذومات يرجع الفضل فى إنقاذ ٩٨ فى المئة من هذا المرض .

وكثير من أرض الهند عظيم الخصب ، وفصل النمو طويل ، وثلث الأرض الصالحة للزراعة لم يمسسها محراث . ومن السهل أن تصبح الهند من أغنى الأمم الزراعية فى العالم ، وقد لمح سام هيجينبوتم هذا لما كان معلما شابا ، وهو الآن أوفى وأوضح إدراكا لهذا ، بعد أن قامت هنا وهناك ، فى رقع فسيحة كالواحات فى الصحراء ، مزارع متقنة تنتج محصولات جيدة بإرشاد خريجى معهد الله أباد . وهو ينظر بلحظ الغيب إلى اليوم الذى تصبح فيه سهول الهند الواسعة مترعة بالثروة الزراعية ، وتصير فيه البلاد عضواً صحيحاً فى الجماعة العالمية .

قيل لعمر بن الخطاب : فلان لا يعرف الشرّ ، قال : ذلك أحرى أن يقع فيه .

** ** **

فى الطريق

فى محطة سكة الحديد بشارع ديربورن فى شيكاغو وقف بوليس حربىّ يصيح : اذكروا أسماء الأماكن التى تقصدونها حين تدخلون . وتدفق الجنود والبحارة ومشاة البحرية من الباب ، وكل منهم يذكر مقصده — ثم إذا البوليس يستوقف أحد مشاة البحارة وهو يحاول اجتياز الباب دون أن يعلن .

فصاح البوليس : هيا هيا — انطق . ما مقصدك ؟

فحدّق الجندى فى البوليس تحديقاً فاحصاً ثم ردّ هادرا .

— « تبّا لك ! ماذا تظنّ ؟ طوكيو » وتجاوزه متغاضياً .

لن ننسى

معسكر الاعتقال فى ميدانك حيث كان الألمان ينظمون قتل الناس أفواجاً

و . هـ . لورانس • ملخصة عن مجلة "ذى نيويورك تايمز"

السادة رأيت أبشع مكان على سطح الغبراء — ألا وهو معسكر الاعتقال الألمانى فى ميدانك ببولندة، والذى كان بحق « مصنعاً لإنتاج الموت » . وتقدر السلطات الروسية والبولندية أن عدد الأشخاص الذين قتلوا هناك من كل دولة من دول أوروبا قد بلغ ١٫٥٠٠٫٠٠٠ فى السنوات الثلاث الأخيرة .

رسم مأخوذ من صورة شمسية حقيقية لأفران حرق الأجساد

قصة عن فظائع الألمان بالغة ما بلغت من الوحشية والقسوة والنكر .

ولقد جست خلال المعسكر جميعه ، وفحصت حجرات الغاز المسدودة سداً محكماً والتى هلك فيها بالاختناق ضحايا كثيرة . ورأيت الأفران التى كانت تحرق فيها الجثث ، ورأيت عدداً كبيراً من الهياكل البشرية ، وأكثر من عشرين جثة لم يتسع وقت

ولا بد أن يرى الإنسان هذا المكان بعينى رأسه ليصدق ذلك . ولقد كنت حاضر أمر الكثير من الكشف عن فظائع الألمان ، ولكنى لم أقف قط على دليل أبين وأتم من هذا على جرائم الألمان . فلما أبصرته فى ميدانك أصبحت حرياً أن أصدق أى

الألمان لحرقها قبل اقتراب الجيش الروسى من لوبلن . وقد رأيت رماد العظام وقد كدس إلى جانب الأفران ليحمل إلى الحقول المجاورة وينثر لتسميد الكرنب . ورأيت فى كريمبتسكى — على مسيرة عشرة أميال شرقاً — قبوراً كثيرة يعاد فتحها . وشاهدت

وليم هـ . لورانس معروف فى الدوائر الصحفية بأنه مخبر ثقة يجمع الحقائق ويتركها تبين عن نفسها . وقد بدأ حياته الصحفية على صفحات « لنكولن ستار » ، وفى « أوماها ورلد هرالد » ، وراسل بعد ذلك الأسوشييتد برس ثم اليونايتد برس ، فصار رئيس مكتب مراسليها من مجلس الشيوخ فى وشنطن ، وفى سنة ١٩٤١ انضم إلى مكتب وشنطن التابع لنيويورك تايمز ، وفى السنة الأخيرة عهد إليه فى الذهاب إلى موسكو

٣٦٨ جثة من جثث الرجال والنساء والأطفال الذين قتلوا فى ميدانك بطرق مختلفة من القسوة والفظاعة ، وكان التعفن قد دب فى بعض أجزاء تلك الجثث . وتقدر السلطات عـدد الأجساد فى تلك الغـابة وحدها ٣٠٠,٠٠٠ جثة .

ولما كنت أحد جماعة مراسلى الصحف الأجنبية التى دعتها إلى بولندة لجنة التحرر البولندية القومية ، حضرت اجتماع اللجنـة السوفيتية البولندية لبحث الفظائع ، وناقشت الشهود ، وبينهم ثلاثة من ضباط الألمان فى ذلك المعسكر . وقد اعترف هؤلاء الرجال بصراحة أن ميـدانك كانت محلا للإبادة المنظمة — ولو أنهم بطبيعة الحال أنكروا اشتراكهم فى حوادث القتل ، ومن المحتمل أن يقدموا للمحاكمة لما قاموا به فى إدارة معسكر الموت .

وإليك قصة سمعتها من هانز ستاوب ، وهو سجين سـابق اعتقل لاتهامه ببيع اللحم فى السوق السوداء بألمانيا ، وقد خلفه الألمان المنسحبون فى ميـدانك ، فانسل ستاوب يوماً إلى داخل الحاجز المبنى بالآجر حول مكان حرق الجثث واختبأ ، وسرعان ما جاءت سيارة ضخمة تقل ما يقرب من اثنى عشر أسيراً ، وأمرهم الجنود بأن ينزلوا ويتجردوا من ملابسهم ، فرفضت ذلك امرأة بولندية ، فأثار ذلك غضب النازى الذى كان إليـه أمر حرق الجثث ، وكان اسمه مسفلد ، فأوسـعها ضرباً . ولما علا صراخها صاح بهـا قائلا : « سـأحرقك حية ! » وأمر اثنين من أتباعه بأن يشدوا وثاق ذراعى المرأة وساقيها ، ثم ألقوها على لوح من الحديد ودفعوها إلى الفرن .

قال ستاوب : « فسمعت صرخة واحدة عاليـة ، ورأيت شعرها يشتعل ثم غابت فى الموقد » .

وكما شهد الشهود ، كان يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ هو اليوم الذى بلغ فيه عدد القتلى فى ميدانك أقصى حده ، فقد قتل الألمان فيه ما بين ١٨,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ من الأسرى بالرصاص والشنق والغاز ، وما إلى ذلك من الأساليب .

وعندما يدنو المرء من ميدانك يطالعه منظر معسكر الاعتقال يشبه تمام الشبه تلك الصورة التى تبدو فى أفلام السينما . وأول ما تأخذه العين هو منظر سور بالأسـلاك الشائكة يبلغ ارتفاعه اثنتى عشرة قـدماً تسرى فيه الكهرباء ، وفى داخـله ترى زمراً بعد زمر من المبانى الخضر — تتجاوز المئتين — تشبه ثكنات الجند فى الولايات المتحـدة . وفى خارج السور أربعة عشر برجاً عالياً للمدفعية ، وفى أحد طرفيه حظائر

بها ٢٠٠ كلب من الكلاب الضارية المدربة على مطاردة الأسرى الفارين .

وعلى مقربة من المدخل بيت الاستحمام ، وكان يدخله الأسرى المحكوم عليهم بالإعدام خنقاً بالغاز ليخلعوا ملابسهم ويغتسلوا . وكان المتبع أن يغتسل الضحايا بالماء الساخن قبل الإعدام ، لأن الماء الساخن يفتح المسام ويزيد سرعة تأثير الغاز . وكان بعضهم يقتل فى الحجرة المجاورة المحكمة الإغلاق، ومن خلال ثغرات فى السقف كان الألمان يسقطون حقاقاً من غاز الزيكلون ب السام ، وهو مكون من بلورات الحامض الهيدروسيانيك ، فهو يجهز عليهم بالموت.

وعلى مقربة من بيت الاستحمام حجرتان من حجرات الموت صالحتان لاستعمال غاز الزيكلون أو أول أكسيد الكربون ، إحداهما مساحتها سبعة عشر متراً مربعاً ، وفيها — كما علمت — أعدم الألمان من ١٠٠ إنسان إلى ١١٠ ، وحول أرض الحجرة أنبوبة من الصلب فى كل خمسة وعشرين سنتيمتراً منها فتحة ينبعث منها غاز أول أكسيد الكربون . وفى حجرات الموت كوى مغطاة بالزجاج كان الألمان يستطيعون من خلالها أن يراقبوا تأثير الغاز فى ضحاياهم ليقرروا متى تحمل الأجساد .

وعلى مسافة ميل من حجرات الغاز فرن ضخم من الآجر، وهو يبدو كمستوقد صغير فى معمل صلب ، ويستثير نار وقوده منفاخ يعمل بالكهرباء ، وفى كل جانب من جوانبه خمس فتحات ، ففى جانب توضع الأجساد ، وفى الجانب الآخر يزال الرماد وتشعل النيران . وكان لبطاريات المستوقد قدرة على حرق ١٩٠٠ جثة فى اليوم الواحد .

وعلى مسافة غير بعيدة من المستوقد كان عدد كبير من الأوعية الخزفية ليحفظ فيها الألمان رماد بعض الضحايا كما يقول الشهود ، وكان ذلك الرماد يباع لأسر الضحايا لقاء مبالغ تصل إلى ٢٥٠٠ مارك .

وقد ألفيت منضدة من الأسمنت رأيناها ، كان الألمان يضعون عليها أجساد الضحايا قبل إحراقها وينتزعون منها الأسنان الذهبية، ولم تكن الأجسام تقدم للحرق إلا بعد أن يوضع على صدورها طابع ليدل على أنه قد تم البحث عن أسنانها الذهبية .

وفى المعسكر مخزن كبير شاهدت عند طوافى به عشرات الآلاف من الأحذية مركومة على أرضه مثل الحبوب فى البيدر ، وقد رأيت هناك أحذية أطفال لا تتجاوز أعمارهم سنة واحدة ، وأحذية شبان وشابات وكهول ونساء عجائز ، وكانت جميعها قبيحة الشكل ، لأن الألمان لم يستعملوا هذا المعسكر لإبادة ضحاياهم فحسب ، بل اتخذوه أيضاً

وسيلة للحصول على ملابس للشعب الألمانى .
وهذه هى الأحذية التى لم تصلح له ، وكان بعضها فيما يبدو غالى الثمن ، وبينها زوج أحذية ورد من أمريكا وعليه علامة تدل على ذلك .

ورأيت فى مخزن آخر فى لبلن عشرات الآلاف من الملابس المأخوذة من الذين قتلوا هناك ، فسألت ضابطاً ألمانيا فاعترف لى أنه أشرف على شحن ١٨ عربة بالملابس المنزوعة عن أجسام الأشخاص الذين قتلوا فى ميدانك فى مدى شهرين .

والنازيون الذين تقع عليهم تبعة الجرائم التى ارتكبت فى ميدانك معروفون ، والبولنديون الذين حادثناهم يعتقدون أن هؤلاء الرجال يجب أن يقتلوا بنفس الطريقة الرهيبة التى استعملوها فى المعسكر . وقد أبدى لى أسفه نائب رئيس لجنة تحرير بولندة القومى « أندرو ويتوس » ، لأن الفريق من الأمريكيين والبريطانيين الذى يرى المياسرة فى عقد الصلح مع ألمانيا ، لن تتاح لرجاله الفرصة ليشاهدوا هذا البرهان القاطع على وحشية الألمان . وتنوى اللجنه أن تبقى أهم جزء فى ميدانك على ما هو عليه الآن ، ليكون معرضاً للوحشية الألمانية تراه الأجيال القادمة .

من علمه الحذر ؟

فى شتاء اشتد برده فى كارولينا ، وعز فيه على الحيوانات البرية الصغيرة أن تجد ما تقتات به ، جعل دان الصياد العجوز يعيد على مسامعى خبر بعض القوارض التى دأبت على سرقة الطعم من أحد فخاخه دون أن تترك وراءها أثراً ينم عليها . وقال دان : « كنت كلما جئت إلى ذلك الفخ ألفيت عصاً ملقاة عليه ولا أثر للطعم » .

فلما أردت أن أميط اللثام عن هـذا السر وضعت آلة تصوير بين أغصان شجرة قريبة ، وأخفيت أسلاكا لالتقاط الصورة عندما ينقبض الفخ .

وعدنا بعد يومين فألفينا الطعم قد سرق مرة أخرى ، وهرعت فى لهفة إلى المنزل لأحمض الفلم . وقد ظهر فى تلك الصورة راكون (حيوان أمريكى من اللواحم) كبير مقع على خلفيتيه ، ينخس الفخ بعصاً صغيرة فى كفه اليسرى .

ولست أدرى أى عقل حكيم أوحى إلى الراكون بهذه الطريقة الماكرة ، بيد أنى على يقين من أنه قد لقى من انبخاخ كارثة شديدة من قبل ، جعلته حذراً حريصاً . فلقد بدا واضحاً فى الصورة أن يده اليمنى فاقدة .

[كليفورد بك]

مصارف "لقطع الغيار" البشرية

لويس ماتوكس ميلر

المستودعات المعروفة بمصارف الدم ، حيث تحفظ مقادير منها للاستعمال عند الحاجة ، آيات فى إنقاذ الحياة ، حفزت العلم الطبي للبدء فى إنشاء مصارف تودع بها أعضاء من الجسم البشرى أو أجزاء من أعضائه ، لتكون كقطع الغيار فى السيارات ، وينتفع بها فى الجراحة كلما مست الضرورة .

مصرف العيون : ألوف من الناس ، تبلغ عدتهم ۱۰۰٫۰۰۰ ، ممن غشيت أبصارهم أو أدركهم العمى من جراء فساد القرنية ، ذلك الغشاء الصافى الشفاف الذى يكسو حدقة العين ، لا يفتأون يترقبون بفارغ الصبر تلك الجراحة المرجوة التى تعينهم على استئناف النظر من جديد[1] . وهى جراحة دقيقة غاية الدقة ، ولعل القدرة عليها لم تتيسر لأكثر من ۲۰ جراحاً فى الولايات المتحدة، تؤخذ فيها بضعة من قرنية صافية فتخاط بمهارة مكان الغشاء الضرير .

والظفر بالعيون لم يزل هو العقبة فى سبيل هذه الجراحة ، فمن النادر أن يرضى إنسان حى أن يهب إحدى عينيه . وقد يحدث بين الحين والحين أن يوصى شخص ما بعينيه للعلم بعد وفاته ، ولكن لم يحدث قط أن توفر من العيون ما يسد الحاجة ، فما استطاع الجراحون أن يجروا هذه الجراحة إلا لماما .

والآن أنشأت مستشفيات مدينة نيويورك أول مصرف للعيون فى العالم ، فاتفق تسعة عشر مستشفى على توريد العيون ، فتتصل بأولئك الذين رضوا بأن يهبوا عيونهم بعد الموت ، وتمهد لهم توقيع الوثائق القانونية الضرورية ، ثم تستأصل عيونهم عقب وفاتهم مباشرة . وتتولى كتيبة سيارات الصليب الأحمر الأمريكى نقل هذه العيون على عجل إلى مستشفى نيويورك حيث تختزن فى مصرف مصل الدم تحت حرارة مناسبة ، حتى تجىء ساعة الحاجة إلى استعمالها .

وفى الإمكان أن تستعمل عيون الأجنة الذين يولدون أمواتاً ، ولكن المتوقع أن يكون المصدر الأول من عيون الكبار من الواهبين . وفى ذلك يقول أحد الأطباء : « إن وقف عينى رجل قد مات على إعادة البصر إلى كائن حى ، لولاهما لعاش فى

---

(۱) انظر مقال « عين لعين » المختار مارس سنة ١٩٤٤ صفحة ١٣

الظلام ، هو ولا ريب تذكار جميل » .

مصرف للأعصاب المجففة : الجروح التى تقطع الأعصاب الهامة معضلة من أعقد المعضلات التى تواجه الجراح ، فهى إذا لم يمكن رتقها تورث المريض عاهة مزمنة . وقد يمكن أحياناً تقريب طرفى العصب المقطوع ووصلهما « بغراء للأعصاب » متخذ من الدم ، ولكن رتقها إذا تهتكت أجزاء منها لم يزل أمراً مستحيلا . وقد حاول الجراحون أن ينقلوا أعصاباً من الجسم من مكان لتوضع فى مكان آخر ، ولكن النتائج لم تكن قط باعثة على الرضى فى جميع الأحوال .

وقد احتاج الجراحون حاجة ملحة إلى وسيلة ما لاختزان قطع احتياطية من الأعصاب وحفظها من التلف ، لاستعمالها كلما دعت ضرورات الجراحة . فاخترع الدكتور بول وايس من مستشفى شيكاغو طريقة تمكنه من أن يثلج قطعاً من الأعصاب ساعة تستأصل ، ثم يجففها فى أجهزة مفرغة من الهواء إفراغاً تاما ، ويختزنها فى أوان معقمة مسدودة .

وقد وفق الدكتور ر . م . كليم وزملاؤه بمدرسة الطب فى جامعة سان لويس إلى القيام بعمل بارز رائع فى تطعيم الأعصاب والتعويض عما فقد منها ، فاستعملوا فى ذلك أعصاباً مستأصلة ومختزنة . وقد قاموا الى الآن بعمل ٢٨ طعماً لأعصاب ظاهر الجسم وكانت النتائج موفقة توفيقاً يبعث على الدهش عدا حالتين لم يئن أوان الحكم عليهما . وفى إحدى هذه الحالات أعاد هؤلاء الأطباء مجموعة الأعصاب التى تسيطر على ذراع بأكملها . وقد اقتضى ذلك وصل أطراف ستة أعصاب من ناحية الكتف بنهايات سبعة عشر عصباً من ناحية الذراع ، ويظن أن هذا العمل البارع لا نظير له ، ويرى الدكتور كليم نفسه أنها أروع جراحة قام بها فى حياته .

واستعمل الروس قطع الأعصاب المحفوظة المستأصلة من جثث القتلى فى المعارك فى جراحات الرتق . ويستفاد من التقارير الروسية أن الأذرع والسيقان التى مزقتها الحرب تعاد بهذه الطريقة إلى حيث تؤدى أعمالها كاملة .

القنطرة الشريانية : منذ سنتين وحسب كان الجرح الذى يقطع الأكحل ، وهو الشريان الرئيسى فى الذراع أو الساق ، ينتهى بالأكلة (الغنغرينا) وبتر الطرف المصاب فى كل حالتين من ثلاث حالات ، أما اليوم فإن استعمال قطع الأوردة المحفوظة بعد علاجها بالتثليج السريع ، قد قلل من حدوث ذلك تقليلا عظيما .

اخترع الدكتور أرثر هـ. بليكمور والدكتور جير و. لورد والدكتور بول ستفكو من أطباء المركز الطبي الإنجيلي بكولومبيا بولاية نيويورك ، القنطرة الشريانية البارعة ، وذلك بأن يبطنوا أنبوبا صغيراً من الفيتاليوم بقطعة من الوريد البشرى المحفوظ ، ثم يعطفون أطراف الوريد على طرفى الأنبوب حتى تطوقها كسوار كم القميص ، ثم يدسون نهايتى الأنبوب فى جُذامتى الشريان المقطوع ويثبتون بعضها على بعض بخيوط الحرير ، فيجرى الدم بغير عائق خلال الأنبوب المبطن بالوريد ، ويبدأ التحام طرفى الوريد بجذامتى الشريان لساعته ، ويظل أنبوب الفيتاليوم حيث هو طول حياة المريض لا يؤذيه . ويعتقد الأطباء أن مصارف الأوردة المثلجة ستعم المستشفيات فيما بعد الحرب .

غضاريف من جثث الموتى: الغضاريف ، تلك الرقائق الصلبة المرنة فى الجسم البشرى ، هى إحدى الأدوات المهمة لجراحة التجميل وخاصة فى مثل تقويم الوجوه بتشكيل الأنوف أو الآذان تشكيلا جديداً ، وكان يؤتى بها عادة من أضلاع المريض نفسه بجراحة فى الصدر كريهة .

ظل الأطباء إلى وقت قريب يحاولون استكمال الوسائل لحفظ الغضاريف المأخوذة من جثث الموتى ، إذ توقعوا أن يكون كثير من الجراحات التجميلية ضرورياً للجرحى والمشوهين فى أعقاب هذه الحرب . وكان عيب هذه الغضاريف المحفوظة إسراعها إلى التحلل فيمتصها الجسم .

ويبدو أن خير محلول لحفظها هو ذلك الذى أبدعه الأطباء ج. ب. أوكونور و ج. و. بيرس من سان فرنسسكو . فالدكتور أوكونور يختزن قطعه الاحتياطية من الغضاريف فى إناء معقم مملوء بسائل ملحى خاص يحفظ فى الثلاجة ، ويبدل كل أسبوع . ويقول الدكتور أوكونور إنه وفق فى استعمال طعوم من هذه الغضاريف بعد حفظها سنتين ، بل وجد أن الغضاريف المحفوظة بطريقته لها مزايا معينة تفوق بها الغضاريف الغضة المستخرجة من جسم المصاب نفسه .

وقد وضع الدكتوران أوكونور وبيرس طعوماً من الغضاريف فى ٣٧٥ حالة خلال السنوات الخمس الماضية ، وقد حافظت هذه الطعوم على شكلها الأصيل فى كل هذه الحالات إلا فى سبع منها : امتص الجسم الغضروف فى واحدة منها وحسب .

ويبدو اليوم أن مصرف الغضاريف سيكون أداة هامة فى تقويم عيوب الوجوه الناشئة عن هذه الحرب العالمية الثانية .

دخل رجال طائرة محطمة ، مدينة لاسة المقدسة ، على صهوات الجياد.

كيف رأوا المدينة المحرّمة

ملخصة عن مجلة "كوليير"

كورى فورد و الاستير ماكبين

لما عادوا إلى قاعدتهم فى الهند بعد اثنين وأربعين يوماً قضوها فى سفر مضن على ظهور الجياد ومشياً على الأقدام فى اجتيازهم سلسلة جبال هملايا — كانت المغامرة كلها تبدو ضرباً من الأحلام.

أجل ، إنهم كانوا يلبسون أحذية التبّت المصنوعة من الجلد الأسود ، والمشدودة برباط من فراء القطط البرية ، وقد فصلت بحيث يصلح كل فرد حذاء لأى القدمين شئت ، كما أنهم كانوا يحملون بعض نقود التبت التى يرجع تاريخها إلى ألفى عام . أما مدينة لاسة المقدسة ، التى لم يرها أحد فى التاريخ قبلهم سوى خمسة من الأمريكيين ، وأما الشوارع الضيقة التى لم تجر على أرضها عجلة قط ، وأما قصر « الدالاى لاما » القرمزى الذهبىّ وكلابه الضارية المشدودة إلى أبوابه لتحميها — أما هذا كله فلم يكن سوى حلم من الأحلام .

حلم مزعج : هكذا وجده الكوربورال كنيث سبنسر ، فهو يقول إنه ليس فى التبت شيء لا تجد ما يبلغ ضعفه حسناً فى بلدة روكفيل سنتر بولاية نيويورك . لقد سئم الكوربورال سبنسر تلك المغامرات ، فهو يقول : « أريد أن أعود إلى روكفيل سنتر ، وأريد أن أعود إليها بالقطار » .

كانت طائرة النقل التى تقلهم عائدة إلى الهند من كونمينج فى الصين ، فانحرفت عن طريقها ، وانقطع اتصالها اللاسلكى بقاعدتها ، وكاد وقودها ينفد ، ونظروا من خلال ثقب فى برج الطائرة فرأوا أضواء مدينة حسبوها « تشابوا » فى الهند ، ولكنهم كانوا فى الواقع يحلقون فوق بلاد التبت . ثم نظروا بعد برهة فرأوا أمامهم سحابة راعدة وصاح أحدهم على الأثر : « إن فيها صخوراً » .

وسرعان ما جذب الملازم كروزير عصا القيادة فى اللحظة الأخيرة ، وكانوا عندئذ على ارتفاع ٢٥,٠٠٠ قدم ، ولكن الجبال كانت أكثر ارتفاعاً ، إذ كانت تقارب قمة إفرست فى الارتفاع .

وسعل المحرك الأول ، وتلاه المحرك الثانى ، ثم انقطع عملهما جميعاً . فدفعوا الباب الخلفى بالأقدام وقفز خمستهم ، واحداً بعد واحد ، فى جوف الليل البهيم المطبق ، ومالت الطائرة هاوية حتى اجتازت الوادى

واصطدمت بسفح الجبل واندلعت فيها ألسنة اللهيب ، ثم ساد السكون .

وقد لاقوا جميعاً في هبوطهم عنتا شديداً ، وتناثروا على مسافة ميل فوق سفح الجبل ، وأدركوا أن ليس من الحزم أن يبحث بعضهم عن بعض في الظلام ، فتزملوا بمظلاتهم ، واستلقوا حيث كانوا في البرد القارس ، وفي جو مريض الأنفاس حتى إنهم ليلهثون ابتغاء التنفس . فلما لاح الفجر أخذ كروزير يناديهم ، حتى عرف مكان الملازم هارولد ماكالم والجاويش سبنسر . أما الجندي جون هفمان والجاويش وليم بارام ، فلم يسمعا النداء ، لأنهما كانا على السفح الآخر من الجبل . ومضى كروزير وماكالم وسبنسر يشقون طريقهم في عناء شديد هبوطاً إلى الوادي ، وقد أصابتهم الرضوض والخدوش من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، ولبثوا يهيمون حيرى يومين على ضفاف النهر حتى بلغوا إحدى القرى ، فتجمع القرويون من حولهم ، يجذبون ملابسهم وقد ثاروا حولهم وهم يلغطون . وبدأ الطيارون الثلاثة يتراجعون مذعورين ، وأطلق كروزير مسدسه في الهواء مرة أو مرتين . وقد قال يصف ما حدث : « رأينا كثيراً من الصلبان المعقوفة مرسوماً على جدران المنازل ، فشب الفزعُ نارَ الغيظ في قلوبنا ، حتى اكتشفنا أنها لم تكن سوى رموز دينية وحسب » .

وكان ماكالم يعرف شيئاً من اللغة الهندستانية فقال على سبيل التجربة والاختبار : « السلام عليكم ! » فأجابه قروي يدعى « سناء الله » : « عليكم السلام » .

وعندئذ أدرك ماكالم أنهم أصدقاء . قال ماكالم : « كان التعب قد أخذ منا مأخذه حتى لا نكاد نقوى على السير . وزاد الطين بلة أن الصبية لم يكونوا قد رأوا قبل ذلك رجلا أبيض ، فراحوا يتعلقون بأذرعنا ويحملقون في وجوهنا » .

ومضى الثلاثة وقد جر كل منهم بيديه طفلين عن يمين وشمال ، ودخلوا بيت « سناء الله » يترنحون ، فارتموا على الوسائد وشربوا من لبن الماعز الساخن وأكلوا خبزاً أسود . وكانوا يعاملون كالأطفال ، فما كان أهل التبت يعتقدون أن إنساناً في مثل هذه السن من حداثة الشباب يمكن أن يغترب هذه الغربة النائية عن وطنه . والصبي في التبت لا يعتبر رجلا إلا إذا مات أبوه ، ولهذا تجد في التبت في بعض الأحيان « صبياً » في الأربعين من عمره . وكان سبنسر في التاسعة عشرة من عمره حسب ، فكانوا يدللونه حتى كان يتميز غضباً ويهدد بأن يضرب أي مخلوق يحاول أن

يكبكبه فى فراشه حين يمسى الظلام !

وجاء رؤساء القرى المجاورة يزورونهم وهم يرتدون مطارف أرجوانيـة مبطنة بالفراء ، وقبعات غريبة كالمخروط المقلوب طولها ثلاث أقدام ، وكل منهم فى أذنه اليسرى قرط من الذهب . ويفسر كروزير ذلك بأنهم يعتقدون أن القرط الفرد أشد استرعاء للنظر من القرطين معاً .

وأحضر الرؤساء معهم هدايا من البيض — وهو من أندر الأشياء فى التبت — ولحم الضأن والسجائر ، وتحلقوا وجلسوا فى وقار وأخـذوا يتحدثون . وترجم « سناء الله » حديثهم إلى الهندستانيةفقال : « يقولون إنهم سيرسلون النبأ إلى حكومتكم فى الهنـد » . فصاح ماكالم فى لهفـة : « الهند ؟ تباً ! وأين نحن الآن ؟ »

فقال سناء الله : « فى التبت » . وذهل الطيارون الثلاثة .

ولما كانوا يعتقدون أن هفمان وبارام على مقربة منهم ، فإنهم أقنعوا الرؤساء بأن ينقلوا إليهم رسـالة من قرية إلى قرية . وكتب كروزير على ورقة هذه الكلمات : « إننا فى قرية تسيتانج . الحقا بنا هنا . ونحن جميعاً فى التبت . والله يعلم كيف كان ذلك . لا تجزعا واعتصما بالصبر » .

وعندئذ اندفع هفمان يتم القصة : « تلقيت الرسالة فى الليلة التالية ، وكنت قد قابلت بعض القرويين فأرادوا أن يأخذوا خيوط مظلتى الهابطة ليزينوا بها ملابسهم ، فقايضتهم بها بعض الشاى والخبز ، وأعطيتهم خنجرى لأقنعهم بصداقتى ، ولكنى عند ما أويت إلى فراشى فى تلك الليلة وجدت الخنجر تحت وسادتى . وأعتقد أنهم أرادوا أن يظهروا ثقتهم بى كذلك » .

واستطرد هفمان يقول : « ومهما يكن من أمر فإننى لم أكد أتسلم الرسالة حتى قدم لى الأهلون حصاناً وبعض المال ودلونى على تسيتانج ، وما أشد غبطتى أن أرى سائر رفاقى » . وفى تلك الليلة عينها لحق بهم بارام ، وكان يشكو ألماً ممضاً من ذراع مكسورة .

ولم يكن أملهم فى النجـاة أملا مشرقاً كل الإشراق ، فلجأوا إلى الحاكم المحلى ، وهو رجـل على هيئة بوذا فى ضخامتـه ووداعته ، يرتدى حلة من الحرير صفراء فاقع لونها ، فقدم لهم الشاى والبسكويت ، ولكنه ألقى فى نفوسهم اليأس بأسـلوب رقيق . وجاءهم ، من مكان يبعد عنهم مئة ميل ، ناسك بوذى يتكلم الإنجليزية ليسرى عنهم ، ولكنه زادهم ضيقاً وكآبة حين قال لهم : إن الطرق يعلوها الجليـد ، والجبال زاخرة بقطاع الطرق ، ولا بد لهم من رفقة كافية من الجنود لحمايتهم .

ثم وصل ذات ليلة طبيب ضئيل الجسم من أهل نيبال من رجال المكتب السياسى البريطانى ، اسمه صاحب را بو ، وتبين أن للدكتور بو سلطاناً عظيما على الناس ، إذ راح يطوح بعصاه ذات المقبض الفضى ويدق بها الأرض ، وأمر الرؤساء أن يقدموا لأصدقائهم الأمريكيين أفخر ما عندهم من الطعام والنبيذ ، وجمع فى يومين اثنين عدداً كبيراً من الخيل والأدلاء . ثم أعلن وهو يبتسم ويعرك كفيه ، أنه سيتولى إرشادهم بنفسه إلى الطريق فوق ممر جوبا إلى لاسة.

وخرجت القرية كلها تودعهم ، وأعطى رؤساء القرية لضيوفهم الراحلين مطارف من الفرو الكثيف ، وأحذية مبطنة بالفراء ، وأغطية من الصوف — أدهشهم أنها مصنوعة فى اليابان — وكوفية لكل منهم مصنوعة من نسيج الخشب ، ولكنه ناعم كالحرير .

وقد رأوا عن بعد من موكبهم أسراباً من أهل التبت يتحركون صعوداً وهبوطاً على الجبل كالنمل ، قد حملوا بقايا الطائرة المحطمة ، وكانوا إذ ذاك قد فرغوا من برج المدفعية أو كادوا ، وكان أحد المحركات قد ألقى بعيداً عن الطائرة فى بركة متجمدة . فراح نحو خمسة عشر رجلا من أهل التبت يحاولون عبثاً أن يخرجوا محركا من وسط الجليد ، غير مدركين أنه متصل من طرفه الآخر بآلة وزنها طن كامل . وشاهد سبنسر رجلا يجمع راديو الطائرة ، وقد تناول الرجل فأساً شطر بها الراديو نصفين ليسهل عليه حمله بعد ذلك .

وراحوا يصعدون فى الجبال ساعة بعد ساعة ، والخيل تتعثر فى طريقها على شفا الهاوية ، ولربما انهارت صخرة فهوت ميلا إلى قعر الهاوية ، وكان لا بدّ لهم من أن يريحوا خيلهم مرة كل بضع دقائق لقلة الأوكسيجين . واستراحوا ليتناولوا طعامهم من لحم الماعز البارد ، فكان عسيراً عليهم بعد ذلك أن يعتلوا ظهور الخيل مرة أخرى . وأخيراً وصلوا إلى القمة على ارتفاع ١٨٫٩٠٠ قدم ، ومن ثم رأوا فى بطن الوادى على جانب أحد الأنهار المنحنية قباب « المدينة المحرمة » وأبراجها التى يجرى حديثها مجرى الأساطير .

وكان الدكتور بو قد طيّر إلى الناس نبأ مقدمهم ، ولم يعرفوا قط كيف استطاع أن يفعل ذلك ، فوجدوا خباء ضخماً من الحرير مضروباً على شاطئ النهر ، وشهدوا فى داخله منظراً من مناظر ألف ليلة وليلة ، فهناك السجاجيد العجمية النفيسة تكسو الأرض ، ومائدة طويلة تحمل أطباقاً من الفضة والصينى الفاخر ، عليها الفطائر والحلوى ، ودنان من جعة التبت الصرف

المصنوعة من الشعير ، وزجاجات من الخمر ، والنبيذ الصينى المعتق . وراحوا يملأون أباريق الفضة ويشربون تحية ضيوفهم ، ثم يملأونها ويشربون تحية الدكتور بو ، ثم يشربون تحية التبت ، وتحية أمريكا ، وتحية الدالاى لاما ، وتحية الرئيس روزفلت ، وشرب سبنسر تحية روكفيل سنتر ، وعندئذ خيل إليهم أن الخيام تهتز ، وأن صوراً مختلطة متعددة للدكتور بو تلح عليهم أن يستأنفوا الرحيل ، فإذا هم على ظهور الجياد فى طريقهم إلى لاسة وقد غمرتهم نشوة لذيذة ، وأخذوا يترنحون وهم على سروجهم .

وهم لا يذكرون شيئاً كثيراً عن دخولهم المدينة المحرمة ، ولكنهم توهموا ، كما قالوا ، أن ألوفاً من الناس كانوا قد اصطفوا على جوانب الشوارع ، وأن النساء كن يبتسمن لهم من الشرفات وقد تحلين بأقراط الأنوف المرصعة بالجواهر ، على حين كان الأطفال السمر والحمير البيض يتواثبون من بين سنابك خيولهم ، ولاح لأعينهم الصرح الرخامى الذى يقيم فيه الدالاى لاما ، منيفاً على سائر مبانى المدينة ، مزداناً بالقباب الذهبية المتلألئة . فلما مروا أمامه أخذت الكلاب الضخمة المسلسلة تثور إليهم ، كما كان يخيل لهم ، فى الفينة بعد الفينة ، أن شبح أحد حراس التبت الغلاظ القساة يسبح نحوهم من خلال الضباب . ثم وقفت بهم الخيل فجأة عند دار الحكومة البريطانية ، وهرع إليهم ميجور بريطانى بسط لهم ذراعيه قائلا : «هيا ادخلوا وأصيبوا شيئاً من الشراب» .

وقضوا خمسة أيام ممتعة مع الميجور شريف وزوجه . وكانوا يهنأون بالحمامات الساخنة وينامون فى فرش حقيقية ، ويتناولون مثلجات منزلية ، ويلعبون البنج البنج مع زوجة شريف . وفى إحدى الليالى أراهم ميجور شريف فلماً قديماً للممثلين الهازلين لوريل وهاردى ، وقد قال كروزير عنه : « لقد ضحكنا حتى بكينا » .

وطافوا فى شوارع لاسة الضيقة الملتوية ، واطمأنت نفوسهم حين رأوا من الناس المودة ، وكانوا يخشون أن يكون السكان قد غضبوا لطيرانهم فوق المدينة ، لأن أهل التبت يعتقدون أنه ينبغى أن لا يجترىء إنسان على أن يبلغ مكاناً أعلى من مكان الدالاى لاما ، ولكن القساوسة أشاروا إلى الطائرة المحطمة دلالة على ما يصيب الخاطئين المجترئين ، وبهذا أرضوا الناس .

وكانت حكومة التبت فى الوقت ذاته تجهز قافلة لرحيلهم ، فاستطاعوا أخيراً أن يبدأوا رحلتهم الطويلة عائدين إلى الهند . وكانوا كلما تقدموا ميلا ازدادت المغامرة كلها بعداً عن الواقع وقرباً من الخيال .

كيف تعاشر من تحب

إدوارد زيجلر

ملخصة عن مجلة «كيوانس»

إنها لإحدى سخريات الحياة أن يكون أحب الناس إلينا هم فى الغالب أشد إثارة لنا من أعدائنا .

وعيت تلك الحقيقة حين كنت أتحدث أخيراً إلى شاب يافع على أثر وفاة أبيه ، كان مما حيّره أن أباه وأمه لم يوفقا فيما يبدو إلى حسن المعاشرة ، وكان يحس فى قرارة نفسه أن كليهما كان يحب صاحبه ، بيد أن أظهر ما بقى فى ذاكرته من حياة والديه هو ما كان يقوم بينهما من نِقار .

دفعنى هذا الحديث إلى التفكير : إننا نستطيع أن نحتمل الثقلاء ومن لا نحب من الناس بأن نضمر لهم الحيطة وأن نعاملهم بأدب ، بيد أنه قد يحدث كثيراً فى حياة الأخذ والعطاء التى تجمع بين الناس أن نغضب أو نذهل لملاحظة عارضة أو موقف يقفه إزاءنا واحد ممن نحب ، وليس ثمة وسيلة سهلة لدفع مثل هذا الأذى من عزيز لدينا . ولذلك كثيراً ما يشوه جمال العلاقات التى ينبغى أن تكون قوية عميقة ذلك الاحتكاك الطفيف ، وما ذلك إلا من جراء هذه الخلطة الدانية .

ولعل من بعض السبب أننا نترك أدق أسباب المواءمة بين النفسين للمصادفات ، فنحن نتقبل الشدائد الطارئة كأن لا محيص عنها ، ونواجهها كلما قامت بحل مؤقت ، ربما كان لحاجة تافهة أو جهامة وعبوسا . ولكنه لا ينبغى أن تتعرض العلاقة الجالبة للسعادة لمثل هذه الأزمات المتكررة ، فإن معاشرة من لا نطيق أن نستغنى عنهم من الناس تقتضى تدبيراً موضوعاً يتقى به المرء ماينتاب عواطفه ، ويستديم به أسباب الوفاق .

ولمثل هذا وسائل عديدة بسيطة فى متناول يدنا ولكننا نهملها . وإحدى هذه الوسائل أن نعرف الأشياء الصغيرة التى تدخل السرور على شخص آخر وأن نعمل بها . فالأزاهر تقدم فى العادة مثلا للاحتفال بمناسبة خاصة ، فإهداؤها مفاجأة فى غير ما مناسبة له أثر بين . حدثتنى سيدة فقالت إنهم حين جلسوا ذات ليلة إلى مائدة العشاء رأوا فى وسطها باقة من الزهور الصناعية : وكان زوجها لا يعبأ بالزهور ولكنه كان يعلم شدة حب زوجه لها فعمل عملا بسيطاً

ولـكن كان له دلالته ومعناه ، حتى كنت أتبين فى وجهها وهى تقص على تلك القصة ، طرفاً من ذلك الإشراق الذى أضاءه تلك الساعة .

ويستطيع كل منا كل يوم أن يعرب بعمل بسيط سمح عن شعور طالما تركناه يضمحل ويذبل حتى يصير موضع شك . إن لمحة واحدة مقصودة من لمحات العطف كثيراً ما تغير حال بيت بأسره فى لحظـة . وكذلك الأعمال الصغيرة التى أحسن المرء اختيار وقتها تحرك فى النفس سلسلة لا تنقطع من آثار وقعها فى النفس .

حدث ذات يوم فى بيت جار لى أن استيقظ الابن ، وعمره ١١ سـنة ، وقام بإعداد طعام الفطور للأسرة، فأساء الطهى وأفسد الطعام ، وكان خيراً أن تقوم أمه نفسها بذلك . بيد أنى حين زرت الأسرة فى عصر ذلك اليوم ألفيت روح المرح التى خلفها ذلك الإفطار تسود الأسرة جميعاً . لعلهم كانوا يستمتعون استمتاعاً أكبر ولا شك إذا قدمت لهم وجبة من الطعام معدة إعداداً جيداً ، إلا أن تلك الوجبة ستظل من أسباب سرورهم ومتاعهم أياماً طويلة .

ثبطت همة صديق لى كان يحس أنه بطىء الخطى فى تقـدمه ، وقد كان أمراً سهلا — وغير مجد — أن تقول له زوجه أن تشجع، أو أن تلومه على تركه هذا الشعور يستولى عليـه ، ولـكنها جهدت فى عمل بيان بما أدرك زوجها من نجاح فى السنة المنصرمة ، لم تضمنه مآثره فى عمله فحسب بل ما قدمه لها ولأولادها أيضاً . ولا يزال هذا البيان حافزاً له ودليلا محسوساً لديه على أن زوجه تقـدره ، وأنها جهدت أن تقول له ذلك بطريقة لبقة حصيفة .

إن ما يربط أفراد الأسرة بعضهم إلى بعض هو فى الغالب تلك الأشياء التى يجمعون على حبها ويحلمون ببلوغها ، ويدبرون فيما بينهم أمرها ، ويشتركون معا فى عملها. تدبر مثلا تلك الطريقة المثلى طريقة القراءة بصوت جهير ، يجب أن لا يفوتنا ما تبعثه من حافز لتقوية روابط الزمالة والإخاء . إن فيها شيئاً من شعائر العبادة وإحساساً بتجديد ما يربط القارىء والمستمع من أفـكار . ويتضح صدق ذلك خاصة حين نـكف لـكى نناقش ما نقرأ ، فترى كل منا يقدر رأى أخيه حق قدره ، ويعرف كل منا أخاه ، بما يخلفه ذلك من آثار رجعه فى النفوس . لذلك كانت قيمة هـذه القراءة أكبر من أن تكون استمتاعاً محضاً ، فهى توثق شعور الألفة والوفاق ، وتقوم حائلا دون صدمات سوء التفاهم فى المستقبل .

من الصعب أن نحبس انتقال الشعور إلى

أحب الناس إلينا بالتوتر الذى يقوم فى أنفسنا من جراء ما يقع لنا فى أعمالنا ومعاملاتنا . إن الإدلاء إلى أهل المنزل بتفاصيل خلاف شجر بينك وبين رئيس أو زميل لك فى عملك ، هو استغلال لعواطف من تحبهم . وهذا هو مرجع كثير من الخلاف الذى لا يدرك له سبب فيما يبدو ، وينبغى لنا أن نتجنبه بكل ما نملك من وسائل .

درجت عروس صديق لى على أن تصلح أخطاءه على المائدة أثناء الطعام ، فكان يرد عليها بسخرية عن التهذيب المزعوم أو الآداب المتكلفة ، مما يفضى إلى الشجار ، فاقترح عليها ذات يوم أنه إذا عنّ لأحدهما اقتراح أن يدونه كتابة ، ونجحت الفكرة : فإما أن يكون الانتقاد تافهاً فلا يستحق الكتابة ، وإما أن تكون له قيمة فيلقى العناية ، مادامت كبرياء أحدهما لم تمس علانية بسوء .

ومن الخير أن نواجه الصعاب حين تقوم ولا ندعها تستفحل دون أن نوليها عنايتنا ، فلطالما شجرت متاعب فى شأن مسائل بعينها مرة بعد مرة ، لأننا لا نسوى الأمور حين تسوء لأول مرة ! إن مسائل سوء التفاهم التافهة حقيقة بأن تنسى ، ولكن مسائل سوء التفاهم الخطيرة يجب أن تفضّ لوقتها لئلا تعظم وتستفحل وتتمكن أصولها فى عواطفنا .

وليس ثمة شىء يذلل الصعاب كالمبدأ القويم . ومن الغريب أن نسمع بعضنا يتشدق بالمبادىء فى العلاقات الدولية ، وينسون جميع المبادىء فى علاقاتهم مع ألصق الناس بهم . إننا ندعو إلى حقوق الأقليات ونتجاهل حقوق أطفالنا . ولو احترمنا حق المرء فى الخلوة بنفسه لمهد ذلك تسوية مشاكل كثيرة تثير السخط فى البيوت . إن علينا على الأقل أن نسدى إلى أهلنا من المجاملات ما نسديه إلى أصدقائنا ، فإذا أراد صديق أن يتحدث بالتلفون انتحينا عنه ولم نتسكع فى جواره ، ألا ترى أننا لا نفضّ رسائل صديق أو نقتحم عليه داره دون دعوة أو إذن منه ؟ وليس للوالدين من الحق فى أن يتخلصوا من لعب أطفالهم أكثر مما للاطفال من الحق فى أن يمزقوا لآبائهم القصاصات التى يهتمون بها ويحفظونها .

ويقوم بجانب مبدأ احترام المرء حقوق غيره ، مبدأ التسامح فيما يتعلق بشذوذ غيرك من الناس ، وهو مبدأ يقضى على كثير من الصعاب ولعل أشد ما نعانى من ضيق النفس يرجع إلى أننا نتطلب فيمن نحب الكمال التام . فإذا كنت تظن أنه يجب أن يكون الزوج أو الزوجة أو الأبناء أو البنات لا عيب فيهم فإنك تستجلب إلى نفسك المتاعب . وإذا كنت تتطلب فيمن تحب أن لا تتغير لهم حال

فقد ضل سعيك، إذ تكلف الناس مالا تطيقه الطبيعة البشرية. وإن كثيراً من الأزمات التى تنشأ بين الوالدين وولدهما إنما تقوم لأن الولد لم يحقق ما كان ينتظر منه من أعمال فوق الطاقة. إنك إذا لم تتسامح تسامحاً كريماً فى نواحى الضعف الإنسانى ، وحتى فى الأخطاء المستقبحة ، كنت كمن يمشى بمن يحب على شفا هاوية ، لو زلت فى شعابها قدم لوقعت الكارثة . وليس ثمة شىء يحول بينك وبين أن تتطلب من الناس المستحيل إلا أن تتعود التسامح الممزوج بالصفح ورحابة الصدر .

إن المحافظة على أمن البيت وطمأنينته من آفات سوء التفاهم التافهة تتطلب منا جهداً واعياً . نعم لا بد من وقوع الخلاف إلا أن المعجزة الكبرى فى العلاقات الإنسانية هى أن نستطيع أن نعيش على وفاق على رغم هذا الخلاف . فإذا فعلنا ذلك كانت النتيجة آية فى الروعة والجلال . ليس ما نبغى طريقة للقضاء على المتاعب فحسب بل إننا نريد أن نعقد العزم على أن ننمى بكل وسيلة ممكنة تلك العلاقات التى لها فى أنفسنا أعظم تقدير .



نكتة فى أوانها

فى قديم العهد والأوان كان ملك وملكة شديدى الشغف بمهرج البلاط ، فقرّباه وجعلا يدعوانه لينفردا به فى العشاء . وفى إحدى الليالى أصرّ هذا النديم على قوله : « إن العذر قد يكون أقبح من الإهانة » .

فقال الملك : إما أن تقيم الدليل على ذلك وإما أن أصدر أمراً بقطع رأسك .

وانحنى الملك بعد العشاء يداعب كلبه ، فما هو إلا أن ركله النديم ركلة شديدة ثم صاح قائلا :

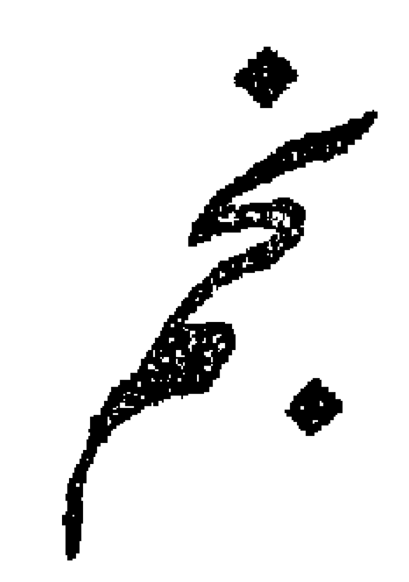
— عفوا يا مولاى ، فقد حسبتك الملكة !

[أليكس ف. أوزبورن]

☆☆☆☆☆☆☆☆

الغرور نعمة من الله لصغار النفوس .

[بروس بارتون]



نجم

ملخص قصة صغيرة من تأليف هـ . ج . ولـز

قليل من الناس من يتأتى له — إذا لم يكن ممن مارس العلوم — أن يتصور عزلة المجموعة الشمسية وما يفصلها عن سائر الأكوان من فراغ هائل . فإن الشمس وما يتبعها من سيارات كالذرات ، ونجيمات كالغبار، ومذنبات لا يدركها الحس ، تسبح فى فراغ هائل يكاد يقصر عن تصوره كل خيال . فمن وراء فلك نبتون فضاء ليس فيه حرارة أو ضوء أو صوت ، بل هو فراغ صرف يمتد عشرين مليون مليون ميل ، وهذا هو أقل تقدير للمسافة التى يجب اجتيازها للوصول إلى أقرب نجم إلينا . وإذا استثنينا بعض المذنبات التى هى أرق قواماً من اللهب ، فإنه لم يحدث قط أن اخترق جسم ما ، هذا الجوف من الفضاء ، إلى أن ظهر فى القرن العشرين زائر ضالّ ، وقد كان كتلة جسيمة من المادة اندفعت بغير إنذار من ظلام غيب السموات إلى وهج الشمس . وفى اليوم التالى أصبحت تُرى جليّة من خلال أى منظار صالح للرصد ، وبعد قليل صارت رؤيتها لا تتعذر من خلال منظار المسارح الصغير .

وفى اليوم الثالث عرف قراء الصحف لأول مرة ما لظهوره من خطر الشأن . ونشرت إحدى صحف لندن أن العالم دوشيين يرى أنه من المحتمل أن يصطدم هذا السيار الغريب الجديد بنبتون ، حتى أخذت معظم عواصم الدنيا تتوقع أن تتجلى فى السماء وشيكا ظاهرة عجيبة . فلما جنّ الليل تطلعت آلاف من العيون إلى السماء تتقصى النجوم المألوفة ، فإذا بها فى مواقعها التى لم تتحول عنها أبداً . ولكن المبكرين من قاصدى الأسواق رأوا هذا الزائر عند الفجر ، فقد ظهر لهم فجأة فى الأفق الغربى نجم أبيض كبير .

وقد مضى من النهار ساعة وهذا النجم لا يزال يتوهج ، وحوله هالة بيضاء كبيرة وهو فى وسطها قرص صغير مستدير لامع . وحبس العلماء فى مئات من المراصد أنفاسهم ذعراً ، حين رأوا هذا الجسم النائى يندفع نحو نبتون ، ومضوا يجمعون آلات التصوير والمطايف ليسجلوا هذا المشهد العجيب : مشهد عالم يدمر ويتحطم ، فإن نبتون عالم

هو أيضاً ، وهو من السيارات إخوة أرضنا هذه ، بل هو أكبر منها حجما ولا ريب . فهذا عالم يهوى كالشهاب ليفنى حريقاً والتهاباً ، وهذا النجم العجيب الذى انبثق من الفضاء قد صدم نبتون صدمة وقعت عليه كاملة فى صميمه . وقلبت حرارة الصدمة هاتين الكرتين الصلبتين إلى كتلة واحدة ضخمة متوهجة . وفى ذلك اليوم ظل هذا النجم الأبيض الكبير الشاحب فى طوافه حول الأرض مدة ساعتين قبل الفجر ، ولم يخب ضوؤه إلا حين مال إلى الغروب وطلعت عليه الشمس .

ولما طلع مرة أخرى على أوربا اجتمعت الجماهير على سفوح التلال وسطوح المنازل وفى الأرض العراء ، قد شخصت أبصارهم إلى الشرق ليروا مطلع هذا النجم الجديد العظيم . وطلع يتقدمه وهج أبيض كوهج النار الساطعة البيضاء ، أما الذين شاهدوا مطلعه فى اليوم السابق فقد صرخوا عند رؤيته قائلين : « لقد زاد حجما ! لقد زاد التماعاً ! » وأما العلماء فى المراصد المعتمة فقد حبسوا أنفاسهم ونظر بعضهم إلى بعض قائلين : « لقد زاد قرباً . زاد قرباً » .

رددت هذه الكلمات نقرات التلغراف ، واهتزت بها أسلاك التلفون ، وجمع حروفها فى آلاف من المدن عمال المطابع يتناولونها بأصابعهم الملوثة ، « لقد زاد قرباً » ، ولم يلبث الناس أن فطنوا وهم يتحدثون فى آلاف من أنحاء الدنيا ، إلى ما تحتمله هذه الألفاظ من معنى رهيب .

ومضى اليوم كما مضى غيره من الأيام ، ثم بزغ هذا النجم العجيب من جديد فى ظلام الليل الدامس ، وقد بلغ حينئذ من توهجه أن بدا القمر كأنه شبح شاحب . وكانت الدنيا كلها تلك الليلة مستيقظة ، وأخذت الأجراس فى آلاف من أبراج الكنائس تدعوا الناس أن لا يناموا بعد الساعة ، ولا يأثموا منذ اليوم ، بل أن يجتمعوا فى كنائسهم ضارعين إلى الله .

وظلت المنازل والطرقات مضاءة ، وتلألأت الأنوار فى أحواض السفن ، ولم يبق طريق يؤدى إلى الخلاء إلا أصبح غاصاً بالجماهير طول الليل ، وخرجت السفن مزدحمة بركابها من موانئها إلى المحيطات مولية شطر الشمال ، فقد أذاع البرق على العالم كله إنذارا أدلى به قطب أساتذة الرياضة جميعاً . قال : « إن النجم الجديد هو ونبتون ، بعد أن التحما وصارا ذا شعلة واحدة ، قد شرعا يتقذفان رأساً إلى الشمس . وإن هذه الكتلة الملتهبة تسير بسرعة مئة ميل فى الثانية ، وفى كل ثانية تزداد سرعتها المخيفة ، وأنها فى مسيرها الآن تمر بالأرض

على بعد مئة مليون ميل ، ولـكن طريقها يمر بالقرب من فلك المشترى ، ذلك السيار الجبـار الذى يدور حول الشمس مختـالا بهيا ، تحف به أقماره . وكلما توالت الدقائق زادت قوة التجاذب بين هذا النجم الملتهب والمشترى أكبر السيارات . فما هى عاقبة هذا التجاذب ؟ لا مفر للمشترى من أن ينحرف عن فلكه ويسير فى مدار إهليلجى ، وأن النجم الملتهب سينحرف بقوة الجـذب عن طريقـه المستقيم إلى الشمس ويصبح خط سيره قوساً منحنية . وربما اصطدم بالأرض ، وإلا فهو ولا شك سيمر على مقربة منها . وتنبأ قطب أساتذة الرياضة بأن الأرض ستعمها « الزلازل والبراكين ، والأعاصير والسيول ، وأن درجة الحرارة سترتفع إلى حد لا يعلمه إلا الله . . . »

ولـكن ينبغى أن لا تظن أن الدنيا كلها قد شملها الرعب من مخافة هـذا النجم ، فتسعة أعشار النـاس ما زالوا منهمكين فى أعمالهم المعتادة . وقد أخذت الصحف تكرر وجوب الاعتبار بما حدث سنة ألف ، فقد توقع الناس يومئذ أن تقوم القيامة . وقالت عن النجم إنه غازات وحسب — وهو من المذنبات ، ولا يتأتى له أن يصطدم بالأرض ، ولم يسبق لهذا الاصطدام مثيل من قبل . وكانت الغلبة فى كل مكان للمتمسكين بأهداب العقل ، وكانوا يزدرون المستسلمين للخوف ، ويهزأون بهم ، بل قد يميلون إلى اضطهادهم . وقالوا إن هذا النجم سيكون تلك الليلة فى الساعة السابعة والربع حسب توقيت جرينتش أقرب ما يكون إلى المشترى ، وحينئذ سيشهد العالم كيف تتطور الأمور .

ولـكن الضحك قد انقطع بعـد ذلك ، فإن النجم نما ، واطرد نموه اطراداً مخيفاً ساعة بعد ساعة ، فصار أكبر حجما وأسطع ضوءاً ، حتى إنه قلب الليل نهاراً ثانيا . وفى الليـلة التالية طلع على أمريكا وهو فى مثل حجم القمر ، ساطعاً يغشى الأبصار ، ساخناً يشع الحرارة . ولما اشتدت قوته هبت معها ريح ساخنة .

وفوق ولاية فرجينيا والبرازيل ووادى سان لورنس أخذ هذا النجم يظهرُ ويختفى بين كِسَفٍ زاحفة من السحاب الراعد ، يشـقها برق خافقٌ بنفسجى اللون ، كل هذا والـبَرَدُ ينهمر انهماراً لم تشهد له الأرض من قبل مثيلا . وذابت الثلوج فى مانيتوبا ، وتدفقت سيول مخربة ولم يبق فى الأرض قمة جبل إلا بدأت ثلوجها فى الذوبان ، وانحدرت الأنهار من مصابها وهى تفيض بماء زاخر عكر تدور على سطحه الأشجار وجثث الحيوان والإنسـان ، وارتفعت مياهها

باطراد — إنه خليط من بهاء ورعب ، ثم فاضت على الشطآن تسوق أمامها سكان الأودية .

وعلى طول ساحل الأرجنتين حتى جنوب المحيط الهادى بلغ مَدُّ البحر علواً لا يذكر البشر قط أنهم رأوا له مثيلا . وقذفت الأعاصير بمياه البحر إلى الأرض مسافة أميال عديدة فأغرقت مدناً برمّتها، وارتفعت درجة الحرارة بالليل فى حين أن الشمس حين أشرقت بدت أشعتها كأنها ظلال ، وبدأت الزلازل . وفى أرجاء القارة الأمريكية كلها — من الدائرة القطبية إلى رأس هورن — مادت التلال وتشققت الأرض ، وتقوضت الدور والجدران تتلقفها أفواه الدمار .

وهكذا جاب النجم المحيط الهادى وخلفه القمر الشاحب ، يجرّ فى أذياله الأعاصير وجبالا من الأمواج ترغى وتزبد ، ثم تنهدّ على جزيرة فى إثرجزيرة ، وتجتاح من فيها من البشر . وأخيراً تحت ضوء يخطف الأبصار ، وريح حارة كأنها أنفاس أتون ، انتصبت موجة عالية ، بلغ ارتفاعها خمسين قدما ، وتدفقت جائعة تزمجر ، وتدفقت على الأرض ، واجتاحت سهول الصين . وما هى إلا برهة وجيزة حتى أضاء النجم وقد صار أشد من الشمس ، وهى فى أوجها ، حرارة وأكبر حجماً وأسطع تألقاً ، وهتك نوره الأستار عن تلك البلاد الواسعة الغاصة بالسكان ، فبدت مدن وقرى بمعابدها وأشجارها وطرقها وحقولها وقد انتشر عليها ملايين من سكانها يحدقون فى رعب العاجز إلى وهج السماء . ثم أقبل الطوفان ، تسبقه إليهم همهمة خافتة ترتفع شيئاً فشيئاً . وكان هذا حال ملايين من الناس تلك الليلة : لا يدرون أين المفر ، ولا يقوون على السير من شدة القيظ ، وقد ضاقت أنفاسهم ، ومن ورائهم موجة المد كأنها جبل أبيض يعدو إليهم عدواً — ثم إنه هو الموت !

غمر الضوء الصين وأنارها ، أما اليابان وجاوة وكل جزائر شرق إفريقية فقد بدا فوقها النجم الكبير كأنه كرة حمراء من نار حامية ، وهذا من أثر الأبخرة والأدخنة والحمم التى تقذفها البراكين تحية لمقدم النجم ! وظلت الأرض كلها تميد وتضج ، ثم إذا بالثلوج التى كانت تكسو جبال التبت والهملايا منذ الأزل ، قد أخذت تذوب ، وانحدرت تشق مجراها فى ملايين من الأخاديد إلى سهول بورما والهندستان . واشتعلت فروع الأشجار فى آلاف من المواضع فى غابات الهند الكثيفة ، على حين كانت جذوعها غارقة فى لجة طاغية من الماء ، وتحت سطحه خلائق ما تزال تقاوم

مقاومة ضعيفة ، وتنعكس عليهم ألسنة النيران حمراء كلون الدم . وفى هذا الهرج والمرج اندفع آلاف من الرجال والنساء إلى مسالك أودية الأنهار يفرون إلى آخر ملجأ للبشر : ألا وهو البحر الواسع العريض .

وأخـــذ النجم حينئذ يزداد حجماً وحرارة وضوءا بسرعة مفزعة ، وانعقدت الأبخرة فى أكاليل بشـعة فوق الأمواج السود لا يهدأ اصطفاقها ، وتتناثر من فوقها سفن تتقاذفها العاصـفة ، وانقلبت سهول الهند كلهـا تلك الليـلة إلى مستنقع براق تنبت منه معابد وقصور وربى وتلال ، وقد احتشد على هامها الخلق ، وتجمع النـاس على المـآذن بعضهم فوق بعض ، فإذا صرعهم القيظ والرعب ، تساقطوا واحداً إثر واحد وابتلعتهم المياه العـكرة .

ثم حدثت أعجوبة ، كان النجم سابحاً فى سمـاء الهند ، وإذا ظل قد أقبل وطـوى هذا الأتون وقد يئس النـاس من الخلاص منه ، وهبت نسمة باردة ، وتجمعت من الهواء الرطب غلالة من السحب . ولمـا رفع الناس إلى النجم عيوناً أوشـك نورها أن يغيض ، رأوا قرصاً أسـود يسعى إليه ويحجب ضوءه . إنه القمر يعترض بين النجم والأرض . وبينا الناس قد أخــذوا يذرفون الدمع شكراً لله على هذا الفرج ، بزغت الشمس من الشرق بسرعة لا يمكن تعليلها ثم إذا النجم والشـمس والقمر جميعاً تنطلق تجرى معا فى جو السماء .

ثم لم يلبث المتطلعون من أهل أوربا حتى رأوا النجم والشمس يشرقان معا ويسيران فى السماء قليـلا ثم تخف سرعتهما ، ثم يسكنـان ، ثم يصير النجم والشمس لهباً واحداً متوهجاً مستعراً فى كبد السماء . ولم يعد القمر يكسف النجم ، بل غاب عن العيون وضاع فى بريق السماء . أما الأحياء الذين عفا الموت عنهم فقد أخذوا يتطلعون إلى السماء كالبـله لا يفهمون من دهشتهم شيئاً ، ومع ذلك لم يعدموا من بينهم رجالا أدركوا معنى هذه العلامات . لقد دنا النجم حتى أصبح أقرب ما يكون إلى الأرض ، وانجذب كل منهما نحو الآخر . ومر النجم وها هو يبتعـد بسرعة تزداد ثم تزداد ، يقطع المرحلة الأخيرة من رحلته التى يهبط بها رأساً إلى جوف الشمس . تجمعت السحب وحجبت السماء ، ونسـج الرعـد والبرق كساء حول الأرض ، وانهمر وعم الأرجاء مطر غزير لم ير الناس مثـله قط . وحينما كانت البراكين تقذف ألسـنة حمراء من اللهب إلى ظلل الغمام ، أخذت تنهمر سيول جارفة من الطين ، وانحسر المـاء عن الأرض فى كل مكان ، وخلف وراءه

خرائب ملطخة بالطين ، وقد بدت الأرض كساحل اجتاحه إعصار ، قد تناثر فوقها كل ما كان طافياً على سطح الماء ، وجثث البشر والحيوان .

هـذه هى أيام الظلمة الفاشية التى تلت ظهور النجم والقيظ . ومرت أسـابيع وشهور عديدة والزلازل متوالية لاتنقطع .

ولـكن النجم كان قد مضى لطيتـه ، واستبد الجوع بالنـاس فأخذوا يجمعون شـتات قلوبهم رويداً رويداً ، وجعلوا يتسللون إلى مدنهم المخربة ، ومخـازن غلالهم التى ابتلعتها الأرض ، وحقولهم التى تنز بالماء . أما السفن القليلة التى كانت قد نجت من العاصفة فقد عادت تترنح محطمة ، وتتلمس طريقها بحذر بين الشعاب الجديدة التى نبتت فى الموانئ التى كانوا يعرفونها حق المعرفة من قبـل . ولما هدأت العواصف ، لاحظ الناس فى كل مكان أن نهارهم قد أصبح أشد حرارة مما كان من قبل ، وأن الشمس قد صارت أكبر حجما ، أما القمر فقد ضمر إلى ثلث حجمه السابق ، وأصبح يقطع دورته حـول الأرض فى ثمانين يوماً .

وقد اهتم الفلـكيون من سـكان المريخ بهـذه الحوادث أكبر اهتمام ، فـكتب أحدهم يقول : « لو أنعمنا النظر فى حجم هذه القذيفة التى اقتحمت مجموعتنا الشمسية فى طريقها إلى الشمس ، وقدرنا كذلك درجة حرارتها ، لأدهشتنا ضآلة الأضرار التى أصابت الأرض ، وكانت على قيد شعرة من الاصطدام بها . فقد بقيت أعـلام القارات والبحار كما هى . وكل ما حـدث من تغيير هو أن الثلج البيض عند القطبين (ولعلها ماء قد تجمد) قد تقلصت قليلا » .

وحسبك هذا فى بيان مقدار الضآلة التى تبدو عليها أعم النكبات التى تحيق بالبشر ، إذا ما نظر إليها من مسافة قصيرة ، إن هى إلا بضعة ملايين قليلة من الأميال .

❀❀❀❀

الملـق ، هو أن تقول أشياء فى حضرة من تتملقهم ، لا تقولها فى غيابهم .

[ج . ميلنجتون]

كانت شمس الأصيل تلمع على ذروة كلّ موجةٍ ، حتى لـكأنّ الميناء كلها تضحك فى النور .

[مورين ديلى]

أصدق صديق للإنسان

آلن ديفو

[لا يستطيع إنسان قط أن يسبر غور خلق الكلاب ويعرفه معرفة تامة ، ولن يستطيع أحد أن يوفى إخلاص الكلب أو ألاعيبه وحيله أو فهمه الخارق للأشياء — حقها . إن حياة الكلب وصاحبه تزخر بمفاجآت لا تنفد . وقد تلقينا من القراء القصص التالية فمن ذا الذى يستطيع التفسير ؟]

النجدة

أتى كلب ضال من نوع الكولى إلى مقامى بكنتكى وصادق كلب صيدى العجوز بنش، حتى صارا لا يفترقان .

وذات ليلة افتقدنا بنش فلم نجده ، ونقبنا عنه وناديناه فلم نعثر له على أثر . ومر أسبوعان ونبهتنى جدتى إلى تصرف الكولى الغريب . قالت إنه كان لا ينفك طول النهار يجرى إلى حوض الماء ويملأ فمه منه يحاول أن يحمل الماء إلى مكان ما ، فلا يلبث الماء أن ينساب من فيه ، فيعود إلى المحاولة مرة بعد مرة . ترى ماذا كان يقصد من ذلك ؟

وراقبت الكولى فى تلك الليلة حين قدمت له عظمة اللحم فألفيته يهرع بها إلى التلال ، وعاد بعد وقت طويل ولا شيء معه ، فتذكرت قصة الماء ، وناولته عظمة أخرى فجرى بها واقتفيت أثره .

وفى شعاب الجبال البعيدة فى قعر فجوة ضيقة ، وجدت كلبى بنش أسيراً لا يجد له مخرجاً ، ولكنه كان حيا وفى عافية . وكان الكولى واقفاً كالديدبان على حافة الفجوة بعد أن ألقى بالعظمة الثانية إلى بنش .

[أرشى لويد]

تمارض

جاء بال كلبنا البوليسى الكبير ذات مساء إلى منزلنا الريفى يعرج عرجاً شديداً ، فغسلنا له قدمه الجريحة وعقمناها وضمدناها ، ثم شاهدناه يحجل إلى غرفة الجلوس ويتمدد لينام أمام المدفأة ، فلما كان الغد كان بال لا يزال متكاسلا فى غرفة الجلوس ، وظل كذلك فى اليوم التالى والذى يليه حتى أثار العطف عليه والاهتمام به . ورأينا أخيراً أن يخرج بال للنزهة فى الخارج حتى لا تتصلب قدمه ، واقتضى ذلك منا أن نغريه ونرغبه ونسوسه ، فلما رضى بالخروج فى النهاية كان كالذى يساق إلى الموت .

وبينا كان بال يعرج متباطئاً إلى الخارج لمح كلبانا الآخران أرنباً ، فاندفعا فى أثره وهما يضجان بالنباح ، وما هو إلا أن شاركهما

پال الطراد ، ورأيته يمرق كالسهم فى الخلاء متقدماً الكلبين الآخرين تقدم الكلب السليم المعافى .

ولما عاد ثلاثتهم كان پال يتواثب ويلعب على خير ما يكون . وفجأة رآنى أرقبه ، فوقف لساعته عن الحراك ، وتدلى ذيله وئيداً بين رجليه ، ورفع قدمه الجريحة عن الأرض ، وحجل پال نحوى فى أسى والتياع ، وقد أعد نفسه مرة أخرى لحياة المريض وما يصاحبها من التدليل والعناية والترفيه .

[هيلدجارد لك]

مفقود وموجود



كنا فى نزهة فى إحدى حدائق شيكاغو ، فلما جمعنا أدوات الأكل استعداداً للعودة تأهب الجميع للمسير ، إلا كلبتى جولدى، وهى من نوع «الإسبانيل» ، فإنها أبت علينا ، فنادينا وصفرنا لها ولكنها هزت ذيلها وهمهمت ولم تبرح مكانها من العشب .

فعدت إليها أريد تأديبها ، فلما اقتربت منها ارتفعت همهمتها وزاد هياجها ، فلما صرت إلى جانبها تجلى الأمر وفهمت سر عملها .

كانت جولدى واقفة تحرس ساعة يدى الذهبية وكانت قد سقطت منى على العشب .

[ب . كروكت]

فى عمله

كان والدى خفير ليل فى بلدتنا بميسورى ، وكانت مهمته أن يمر على جميع دور الأعمال ويمتحن أبوابها ليستوثق من أنها محكمة الإغلاق ، وكان يصاحبه فى جولاته كلبه الدغركى الكبير بج جورج .

وذات ليلة خرج والدى فى أمر يهمه ، ولم يبدأ جولاته إلا متأخراً ، فلما اقترب من أول تلك الدور لفت نظره آثار أقدام كلب على الثلج فى طريق الباب. لم يستغرب ذلك ، ولكنه حين وضع يده على مقبض الباب ألفى به بللاً . ووجد الحال على هذا المنوال عند كل باب : آثار أقدام كلب ومقبض به بلل، ولم يزل كذلك حتى اهتدى إلى ما قد حدث، فدار بسرعة حول ركن إحدى الدور.

وهناك رأى بج جورج يمشى إلى كل باب ويمتحن بفمه مقبضه ،ولم يترك فى عمله هذا باباً واحداً .

[راى ستيفنس]

قصة حقيقية

من صميم الحياة

بقلم هيوج ماكنير كاهلر

كتبت قصة قصيرة عن الإقليم الجبلى الذى نشأت فيه ، فجاءنى على أثر ذلك خطاب من طبيب فى موضع سأكنّى عنه باسم كرو هولو « وكر الغراب » فى ذرى الجبال العظيمة . كتب هذا الطبيب إلىّ يقول إنه فى وسعى أن أجد أقاصيص أخرى عن أهل الجبال الذين يعيشون هناك فى ناحيته ، ومضى يحدثنى عنهم . وكانت هذه أول رسالة من الرسائل الكثيرة التى تلقيتها منه قبل أن يتاح لى لقاؤه .

وكنت وقتئذ قد عرفت الشىء الكثير عن إقليمه وعن أهله ، وكان قد حدثنى عن أساليبهم المتقادمة العهد فى المعيشة وفى الكلام ، وعن أغانيهم الشجية المحزنة ، وعن فكاهتهم ، وعن رقة أخلاقهم ، وحدة غضبهم ، وعن خرافاتهم فى التطير والتفاؤل ، وعن جهالتهم وكبريائهم ، وعن شجاعتهم وصبرهم فى المكاره . ومع أن الدكتور ست جيفورد كان قليل الكتابة عن نفسه ، فقد عرفت الكثير عنه . لقد طالعنى من بين سطور رسائله المطوّلة بصورة واضحة ذلك الطبيب الشاب الذى أعرض منذ نحو من أربعين سنة عن الآمن ورغد العيش فى السهول المطمئنة ، ليخدم أهل الجبال ، كما طالعنى بصورة أوضح عن ذلك الطبيب وقد تقدمت به السنّ ولم يندم على ما اختار لنفسه .

فحين ذهبت إلى تلك البلاد الجبلية لم يكن ذهابى إليها إلا لرؤية الدكتور جيفورد نفسه . ولم يكن ثمة فى تلك الأيام طريق إلى تلك الثنية فى الجبل العالى إلا بطون الجداول المتوعرة المفروشة بالحصباء والحجارة . ولقد قضيت نهاراً كاملا على ظهر بغلة استأجرتها ، وفى آخر النهار أشار حامل البريد — الذى اتخذته دليلى — إلى كوخ على الضفة الأخرى من مجرى ماء ، فلما عرضت عليه بعض المال جزاءً ، امتنع فى صمت ومضى فى سبيله .

وقرعت الباب ، فردّ صوت حاد مرتفع ، وانفتح الباب عن حجرة عارية الجدران ، أرضها من خشب البراميل ، وفى صدرها موقد بين رفوف فيها كتب وزجاجات وآلات للجراحة ، وفى أحد أركانها سلم يرقى إلى باب مفتوح فى السقف . وكان الأثاث لا يعدو مائدة كبيرة من خشب الصنوبر مصنوعة فى البيت ، وبضعة مقاعد من أفلاق

شجر الجوز ، ومضجع مبنى فى الجدار .

وكان ست جيفورد راقداً فى المضجع ، وقد جمع ركبتيه تحت لحاف متعدد الألوان ، وكان وجهه مغضناً قد خدّده الزمن والشمس والرياح ، ولكننى أدركت أن بعض أخاديده العميقة إنما هى أخاديد شقها الألم .

وبدأ يقول فى بطء ، وهو يتوقف بين الكلمة والأخرى ، كأنما كان كل لفظ يكلفه جهداً : « لقد كنت أشك فى وصولك قبل فوات الأوان . إن هذه الزائدة الدودية لن تبقى علىّ أكثر مما أبقت ، ولكن قد يتسع الوقت حتى تذهب فى طلب « سيم ماكى » . إنه على مسيرة ميل فقط ، بعد فرع هذا النهر تماما — أول بيت تلقاه » .

فلما أن استدرت لأذهب قال : « تمهل لحظة . قد يكون « سيم » فى هذه الساعة مخموراً أو معربداً . وإنه ليكره المجىء حتى لو كان مفيقاً . على أنه قد يجىء لو قلت له ما أنا قائله لك حرفاً حرفاً . قل له : إنه قد صارت لى بطن مثل لوح الخشب ، وأن بى فى كل موضع ألم كأقصى ما يحتمله إنسان ، وإن الكرات البيض فى دمى تبلغ العشرين ألفا ، وإن درجة حرارتى مرتفعة أى ارتفاع . والآن ، كرر ما قلته لك ، كى اطمئن إلى أنك وعيته على وجهه » .

ولم يدعنى اذهب حتى كررت كلامه مرتين ، وظللت أكرره وأنا مصعد فى الطريق ، وظللت كذلك أعجب أن يكون فى هذه الكلمات أى سحر يردّ سيم ماكى رجلاً كما كان ، ودع عنك أن يعود طبيباً .

وكنت أعلم قصته من رسائل ست جيفورد — فهو ذلك الفتى الذكى القوى الذى أراد أن يكون طبيباً ، فهبط إلى المدينة مزوداً بما استطاع جيفورد ان يزوده به ، فجعل يكدّ ويكافح الجوع حتى شق طريقه فى المعهد وفى الكلية ثم فى مدرسة الطب . وهو ذلك الفتى الذى كان ست جيفورد يعول عليه ليكون شريكه وخليفته ، ذلك الفتى الذى فصل فى أول شهر من اشتغاله جراحاً مساعداً فى بعض المستشفيات إذ وجدوه سكران فى ساعات العمل ، فعاد إلى قطعة الأرض الصغيرة التى يملكها فى بلدته « كروهولو » ، كسيفاً صامتاً ، لا يعبأ بأن يصنع شيئاً خلا بعض الزراعة الطفيفة المضطربة ، إلا أن يعبّ من خمره .

ألفيته جالساً القرفصاء فى مدخل كوخ متخاذل متهدم ، وعليه رداء رث ، منفوش الشعر ، له لحية مشعثة كبقايا العيدان فى الحقل . وكانت عيناه تصرحان بالعداوة والشحناء ، ولم أر فيها أدنى تغيّر حين أبلغته رسالة ست جيفورد ، ولكنه قام من جلسته متئداً — فإذا به أطول قامة مما خيّل إلىّ .

وبدا لى أن فيه بقية من قوة ، ثم قال :

« يا للشيخ الأحمق ! يصبر هنا على التهاب مزمن بالزائدة الدودية حتى يستفحل ! ماذا يحسب أنى مستطيع أن أصنع له ؟ » .

فقلت : « لا أدرى ، كل ما قاله لى إنه من الجائز إذا بلغتك رسالته أن تأتى إليه » .

فقال : « هذا ما أستطيعه » .

فرغبت إليه أن يأخذ بغلتى ، فقال إنه أسرع مشياً . ولم أكد أقطع مئة ياردة حتى كان قد غاب عن بصرى . ولما وافيتُ كوخ جيفورد ، كان ست جيفورد مستلقياً على المائدة الكبيرة ، وماكى يتجسس بطنه .

وقال ماكى : « أيها الشيخ المعتوه ! أنت عليم بأن هذا كان قميناً بأن يحدث فى أية لحظة ، وأنت عليم بأن ما ينبغى هو أن تذهب إلى المدينة وتستأصله . والآن » .

فهمس جيفورد وهو يلهث : « والآن أولى أن تكفّ عن الكلام وتعمد إلى العمل ، اللهم إلا إذا كنت ستقف هنا هذه الوقفة وتدعنى أموت ، لأنك لا تستطيع من فرط الفزع أن تصنع لى شيئاً » .

فصاح ماكى مغضباً : « من فرط الفزع ؟ أنا ؟ » ثم تغير صوته فجأة « ولماذا تزعم أن هذا هو شأنى ؟ » .

فقال جيفورد : « قد يكون لأن هذا شأننا جميعاً ، يأخذنا الفزع أحياناً ، وإن كنا من أهل القدرة على النفع » .

فهتف ماكى : « كلا ، أبداً ، ليس الأمر كذلك . أنظر إلى يدىّ » .

وكنت عند مدخل الباب ومع ذلك تبينتُ الرعشة فى يديه .

فقال جيفورد : « هو شراب المِزْر (الخمر المتخذة من الحنطة) الذى فعل بهما هذا . وشراب المزر هو الذى سيثبتها . فوق الرف الأعلى باطيةٌ منه ، وأنت لابد تعرف الآن مقدار حاجتك منه » .

فأنزل ماكى الباطية ، وأترع قدحاً من الشراب الأبيض ، وعبّه كما يعبّ الماء ، ووضع السداد فى فم الباطية ، وتوقف لحظة ، ثم أعادها إلى مكانها من الرف ، وهو يقول : « هذه البقية من الشراب قد أكون أشد حاجة إليها إذا انتهيت من العمل » .

وبدت فى صوته نغمةٌ جديدة ، وخيّل إلىّ أنه الساعة أفرع قامةً وأكثر طولا ، وتمتم : « الأفضل أن أجريها مع الاكتفاء بتخدير الموضع ، أليس كذلك ، حتى تستطيع أن تعاوننى إذا خرجت عن جادة الصواب ؟ » .

فأجاب جيفورد : « لن تخرج عن جادة الصواب » .

ولم أكن قد شهدت جراحة فى حياتى ، فلم يكن ينتظر منى عون ، ولذلك كان همى كله مراقبة يدى ماكى . وليس لى من

سبيل إلى الحكم على حذقهما ، ولكننى شهدتهما ثابتتين لا ترجفان ، وبدا لى أنهما ماضيتان فى عملهما بوثوق ، وسرعة أيضا . ولم يطل بى الانتظار حتى سمعت ماكى بصوته الجديد يقول لجيفورد : إن كل شىء على ما يرام . ثم بعد برهة قصيرة انتهى كل شىء .

ورفعنا جيفورد عن المائدة وأعدناه إلى فراشه وتركناه نائماً . وقصد ماكى ناحية الرف ، ورأيته يتنفس الصعداء وقد مدّ يده إلى الباطية وأترع القدح ، ولكنه عاد فوضعه دون أن تمسه شفتاه ، وهو يقول : « الأفضل أن أدعه حتى صباح الغد ، فإنى بعد أن أقضى الليل كله ساهراً أرعى هذا الشيخ المأفون ، سأكون عندئذ أحوج إلى هذا القدح » .

فقلت : « أنا أستطيع السهر عليه » .

فهز رأسه وقال : « أنت لا تعرف ما ينبغى عمله . لا ، ياسيدى ، إنما تذهب فتضع بغلتك فى الزريبة وتقدم لها العلف ثم ، تأوى إلى مرقدك » وأشار إلى السلم الذى يفضى إلى الغرفة العليا . ففعلت كما أمر .

ولما نزلت فى صباح اليوم التالى كان لا يزال على المقعد المتخذ من أفلاق شجر الجوز إلى جانب فراش المريض ، فداخلنى أول الأمر العجب من أن يكون من شأن الجلوس والسهر طوال الليل أن يجعل الرجل يبدو أصغر مما كان سناً وأوفر قوة وأنشط همة . ثم تبينت بعدها أن الرجل قد استعار موسى جيفورد ، فظهر وجهه بغير هذا الهشيم الكث الذى كان فى عارضيه ، وعلى الرغم من الغضون حول فمه ، وجه رجل فى شرخ الشباب ، وقد زالت عنه سيماء الفزع .

وكان قدح ويسكى المزر الأبيض لا يزال فوق الرف على حاله لم تمسسه شفة .

وليس يسعنى إلا أن أقول إن سث جيفورد كان يعرف ما قد تحدثه حاجته الخطرة العاجلة من أثر فى سيم ماكى ، وما كان لها من فائدة لأهل هذه الناحية ، الذين كان أملهم الوحيد فى أن يكون لهم خلف للدكتور جيفورد ، معلقاً على أن يجعل جيفورد من سيم خليفة له .

وإذا كان قد انقضى اليوم على وفاة الدكتور سث جيفورد زمن بعيد ، فإن بلدته الجبلية لم تخل من طبيب ، وهذا الطبيب سوف يسره — على ما أظن — أن يقرأ هذه الكلمة عنه ، ولعله يجد شيئاً واحداً ينقصها . فلربما كان يود لو ذكرنا سث جيفورد باسمه الحقيقى ، ولو اضطرنا ذلك إلى تسميته هو — بدلا من سيم ماكى — باسمه الحقيقى أيضاً .

آراء للمناقشة

حسب النساء من الحكمة والعقل ، أو أدركن أن الرجل الذى لم يحب إلا امرأة واحدة ، فهو رجل لم يحب امرأة قط .

[كريستوفر مورلى]

هـذا أوان أن نبطل تلك الحماقة التى درجنا عليها من أن بعض العمل شريف وبعضه غـير شريف . فكم من غلام ود لو يصير ميكانيكياً فى الطيران أو حلاقاً أو نافخاً فى مزمار ، فراح ضحية كبرياء والديه فتراها يحاولان أن يحملاه على مزاولة عمل درجا على إعظامه ، فإذا هو يصبح موظفاً لا يحسن العمل ثم هو لا يجيد ما يعمله . وثمة نقص فى العمال الحاذقين ، ولـكن ما أقل من يجرؤ من الآباء على أن يولى بولده شطر المصنع لا المكتب .

[بروس بارتون]

الرقص فى نظرتى الساخرة عمـل من أشـد أعمال الحياة سخفاً وهتكا لأستار النفس . فهيئة الراقصين وحركاتهم وملامحهم الناطقة تكشف ما لا يستطيع أن يكشفه شىء ، من غرور المرء وشهواته ، سواء فى ذلك رقصة الفالس أو تواثب المتوحشين ، فهو أشبه ما يكون بالأشعة السينية تعرض فلماً لدخيلة نفس الراقص . فكل ما كان فى النفس من طبيعة لم تهذب أو طوية كامنة ، يطفو على السطح فيراه الناس .

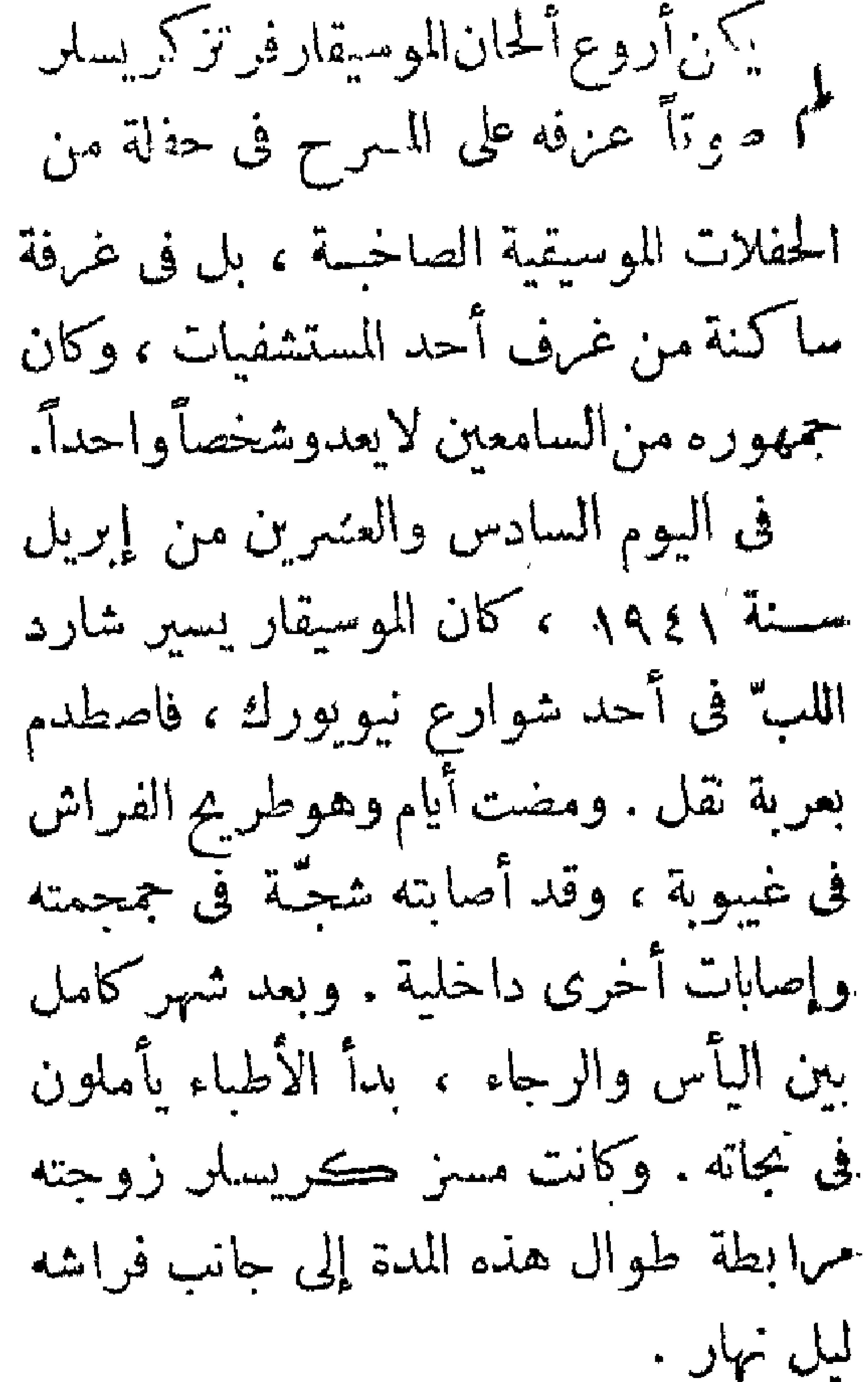
[جيليت برجيس]

مهما كثرت فتن الحياة فهى قليـلة . والفضيلة بغير ملابسة للفتنة ، لا قيمة لها بل لا معنى لها . ولعلك إن واجهت الفتنة واستعصمت دونها حصنت حمى الحيـاة ، وإن واجهت الفتنة وانقـدت لها زدت ذخيرتك من تجارب الحياة . أما من لم يطق أن يواجهها فغير خليق بأن يعيش ، فإن الفتنة أصـل من أصول ذلك النضال الذى هو جوهر الحياة .

[هافلوك إليس]

كثيراً ما سمعت النساء فى الولايات المتحدة يقلن : « إن الأزواج الأمريكيين تعوزهم الصـبابة والغزل » . فإن صح هذا فأنا ألوم الزوجـة الأمريكيـة . فهى فى إبان الخطبة ساحرة فاتنة ، فإذا ما ظفرت برجلها فترت ، وصرفت كل دلالها وجل عنايتها إلى غـيره من الناس . إنها تدخر رقتهـا وحـلو حديثها للمآدب والحفلات ، حتى تخيل إليك أن حرصها على أن تتيم زوجها ، مضيعة لوقتها .

[أولجا ألاشيف]



استهدفت حياة فرتز كريسلر الموسيقية لكل النكبات التى تتصل بفنه ، ولكن . . .

الأستاذ الموسيقار لم يزل يعزف

دورون ك . انتريم

ملخصة عن مجلة " وشنطن پوست "

لم يكن أروع ألحان الموسيقار فرتز كريسلر دوياً عزفه على المسرح فى حفلة من الحفلات الموسيقية الصاخبة ، بل فى غرفة ساكنة من غرف أحد المستشفيات ، وكان جمهوره من السامعين لا يعدو شخصاً واحداً.

فى اليوم السادس والعشرين من إبريل سنة ١٩٤١ ، كان الموسيقار يسير شارد اللب فى أحد شوارع نيويورك ، فاصطدم بعربة نقل . ومضت أيام وهو طريح الفراش فى غيبوبة ، وقد أصابته شجّة فى جمجمته وإصابات أخرى داخلية . وبعد شهر كامل بين اليأس والرجاء ، بدأ الأطباء يأملون فى نجاته . وكانت مسز كريسلر زوجته مرابطة طوال هذه المدة إلى جانب فراشه ليل نهار .

وكان الموسيقار فى بداية شفائه لا يذكر شيئاً ، ثم أخذ يلم الشتات من حوادث حياته ويربط بينها فى ذهنه شيئاً فشيئا . ولكن السؤال الأعظم الذى كان يساور الأذهان لم يزل بغير جواب : أيستطيع كريسلر فى يوم من الأيام أن يعاود العزف ؟ إن يديه سليمتان لم يمسسهما أذى ، ولكن الذى يخشونه أن يكون قد ألم بعقله شىء . وكانت مسز كريسلر لا تطاوعها نفسها على التصريح بما يخالجها من القلق من هذه الناحية ، فعمدت إلى الحيلة ، فأحضرت ذات يوم قيثارة ، وزعمت عرضاً فى كلامهما أنها قد أنسيت فقرة من قطعة موسيقية (كونشرتو القيثار لمندلسون) ولم تعد تذكرها ، وسألته أن يعزفها لتتذكر ما نسيته .

فتناول كريسلر القيثار غير مرتاب فى دعواها ، وأصلح أوتارها وأسندها إلى ذقنه . وأمسكت مسز كريسلر أنفاسها ، ولم تلبث أن جاء الجواب . لقد عزف الفقرة أروع العزف ، كعهده الأول من إحكام الصنعة وإشراق التعبير .

وسرعان ما تم شفاء كريسلر بفضل قوة بنيته ، وأذاع للمرة الأولى فى حياته سلسلة من الحفلات الموسيقية فى الراديو . وكان الراديو قد حاول سنوات طوالا أن يستدرجه

بما كان يعرضه من المبالغ الطائلة . ولكنه كان يبغض هذه الإذاعة ، وذلك أنه كان ذات يوم يلعب الورق مع بعض أصحابه ، ففتح مضيفه جهاز الإذاعة عن سينفونية « بتهوفن » التاسعة يعزفها العازفون بقيادة توسكانيني . فأذهلت الموسيقى كريسلر عن إحسان اللعب فضاق به زميله ، فأقفل الراديو .

فكان من أثر ذلك أن عقّب الموسيقار فيما بعد على ما حدث بقوله : « إنه امتهان للموسيقى البديعة أن يقطع صوتها هذا القطع الفجائي » ثم قال : « إن الناس حين يحضرون في بهو الحفلات الموسيقية يحضرون خاصة لسماع الموسيقى . أما الموسيقى في الراديو فيغضّ من شأنها أنها تجيئهم عرضاً ومن غير أدنى سعي منهم » . أما الذي حمله في آخر الأمر على الإذاعة في الراديو فهو ما كان من زيادة الإلحاف من الجمهور الذي لا قدرة له على حضور الحفلات الموسيقية .

ولقد ظهرت عبقرية كريسلر وهو طفل ، ومع ذلك فقد اكتهل قبل أن تظفر حفلاته بجمهور كبير . وكان مولد كريسلر في سنة ١٨٧٥ ، وكان في الرابعة يعزف على قيثارة صغيرة . وقد تلقى دروسه الأولى على أبيه ، وكان من أطباء فينا . وسرعان ما صار يلح في أن يعزف رباعية وترية مع أصحاب أبيه ، وقد انتهى الأمر بأن أشركوه في قطعة صعبة ترضية له . ولقد بلغ من إعجاب العازفين بصفاء نغماته واستقرارها أن انقطعوا واحداً بعد الآخر عن العزف حتى صار فريتز يعزف وحده مستغرقاً ، وقد نسي كل شيء إلا الموسيقى .

والتحق كريسلر في السادسة من عمره بالمعهد الموسيقى بفينا ، وكان أصغر طلابه سناً ، وقد نال المدالية الذهبية للمعهد في سن العاشرة ، ثم ذهب بعدئذ إلى معهد باريس الشهير فحصل في الثانية عشرة على أعلى درجات الشرف — على الجائزة الكبرى .

وكان فريتز فتى طويلا نحيلا في الرابعة عشرة من عمره ، حين قام بأولى رحلاته إلى أمريكا مع عازف البيانو مورتز روزنتال . وما زال كريسلر يضحك حين يذكر بعض ما رآه من مناظر في سنة ١٨٨٩ ، ومن ذلك أنه مرّ فيما مرّ به من البلاد الأمريكية بمدينة « بت » من مدن المناجم في إقليم مونتانا ، وأحيى حفلة موسيقية فيها ، وقد حذف من البرنامج قطعة « شاكون » للمؤلف الموسيقي « باخ » خشية أن يستثقلها الجمهور لخلوها من المصاحبة ، وجعل بدلا منها قطعة « كرنفال مدينة البندقية » . وانتهت الحفلة وأوى إلى غرفته في الفندق . وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة أيقظه طرق شديد

على باب غرفته ، فإذا راعٍ من رعاة البقر ومعه ابنته الصغيرة ، وفى يده برنامج الحفلة ، وقد أشار إلى القطعة المحذوفة ، وطلب من الفتى الموسيقار أن يسمعها هنا وفى الحال ، وإلا . . . . وأشــار إلى مسدسه . فعزف الموسـيقار القطعة ، وعندئذ قال الراعى ، « إنها حقيرة » وجرّ ابنته ومضى .

ولم يفِ ما حصّلوه من الرحلة بنفقاتها ، وعاد كريسلر إلى فينا وقد كره اتخاذ الموسيقى صناعة له ، فطرح قيثارته جانباً عشر سنوات ، وأقبل على دراســة الطب والفن ، وقضى مدة الخدمة العسكرية المقررة .

ولـكن نداء الموسيقى كان يهيب به ملحّاً ، فعاد إلى العزف فى أوروبا وأمريكا . وأعقبت ذلك سـنوات عجاف تثبط العزم وتبعث على اليأس ، ثم تهيأت له أكبر فرصة فى حياته فى لندن ، وهى الاشتراك فى « أوركسترا لندن لمحبى الموســيقى » لعزف قطعة « كونشرتو القيثار » لبتهوفن . واتفق فى تلك الليـلة أن كانت مدينة لندن تدوى بأنباء الحرب .

لقد وقعت حادثة من أشهر حوادث سنة ١٩٠٠ ، فقد استطاعت حامية مافكنج فى جنوب إفريقيـة رفع حصار البوير عنها بعد أن دام سـبعة شهور . وقد صـدرت الجرائد فى صباح اليوم التالى مملوءة بأخبار هذا النصر — ولم يرد فيها سطرٌ واحد عن كريسلر .

ولقــد عاكسته الأيام أيضاً فيما يتعلق بمؤلفاته الموسـيقية وتقديرها حق قدرها ، فظل سنوات عدة لا يستطيع أن يجد لها ناشراً . وفى آخر الأمر ألقى بعضهم نظرة عليها وأبدى استعداده لشراء ست قطع منها بسعر ٢٥ ريالا للقطعة ، فرفض كريسلر العرض ، ولم يلبث أن كتب إليــه أخوه « هيجو » — وكان عازفاً بارعاً على القيثارة الـكبيرة — يخبره بأنه لن يستطيع المضى فى دراسته الموسيقية لنفاد ما كان معه من مال ، فلم يسع كريسلر إلا أن يرسل إليه القطع الست ليبيعها بالثمن المعروض ويقبض ثمنها . ولقد كان من بينها القطعة المشهورة « خطـرة من خطرات فينا » .

ومع أن كريسلر ظهر فى الحفلات مرةً بعــد أخرى فى أمريكا ، جاهداً فى كسب جمهور وفىّ له ، فقد اقتضى الأمر قيام حرب ليـكون اسمه معروفاً لدى الجمهور الأعظم . فلقد كان كريسلر ضابطاً احتياطياً فى الجيش النمساوى ، فدعى إلى الخدمة فى الحال على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى ، وشهد القتال فى الخنادق ، وجرح وأعفى من العمل فى الجيش قبل أن تمضى على الحرب سـنة . وقد نشرت الصحف الأمريكية أخباراً عنه بهـذه العناوين « كريسلر قُتل فى ساحة

الوغى» «كريسلر لن يعزف بعد اليوم».

وفي أواخر سنة ١٩١٥ ظهرت إعلانات كبيرة تعلن عن حفلة موسيقية للموسيقار كريسلر في بهو كارنيجي في نيويورك، ونفدت التذاكر كلها، وامتلأت المقاعد حتى الأفاريز العليا. وخرج كريسلر، وقد بلغ الأربعين، يطلع فوق المسرح متوكئاً على عصا، وانتظر خمس عشر دقيقة حتى هدأ التصفيق. إنه كان بهذه البراعة والقدرة على العزف منذ عشر سنوات بل منذ عشرين عاماً، ففيم هذا التهليل اليوم؟

إنه الجمهور يتطلع إليه اليوم ليرى بطلا من أبطال الحرب، وبذلك قفز كريسلر في ليلة واحدة إلى طبقة العازفين الذين يتقاضون ٣٠٠٠ ريال عن الحفلة الواحدة.

واضطر كريسلر إلى طرح قيثارته جانباً مرة أخرى حين دخلت الولايات المتحدة في الحرب. ثم كانت الهدنة فاشترك في الحفلات الخيرية للصليب الأحمر، ولكن كثيراً ما كان غلاة الوطنية من المحاربين القدماء يتهجمون على البهو ويطفئون الأنوار، ويسمونه بأقبح أسماء الهمجية التي كانوا يطلقونها على الألمان.

وكانت سنة ١٩١٨، والضغائن القديمة لم تزل لها بقية باقية في النفوس، حين ظهر الموسيقار في بهو كارنيجي بنيويورك وهو غاصّ بالناس، وتحركت القيثارة، واهتزت بالحياة تحت أنامله، متغنية بالأمل، والحب، والشجاعة الرفيعة السامية، والنصر بعد الجهاد، ثم السلام، وإنها لتناجي كل واحدٍ من السامعين الحاضرين أن الحياة يمكن أن تكون جميلة ونبيلة. وتعالت الأصوات بالاستحسان «مرحى! مرحى!»، وعلى رأس الصائحين موسيقار فرنسي لم يخاطب كريسلر بكلمة منذ قامت الحرب، وقد زاد على صياحه أن اندفع إلى الباب الخلفي للمسرح بعد انتهاء الحفلة ليعانق كريسلر.

والآن أصبح كريسلر مواطناً أمريكياً، ولم تطأ قدمه ألمانيا منذ ولي الأمر فيها هتلر، ولقد صادر النازيون بيته بالقرب من برلين، وأخذوا معظم ما جمعه طوال حياته من طرائف الفن النادرة.

وأما مفتاح السر في عزف كريسلر، فهو ما لعزفه من صفة شخصية. فقد وجد «الدليل المشترك» بين الموسيقي والسامع، أو على حدّ قول بعض السيدات: «لكأنّ هذا الرجل يعزف لي خاصة».

ثم هو موضع حسدٍ من زملائه، لأنه لا يطيل التدرب على عزف ما يعزفه. وقد قال الموسيقار رحمانينوف، وهو ممن يقضون الساعات الطوال يتدربون: «إن كريسلر في غير حاجة إلى التدرب. إنه يحيي الكثير من الحفلات».

ويفسر لنا كريسلر الأمر فيقول إنه يبالغ في الانتباه وحصر ذهنه في أثناء تدربه ، ومن ثمة كانت ساعة واحدة في اليوم تكفيه ، كما أنه يستطيع التدرب على العزف أينما كان من غير قيثارة ، بل بمجرد قراءته الموسيقى وتمثل عزفها في ذهنه . ولقد أتقن حفظ أكثر من قطعة على هذا النحو في القطار ، ثم عزفها للمرة الأولى بعد ذلك في حفلة عامة .

وهو يجيد العزف على البيانو مثل إجادته العزف على القيثارة ، وهو يعزف أيضاً على القيثارة الكبيرة والطنبور . وجملة الأمر أنه قادر على كل ضرب من ضروب الموسيقى إلا الغناء ، فإذا حاول الغناء أدخل السرور على الكلاب وأزعج امرأته . ولعله كان يصير من أعلام الرياضة لو لم يشتغل بالموسيقى ، فهو من الأفراد القلائل الذين يستطيعون شرح نظرية أينشتين .

ولقد شغل الناس منذ سنوات يوم تبين أن كريسلر هو مؤلف مقطوعات كانوا يزعمونها لبعض القدماء من أقطاب الموسيقى ، وذلك أن كريسلر في بداية أمره لم يكن يجد مقطوعات قصيرة للعزف على القيثار صالحة لبرامجه ، فجعل يؤلف ما يحتاج إليه منها . ولم يشأ أن يملأ البرامج باسمه على معظم القطع ، فكان يكتب على المقطوعات هذه الكلمة «على طريقة فلان» ويذكر اسم هذا أو ذاك من الأساتذة الأقدمين ولا يضع اسمه ، ثم أخذ زملاؤه بعد ذلك يستعيرون مخطوطة هذه المقطوعات غير المطبوعة ويدخلونها في برامجهم . وأخيراً قبل كريسلر طبعها مع هذه العبارة بلغات ثلاث : « هذه الأنغام قد دخلها من التصرف ما قد يجعلها مؤلفات جديدة » ، ولكنها اعتُبرت مع ذلك مؤلفات أصلية لكوبرين وفيفالدى وغيرهم ممن ذكروا معها .

وانجلى الأمر عام ١٩٣٦ حين اتصل « أولين دونز » ، ناقد الموسيقى في صحيفة التايمز النيويوركية ، بالناشرين في شأن كراسة مقطوعات « بونيانى » التي كان يعتمد عليها في محاضرة موسيقية . فقد قيل له إن هذه المقطوعة وكثير غيرها من وضع كريسلر . فنشر الناقد الخبر ، وعقّب على الأمر بأنه « مثال من أعجب الأمثلة على عبقرية الفنان » .

ومن المعلوم أن متعهدى الحفلات المحلية الذين يتفقون مع الفنان على أجر عظيم لحفلة من الحفلات يضيع عليهم المال إذا ساءت الحالة الجوية ليلة الحفلة ، ولكنه لم يقع لمتعهد من المتعهدين مع كريسلر أن ضاع عليه ماله . فمنذ أن بدأ كريسلر يتقاضى الأجور العظيمة ، جعل من ديدنه أن يرد على المتعهدين ما لهم إذا حصل مثل هذا العجز في دخل الحفلة . ولعل خير الأمثلة الدالة على حقيقة

نفسه وكرم سجاياه ، ما جرى ذات ليلة فى قطعة يتناوب عزف إحدى فقراتها عازفان ، واحد على القيثار ومصاحب له على البيانو . فقد وقع من المصاحب خطأ فى عزف الفقرة ، فأعاد كريسلر الخطأ نفسه فى عزفه الفقرة على القيثار حتى لا يفتضح غلط زميله . ثم إن أساليبه فى العيش بسيطة ، فليس له خادم ولا سكرتير ، وإذا سافر كان سفره فى المركبات العادية ، وهو الذى يحمل حقائبه بنفسه .

وكريسلر — وإن يكن صاحب قريحة متعددة الجوانب — فهو موسيقىّ قبل كل شىء . وكان يصرف معظم وقته مثل كل فنان محب لفنّه فى طلب « الصوت » ، فى طلب القيثارة التى تحمل السامع إلى ماوراء هذا العالم . وهذا ولا شك مطلب عسير كثير التكاليف ، ولقد دفع ٤٠٠٠ ريال ثمناً لقيثارته الأولى ، ودفع ١٠٫٠٠٠ للثانية . ثم وقع بعد ذلك فى هوى حسناء من القيثارات الحسان كانت فى معرض تاجر من تجار لندن . والتمس كريسلر صاحبها ، وكان من الهواة الأغنياء ، فعلم منه أنها ليست للبيع . وقد تلطف هذا الهاوى الفنى الخبير ، فأخرج القيثارة من علبتها وقال له : « اعزف عليها » . ورفع كريسلر القوس ، وأخذ يأتى عليها بمعجزات سحره . وعندئذ قال صاحب القيثارة : « هى لك . إنى أحبها ، ولكنك القادر على إحيائها ، وليس من حقى أن أبقيها عندى خرساء جامدة » .

نواة قصة

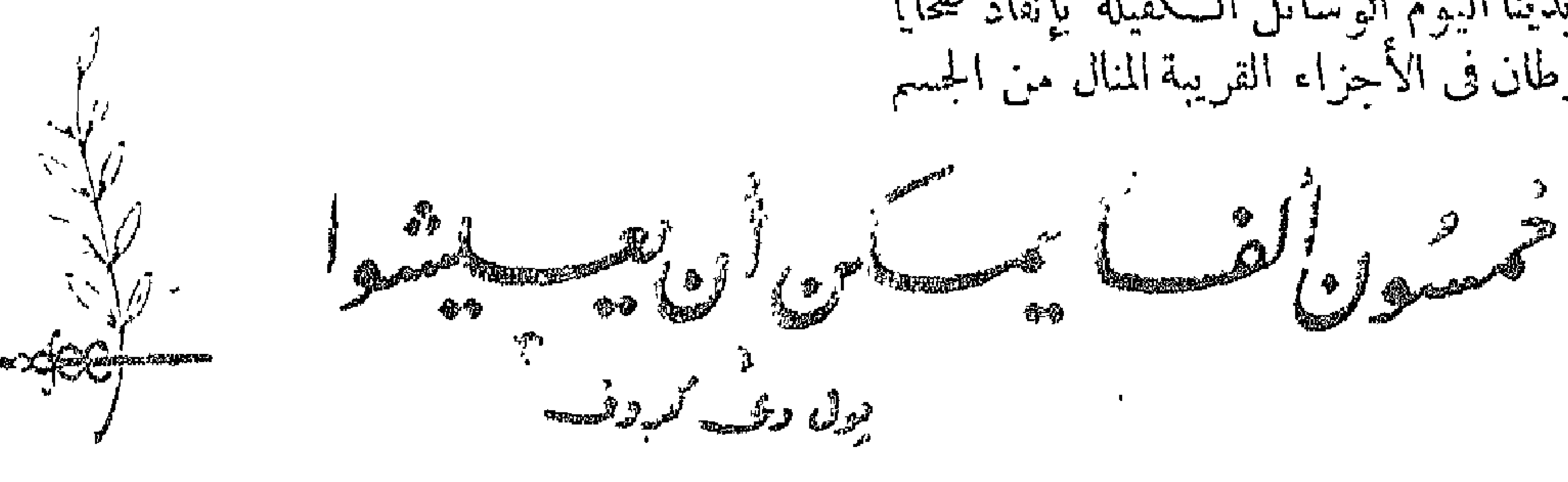
تلقت إدنا فربر الروائية الأمريكية رسالة تلفونية من أحد مديرى شركات السينما فى هوليوود ، فأعرب فيها عن رغبته فى محادثتها فى موضوع روايتها الجديدة التى ملأت ٥٠٠ صفحة . ثم قال : إنه واثق بأن الرواية تحتوى على نواة قصة .

[ذى نيو يوركر]

لا ينبغى لأحد أن يحمل أكثر من نوع واحد من أنواع الهموم ولكنّ بعضهم يحمل أنواعها الثلاثة : همومه الماضية ، وهمومه الحاضرة ، وما قد ينزل بساحته من همّ فى المستقبل .

[إدورد إفريت هيل]

فى أيدينا اليوم الوسائل الكفيلة بإنقاذ ضحايا السرطان فى الأجزاء القريبة المنال من الجسم



خمسون ألفاً يمكن أن يعيشوا

بول دى كروف

خمسون ألفاً من ضحايا السرطان يموتون كل عام فى أمريكا بلا مسوغ ، من جراء إهمال علاجهم فى مبدأ أمره . وكان إنقاذهم مستطاعاً ، لأن الأورام السرطانية تصيب أجزاء من الجسم يطلق عليها الأطباء اسم «الأجزاء القريبة المنال» ، وتشمل هذه الأورام السرطانية القريبة المنال سرطان الجلد والشفة والفم والحلق وعنق الرحم ، فإن الوصول إلى هذه الأجزاء يسير على الجراح وهو أيسر على سحر الأشعة السينية ذات الضغط العالى والراديوم . فالأشعة السينية والراديوم قد أصبحا الآن فى يد العامل الحاذق نجاة للمريض وهلاكاً للسرطان .

وما من شك فى أن السرطان قد صار اليوم أطوع أمراضنا الفتاكة انقياداً للعلاج ، إذا استثنينا الالتهاب الرئوى . وموطن الضعف فيه أن السرطان فى بدايته يكاد يكون موضعياً فى جميع الأحوال .

من أبسط قواعد الفطنة أن يعجل الإنسان باستشارة الطبيب عندما تبدو له أول بادرة من الشك فى إصابته بمثل هذا المرض المميت ، كأن يشكو مثلا من قرحة عصية ، أو ورم تحت الجلد ، أو بحاح مزمن ، أو نزف مجهول السبب من أى منافذ الجسم كان .

ومع ذلك فإن ثلاثة من كل أربعة من المصابين بالسرطان لا يزالون يقطعون هذه المرحلة التى يتيسر فيها الشفاء ، قبل أن يدخلوا العيادات الطبية حيث تتاح لهم أسباب النجاة .

ومرجع هذا الإهمال إلى أنهم لا يحسون ألماً ، وأنهم يخافون مبضع الجراح الباتر ، وإلى علمهم أن القوة الجديدة الشافية فى الأشعة السينية والراديوم لم تزل موضع ريبة ، من جراء ما يسند إليها من الحوادث التى لم يعد وقوعها أمراً محتوما .

لقد شحذت هذه الأسلحة الجديدة فى مستشفى الأورام بشيكاغو لشن حرب على سرطان الحنجرة . والأمل فى شفاء سرطان الحنجرة أمل مشوب بالفزع . وكل بحاح فى الصوت يدوم أكثر من أسبوعين ينبغى أن يثير شبهة الإصابة به ، فيجب عندئذ أن يستشار طبيب متخصص فى أمراض الحلق . هذا وتشخيصه — سلباً أو إيجاباً — أمر يسير ، وهو عادة بطىء التفشى ، وجراحة

محدودة تجرى فى أوائله قد تبرىء ثمانى من كل عشر من ضحاياه . لكن الأمل الوحيد فى برئه فى أواخره هو استئصال الحنجرة ، ويفقد المريض صوته الطبيعى ما عاش . والخوف من هذه النهاية هو علة إخفاقنا اليوم فى خفض نسبة الوفيات بسرطان الحنجرة ، الذى يقضى كل عام على ١٥٠٠ من ضحاياه يموتون مختنقين فى ألم بطىء .

إن وسيلة مكافحة هذا الاختناق فى معهد شيكاغو للأورام هو علم أدنى إلى الهندسة البيولوجية المتفوقة فى دقتها منه إلى الطب . ويشرف على معداته العالم الطبيعى الدكتور أرثر كومبتون حائز جائزة نوبل للطبيعة . وبدلا من أن يسدد علماء السرطان سلاح الأشعة السينية والراديوم إلى الأنسجة المريضة والسليمة ، دون تمييز ، معرّضين السليمة للأذى ، فإنهم يرمون بدقة وإحكام قلب الهدف ، وهو السرطان نفسه . فأشعتهم أصبحت الآن بندقية قوية تسدّد إلى سبب الموت الخانق .

وقد أقاموا الدليل على هذا الإحكام الجديد فى الرماية سنة ١٩٤٢ يوم أنقذوا حياة أستاذ شاب من أساتذة القانون فى البرازيل ، فقد بلغ منه سرطان الحنجرة حتى أصبح يشق عليه الهمس ، ونقص وزنه ٢٠ رطلا ، فبعث به الرئيس فارجاس إلى الولايات المتحدة . وكان أطباء البرازيل وأمريكا مجمعين على أن لا رجاء فى حياته إلا باستئصال حنجرته ، ولما كان خطيباً مفوها فقد رفض هذا العلاج رفضاً حاسماً . وآثر الموت على التدمير الذى يلحق حياته .

والحنجرة وإن كانت دفينة فى الحلق ، إلا أن القوة النفاذة للأشعة السينية من جهاز المعهد الذى صنعه ٤٠٠,٠٠٠ فولت ، قد استطاعت أن تصل إليها بسهولة . وقد رقد الأستاذ الشاب تحت فوهة هذا المدفع الضخم المنقذ للحياة رقدة مريحة تعينه عليها أكياس من الرمل تمنعه أن يتحرك معشار بوصة . ثم أعد علماء الأشعة عدتهم لحماية الأنسجة السليمة المحيطة بالسرطان من الأذى ، ووضعت علامة على ظاهر عنق المريض تعين تعييناً بالغ الدقة موضع السرطان فى حلقه ، واتخذت هذه العلامة هدفاً للأشعة غير المنظورة ، وبدا الهدف واضحاً على الجلد تحت أشعة جهاز جامع للضوء يشبه مصباح النور الكشاف .

وظل الورم السرطانى أحد عشر يوماً ينسف بالإشعاع الشديد : كل يوم مرتين . وكان مدفع الأشعة السينية يسدد من موقع يكفل فتك الأشعة بالسرطان دون أن يؤثر فى الأنسجة السليمة ، ماقرب منها من النسيج المصاب وما بعد عنه . وظلت المنطقة التى

سدد إليها الأشعة تنكمش رويداً رويداً نحو قلب السرطان ، وظل مسار الأشعة الدقيق يحدده الجهاز الذى يجمع الضوء فى بؤرة كالنور الكشاف ، فكان متخصصو السرطان فى المعهد على ثقة من المكان الذى يسددون إليه أشعتهم ، فلا ينال الأنسجة السليمة الرقيقة المحيطة بالسرطان إلا أضأل نصيب ممكن من الأشعة السينية الفاتكة . وحين أوفى العلاج على النهاية سلط على قلب السرطان ، وهو أشد مافيه استعصاء ، مقدار مدمر من قوة الأشعة السينية التى رفعت طاقتها رفعاً مطرداً .

لقد كان هـذا استئصالا فائق الإحكام لخلايا السرطان ، وكان أدق كثيراً من مبضع أى جراح ، فلم يلحق الخلايا السليمة إلا أيسر الضرر . وقد كان الإشعاع ولا ألم منه ، فلم يشعر المريض بشىء على الاطلاق .

وقد كان أمر هذا الأستاذ الشاب كأمر الذين يعالجون الآن بهذا الإشعاع المركز فى معهد شيكاغو للأورام ، فلم يصبه من مساوىء الاشعاع المخوفة إلا رد فعل طفيف على الجلد ، وبرىء حلقه برءاً كاملا ، وعاد إليه صوته خلال أربعة أسابيع ، وفى نحو ستة أسابيع اختفى السرطان . وهو اليوم ، بعد عامين ونصف عام ، معافى تام العافية ، يمارس صناعته كما كان .

إن تحويل الأشعة السينية والراديوم من أسلحة موت إلى أسباب تهب الحياة ، حادث من أغرب حوادث التاريخ البشرى وأقربها إلى الخيال . فالأشعة السينية فى نشأتها الأولى وبعقب اكتشافها مباشرة ، كانت تؤدى فعلا إلى السرطان الذى تستطيع أن تبرىء اليوم منه . وكثيراً ما أصيب القائمون بتجربتها من الجراحين والأطباء بحروق من هذه القوة الهائلة التى لم يكونوا يعرفون كيف يتقونها ، وكثيراً ما انتهت هذه الحروق إلى أورام تأكل الأصابع والأيدى والسواعد فى تعذيب موصول عشرين عاما ، ثم يكتسحهم السرطان فى النهاية فيختم هذا العذاب .

ففى أمريكا وحدها قضى ٢٧ رجلا نحبهم فى سبيل سياسة الأشعة السينية حتى تصير حربا على الموت ، وقد ضحت مدام كورى نفسها بحياتها لهذا الغرض بعد أربعين عاما من معونة زوجها على اكتشاف سلاح الراديوم ذى الحدين .

ودنا أول قطاف من جهاد شهداء الأشعة هؤلاء فى العقد الثالث من هذا القرن ، إذ وفد ستة من ضحايا سرطان الحلق على معهد كورى فى باريس يلتمسون فيه آخر ملاذ لهم ، وكان الجراحون قد خطوا فى سجلاتهم أن « لا أمل فى الجراحة » ، وكان أطباء معهد كورى قد نزعوا نيوب الشر من أفواه

الأشعة والراديوم ، ورفعوا الستار عن موضع ضعف خفي في خلايا أورام سرطانية معينة ، إذ وجدوها أشد قليلا من الخلايا العادية إحساساً بالأشعة السينية — ولكنها أشد منها إحساساً على وجه التأكيد — فعالجوا أولئك المرضى الستة الذين لم يكن في شفائهم أي أمل ،وآذوا أنسجتهم السليمة، ولكنه كان أذى غير دائم ، وقضوا على خلايا السرطان أتم قضاء ، وهو أول ظفر من جنسه منذ بدء الخليقة .

وجرب أطباء معهد كوري الأشعة في كل أنواع السرطان ، فعلمتهم هذه التجارب الحذر ، إذ أن سرطانات المعدة والأمعاء والرئتين والكليتين والعظام والبروستاتا بدت لهم عصية على هذا الإشعاع الجديد ، فأخذوا ينذرون الناس أن هذه الأنواع من السرطان يجب أن تعالج بالجراحة ، وذلك ما لم يزل ساريا إلى الآن .

أما في أمريكا فلم يقض على الخوف من الأشعة والراديوم إلا بعد جهد ، فأطباء مستشفى نيويورك التذكاري،وإن كانوا قد أيدوا ما كشفه معهد كوري من أن الأشعة وسيلة لشفاء كثير من الأورام السرطانية في الجلد والفم والرحم ، إلا أن الناس ظلوا يعتقدون أن الموت حتم على من يراد شفاؤه من السرطان بالأشعة أو الراديوم . وما كان يتاح لعلماء الأشعة على العموم أن يعالجوا مرض السرطان بالأشعة إلا إذا أعلن الجراحون أنهم قطعوا الأمل من الشفاء .

ثم أخذ المرضى الذين بلغ منهم السرطان ، ودفعهم اليأس إلى الرغبة في تجربة أي علاج تبدو لهم فيه أقل بارقة من الأمل في الحياة ، يقبلون على التماس معونة علم الإشعاع . ففي أوائل العقد الرابع من هذا القرن وفد على الدكتور ماكس كتلر،رجل يوناني ميئوس من شفائه يدعى جست إيكونو بولس — وينبغي أن لا ينسى اسمه . وكان الدكتور ماكس كتلر يومئذ مديراً لعيادة الأورام بمستشفى ميخائيل ريز بشيكاغو ، وكان قد درس علم الإشعاع الجديد في معهد كوري . وقد قدم عليه جست في نهاية يوم شؤم لم ير الطبيب فيه غير حالات من السرطان مشرفة على الهلاك ، وها هي حالة أخرى . كان جست عاجزاً عن البلع ، وكان يتنفس بمشقة ، وكان النزف قد أصابه مراراً ، وفقد من وزنه ٣٠ رطلا ، وقطع الأمل من شفائه بالجراحة .

نظر الدكتور كتلر إلى حلقه نظرة خاطفة ثم قال لمساعديه : « لا تعرضوا عليّ اليوم حالات أخرى من السرطان العُقام (الذي لا رجاء في شفائه) » .

وبعد أن أخرج الرجل عاد كتلر فبدأ

له فاستدعاه ، فما له من أمل يخشى عليه الضياع . وكذلك أخذ هذا الرجل الذى كان فى حكم الموتى يعرض كل يوم طوال الأسابيع الستة التالية لقدر هائل من إشعاع الراديوم ، يفوق مرتين ونصف مرة أى قدر مقرر فى السجلات العلمية ، حتى تقشر جسمه تقشراً مفزعاً ، ولكنه عاد فبرئ كما برئ سرطانه العضال . وعاش جست إيكونوبولوس تسع سنوات بعد ذلك ثم مات من القلاب وقد أوفى على السبعين .

وأثارت هذه المعجزة مسائل خطيرة . كيف تستطيع مثلا أن تتحقق أى أنواع السرطان عصىّ على الراديوم وأيها ذلول له ، إذا أنت لم تجربه فيه ؟ واقتضى حل هذه المسائل إنشاء معهد شيكاغو للأورام فى سنة ١٩٣٨ ، وعين ماكس كتلر مديراً له بعيد ذلك .

ومن أى وجه نظرت إلى هذا المعهد ألفيته باعثا على الدهشة ، فقد استقر فى دار مدرسة شيكاغو اللاتينية القديمة لما لم يجد رجاله مالا لكى يشاد البناء بالأسمنت المسلح ، وزين بالخزف الأبيض والزجاج . وهو على قذارة خارجه يضم أحدث طراز من أجهزة الأشعة السينية ذات الضغط العالى . وكتلة الراديوم التى فيه تزن عشرة جرامات ، مخزونة فى وعاء من الرصاص وزنه طن ، وهى ثانية كتلتين هما أضخم كتل الراديوم فى العالم ، أما أولاهما ففى لندن .

ويرأس مجلس إدارة هذا المعهد الدكتور لودفيج هيكتوين ، وهو شيخ الأطباء فى أمريكا وعظيمهم . وعلى أنه قد بلغ الحادية والثمانية من عمره فهو الباثولوجى النشيط الذى وكل إليه تشخيص السرطان . ويبدأ عمله فى الساعة الثامنة من صباح كل يوم . وإن تفاؤل هذا العالم الشيخ الرزين الذى لايقهر ، ليخجل كثيراً من شباب مكافحى الموت. إن الدكتور هيكتوين يقول : « إن كل سرطان يجتاز دوراً يكون فيه قابلا للشفاء إما باستئصاله بالجراحة وإما بالإشعاع » . وهذه الروح الناضلة فى هيكتوين هى التى تذكر عمال المعهد دائما بأنهم يجهلون — ما لم يجربوا — أمد هذا الدور القابل للشفاء .

وليس لهذا المعهد مال ، وإنما تعينه على الاستمرار فى علاج السرطان القريب المنال بالأشعة السينية والراديوم ، هبات مصلحة الصحة العامة فى الولايات المتحدة ، ولكنه يخسر فى كل عام مبلغا من المال يعوضه منه مجلس الإدارة ، وتبرع نفر قليل من أهل شيكاغو . وعلى رغم هذا الفقر يصر الدكتور هيكتوين على أن أى مريض بالسرطان يمكن أن يسدى إليه أى عون ، يجب أن لا يرد عن المعهد خائبا .

وخلال السنوات الست التي قضاها المعهد في إتقان وسائله لإصابة مقتل السرطان ، لم يمت غير اثنين من المرضى آذى الإشعاع أنسجتهم السليمة ، وقد كان هذان المريضان محكوما عليهم بالموت على أي حال . وليس إنقاذ حياة أستاذ القانون الشاب وصوته إلا القاعدة وغيره هو الشذوذ . فمن بين الخمسين حالة الأول من حالات سرطان الحنجرة القابل للعلاج بالجراحة ، والتي عولجت هذا العلاج المركز بالأشعة السينية ذات الضغط العالي أو بقذيفة الراديوم الضخمة ، لم ينتكس غير اثنين عاودهما الداء الرهيب ، وقد كان مقدوراً على نصف أولئك المرضى على الأقل لو هم عولجوا بالجراحة أن يحرموا أصواتهم الطبيعية ما بقوا على قيد الحياة .

أما وقد صار في الوسع اليوم استعمال هذا القدر الشافي من الأشعة ، دون خوف من أذى الاشعاع أو الحرق ، فقد فتح باب جديد من الأمل لأولئك الشاكين من كل الأورام السرطانية القريبة المنال ، والتي لم تنتشر بعد في الجسم . وقد سجل معهد كورى في باريس الشفاء بالإشعاع في ٧٥ في المئة من الحالات التي عولجت في بدء السرطان في عنق الرحم . وقد أصاب مستشفى نيويورك التذكاري توفيقا قريبا من توفيق معهد كورى ، ومع ذلك فألوف من النساء الأمريكيات لم يزلن يقضين نحبهن بهذا الداء كل عام !

إن العقبة التي تعوق التقدم في هذه المعركة المبشرة بالأمل ليست على أي حال بالعقبة المعجزة أو العصية على التحطيم ، فهي ليست إلا شدة الحاجة إلى الخبراء في مرض السرطان . فأنت حين تشهد لودفيج هيكتوين أو ماكس كتلر ومساعديهما يعملون في معهد شيكاغو للأورام ، لا تلبث أن تدرك ما للدربة الطويلة من شأن عظيم . وهي لا تقتصر على وصف آفة السرطان وجراحتها فحسب ، بل تشمل النواحي الدقيقة المحكمة للصلة الوثيقة بين النظريات الحيوية والطبيعية الحديثة والإشعاع .

ويبدو اليوم من السجلات الدقيقة لهذه الدار ، دار الرجاء ، أن الزيادة تطرد في عدد الرجال والنساء الذين برئوا بعد أن أعلن الجراحون يأس المبضع من شفائهم ، وكل أولئك المحكوم عليهم بالموت هم اليوم على قيد الحياة ، وذلك بفضل العلاج بالإشعاع الذي بلغ في الشدة مبلغاً لو سئل فيه الخبراء منذ بضعة أعوام لقالوا إن العلاج نفسه فتاك .

حادث كاتب هذه السطور سيدة عجوزاً يوم عادت من ذلك المعهد إلى دارها ولا أثر لما بها من أورام السرطان ، وكانت عيناه

تحت منظارها تتلألأ الآن بالسعادة . فمنذ بضعة أسابيع كانت هذه السيدة مريضة بسرطان خبيث سريع الانتشار فى حلقها أعجزها عن ازدراد الطعام ، وبدت فى صورة الأشعة فتحة فى الحلق لا تكاد ترى ، كانت تستطيع خلالها أن تشرب قليلا من السوائل شرباً تعانى فيه ألماً شديداً .

وما كان أكبر جراح فى العالم ليجرؤ على أن يجرى لها جراحة ، وكانت قد ظلت طريحة الفراش من ذلك الضعف الذى أصابها من جراء حرمانها أكثر الطعام ثلاثة أشهر ، فلم تستطع أن تصعد سلم المعهد إلا بمعونة ، ثم وصف لها الأشعاع المركز بالأشعة السينية مرتين فى اليوم لمدة اثنى عشر يوماً .

قالت السيدة ضاحكة وعيونها السود تحت نظارتها تشع الحياة والقوة : « عندما فحص الطبيب حلقى بالأمس لم يكد يصدق ! »

فلو أننا هيأنا أجهزة الأشعة وابتعنا الراديوم ، ودربنا عمال الأشعة خاصة ، لاستطاع هذا العلم الجديد أن ينقذ ٥٠٠٠٠ نسمة يذهبون ضحايا للسرطان القريب المنال كل عام ، بل قد تنقذ جميع ضحايا السرطان لو تعلم الناس أن يبادروا إلى علاج السرطان فى بدايته ، حين يكون خطره محصوراً فى مكانه . وفى ذلك يقول الدكتور هيكتوين : « إن التقدم فى الأشعاع اليوم قد بلغ مبلغاً يجعلنا نستطيع أن نهدى إلى المريض الأمل فى شفائه لا تروعه مخافة التشويه . فإذا عرف الناس ذلك فسوف لا يخشون التبكير بالعلاج » .

ويعتقد الدكتور هيكتوين أن العلم قد يوفق يوماً ما إلى علاج كيميائى بسيط للسرطان، ولكنه رجل عمل فتراه يعود فيقول وعلى شفتيه ابتسامة جافية : « إن مريض السرطان فى الوقت الحاضر لا يقنعه أن تقول له إن البحث قد يوفق فى المستقبل إلى هذا العلاج ، وإنما عليك أن تعالجه بالوسائل التى فى متناول اليد ، وهذه الوسائل تفعل حقاً ما يفعل السحر » .

وهيكتوين هذا الذى مسه الكبر ، وإن كان لا يزال أحفل أصحابه بفيض الشباب ، لا يفتأ يحفز ماكس كتلر ومساعديه على توسيع حملتهم حتى تشمل جميع أنواع السرطان التى بسطت سلطانها القاتل على الناس . فثمة أورام سرطانية متغلغلة فى الجسم لم تصبح بعد ميسورة المنال كسرطان الرئة مثلا ، والدكتور هيكتوين يأمل أن تنفذ إليها يوماً ما تلك القوة الهائلة المحكمة للأشعة السينية المركزة .

ولو كان فى كل مدينة معهد للأورام كمعهد شيكاغو ، لأدركنا ثلث ما نبغى من النصر فى معركة السرطان .



تصرّف

وليام باريت

ملخصة عن مجلة «ساوثوست ريفيو»

حكاية طريفة عن مقاومة لطيفة من الوقادين المكسيكيين للنظام

كنت أنا ولارى أصغر المهندسين فى حقل البترول ، وكان معنى ذلك أننا من كتبة الحسابات . ولم تكن مهمتنا إلا أن نردد الأوامر التى يصدرها المكتب الرئيسى ، غير أن العمال المكسيكيين كانوا يبجلوننا ، إذ كانوا يرون فينا صورة الرئيس المجهول الذى يدفع لهم أجورهم .

وكانت أعلى طبقة بين هؤلاء العمال هى طبقة الوقادين « العطشجية » ، وهم رجال ذوو أجسام ضخمة يعملون بالمناوبة ثمانية ساعات تحت حرارة الأتون القاسية . فكانوا يجرفون الفحم بمجارف كبيرة ثم يقذفونه بلا روية فى منافذ ضيقة ، وهم عراة إلى خصورهم ، ولكنهم ذوو إباء وشمم . وقليل من الرجال من يقوى على مثل هذا العمل ، وقد كانوا هم هذا القليل .

كانت الشركة تصرف الأجور للعمال مرتين فى الشهر : فى الخامس وفى العشرين منه . وكان العامل المكسيكى يعدّ هذه الطريقة حمقاً وسخفاً ، فكيف يتيسر لامرىء معه مال أن يبقيه فى جيبه ١٥ يوما ؟ إنه إذا ادخر المال أكثر من ثلاثة أيام كان بخيلا ، ومتى كان الدم الإسبانى ياسيدى يجرى فى عروق البخلاء !

ومن أجل ذلك كان هؤلاء الوقادون يأتون فى اليوم الثالث أو الرابع ليسحبوا شيئاً مما يستحقون . وكنت أنا ولارى نبلغ المكتب الرئيسى الإجراءات اللازمة ثم نتسلم السلفة التى يستحقها كل عامل . ثم حدث ذات يوم أن أبلغتنا الشركة المذكرة التالية :

« لقد وقعت أخطاء كثيرة جداً فى تطبيق امتياز دفع السلف ، ومنذ اليوم لا تدفع سلفة إلا فى أحوال استثنائية طارئة » .

وما كدنا نعلق الإعلان حتى دخل علينا الوقاد جوان جارسيا يطلب سلفة ، فأومأت إلى الإعلان ، فجعل يقرأه متأنياً كلمة كلمة ثم صاح : « وما معنى أحوال استثنائية طارئة » .

فبينت له أن دفع الأجور على فترات قصيرة قد سبب للشركة ضرراً جسيما . فإذا ما أصاب العامل مرض أو إذا اضطر إلى مال لظرف طارىء أو لسبب معقول ، فإن الشركة تستثنيه فى هذه الحالة .

فلوح جارسيا بقبعته بتؤدة وهى بين يديه لـكبيرتين وقال . « لن أحصل إذن على نودى » !

« فى المرة التالية ياجارسيا ، فى العشرين من الشهر » .

وبعد ساعة دخل رجلان من الوقادين وشرحنا لهما الإعلان فانصرفا بوقار ، ولم يأت أحد بعد ذلك . وأخذ جوان جارسيا وبيت مندوزا وفرانسيسكو جونزاليز يذيعون هذا القول : « إذا شئت أن تحصل على بعض المال الآن فلتزعم أن زوجتك مريضة ، أو أن ولدك فى حاجة إلى دواء » .

وفى صباح اليوم التالى كانت زوجة جوان جارسيا تحتضر ، وأم بيت مندوزا يكاد الموت لا يمهلها، وتفشى وباء بين الأطفال . ولتنويع الأعذار زعم رجل واحد فقط أن والده مريض . وقد بدا هذا غريباً شاذا ، ولـكن لم أكن أنا ولا لارى مكلفين بالتطفل على حيـاة العمال الخاصة ، فأعددنا أذون الصرف وبينا فيها الحالة الاستثنائية الطارئة ، ونال رجالنا بغيتهم .

وتكرر ذلك فى بحر أسبوع ، حتى وصل إلينا أمر جديد : « من الآن فصاعداً لا يدفع للعمال أجورهم إلا فى الخامس والعشرين من الشهر ، ولا يستثنى من ذلك إلا العمال الذين يتركون خدمة الشركة » .

وعلقنا الإعلان على اللوحة وشرحنا مضمونه . وانصرف جوان جارسيا وهو يفكر ، وأخذ هو ومندوزا وجونزاليز وأيالا يتشاورون فى الأمر، ثم أقبل فى اليوم التالى يقول : « لقد تركت العمل فى الشركة لألتحق بعمل آخر فهل تدفعون لى الآن؟ »

فصرفنا له . وكذلك فعل جونزاليز ومندوزا وأوبريجون وأيالا وأورتيز ، وهم صفوة الوقادين الذين لا يمكن أن نجد من يحل محلهم .

وفى كل صباح كان يطلب الالتحاق بالعمل عمال عابرون لا خبرة لهم . وعلى حين غرة ظهر العمال البارعون فى صفوف الطالبين فهذا جارسيا ومندوزا والآخرون يطلبون عملا فألحقناهم ولا ريب ، إذ لم يكن لنا حل آخر . وفى عصر كل يوم كان عندنا لفيف من الوقادين يعتزل العمل ، وفى صباح كل يوم لفيف من الوقادين يبحث عن عمل . وقد ضج المكتب الرئيسى من طلبات جارسيا المتوالية لاعتزال العمل أو للالتحاق به . وفى بعض الأحيان كان نفس الاسم يظهر مرتين فى قائمة الأجور ، فى حين يبطىء غيره فى طلب الاعتزال . وفى أثناء هذه الفوضى أعلنت الشركة أمراً آخر : « من الآن فصاعدا إذا اعتزل أى عامل العمل لا يلحق به إلا بعد ٣٠ يوما » .

واضطر جارسيا أن يقدم طلباً آخر لترك العمل . فلما دخل علينا عرضنا عليه الأمر وحذرناه بقولنا : « إن ثلاثين يوماً لمدة طويلة ياجوان » .

إنها لمشكلة عويصة اقتضته زمناً لكى يتدبرها ، وكذلك فعل جونزاليز ومندوزا وأيالا وأورتيز . ومع ذلك فقد تركوا جميعاً العمل فى النهاية .

ولقد بذلنا غاية جهدنا لنثنيهم عن عزمهم وأسفنا على فراقهم ، فقد كان الفراق هذه المرة إلى الأبد فصافحونا . ومع ذلك فقد كان أصدقاؤنا فى الصباح فى صفوف الطالبين الذين يريدون الالتحاق . وبكل رزانة أخبرنى جارسيا بأنه وقاد يطلب عملا .

فقلت له : « لا أمل لك فى ذلك ياجوان ارجع بعد ثلاثين يوما ، لقد حذرتك » .

فحملقت عيناه فى وجهى دون أن تطرفا وقال : « لقد التبس عليك الأمر ياسيدى ، أنا مانويل هرنانديز . وقد اشتغلت من قبل وقاداً فى بيوبلو وفى سنتافى وفى أماكن أخرى » .

ومن أنا حتى أجادل رجلا فى حقيقة اسمه ؟ لقد ألحقته بالعمل ، كما ألحقت جونزاليز الذى أقسم بأن اسمه كاريرا ، وكذلك أيالا الذى زعم ، بصفاقة ، أنه سميث . وبعد ثلاثة أيام عاد اعتزال العمل كما كان .

وفى بحر أسبوع كانت قائمة أجورنا تقرأ كأنها سجل لتاريخ أمريكا اللاتينية ، إذ كان كثير من أسماء أعلامها مذكورين فيها : أوبريجون ، وڤيلا ، ودياز ، وباتستا ، وكذلك سان مارتين ، وبوليڤار . وأخيرا سئمت أنا ولارى من النظر إلى هذه الوجوه المعهودة ، ومن كتابة أسماء لا عهد لنا بها ، فذهبنا إلى المدير وسردنا له القصة بأكملها . فحاول أن لا يقطب وجهه ثم قال : « تبًّا لهم ! هذا عبث » .

وفى اليوم التالى نزعنا الأوامر المعلقة ، ودعونا الوقادين المشهورين إلى المكتب ، وأشرنا إلى اللوحة الخالية . فلم يعد ثمة أوامر .

وقال لهم لارى وهو مكفهر الوجه : « فى المرة المقبلة يوم نلحقكم بالعمل ، تعالوا بأحب الأسماء إليكم لأنها الأسماء التى ستظل فى الدفاتر » .

فنظروا إلينا ثم نظروا إلى اللوحة ، ولأول مرة فى هذا الصراع الطويل ابتسموا حتى برقت ثناياهم البيض وهم يقولون : « سمعاً وطاعة ياسادتنا » .

أحب الرجل الذى يبتسم وهو يكافح . [ونستون تشرشل]

بطل الطعام النقي

أ . ك . أرمستروبخ

نشرت ريدرز دايجست فى العهد الأخير سلسلة من سير الذين خدموا الإنسانية وشقوا طريق الإصلاح الاجتماعى . وليس ثمة ريب فى أن كل امرىء يجنى خيراً عظيماً من حماسة هذا الرجل الذى لا يقهر — أول مكافح فى سبيل الطعام النقى .

فى صيف ١٨٦٤ ، فى أواخر الحرب الأهلية الأمريكية ، كان جندى من ولاية أنديانا يدعى « هارفى وايلى » مستلقياً على سرير فى معسكر فى تنيسى ، وهو أدنى إلى الموت ، فقد نزلت به الدسنطاريا آفة الجيوش فى ذلك العهد . وأقبل عليه جراح وسأله : أين يريد أن يرسل متاعه ؟

فكان جواب وايلى : « سأبرأ ، وسأصبح طبيباً يقهر هذه الآفة » .

عاد الجاويش وايلى إلى داره فى أكتوبر ، حيث قضى ستة أشهر تمرّضه أمه وترعاه ، فلما استرد عافيته بالطعام المغذى ، اقتنع بأن الطعام الملوث والفاسد ، هو سبب أكثر الأمراض بين المقاتلين ..

ولم تنقض تسع عشرة سنة حتى استفاضت شهرة الدكتور هارفى و . وايلى فى تجارب الطعام ، فعين مديراً لمصلحة الكيمياء فى وزارة الزراعة الأمريكية ، فأتيحت له الفرصة التى ظلّ يترقبها ، فأدهش الأمة كلها ببياناته عن الأغذية والعقاقير السامة المولدة للأمراض ، وكشف عن الحاجة الماسة إلى مراعاة الأمانة فى الإعلان وتحضير البطاقات التى تلصق على أوعية الدواء والطعام . واندفع يشنّ حرباً لا هوادة فيها ، فسحق فى آخر الأمر كل معارضة فى سنّ قانون للأغذية والأدوية النقية . وكذلك وضع الأساس لنظام من الصحة العامة فى أمريكا ، يحسدها عليه العالم كله ، وأوحى ببرامج لحماية الصحة فى كل بلد متحضر آخر .

جبل هارفى وشنطن وايلى على صلابة كصلابة أرض أنديانا الجنوبية ، حيث ولد فى سنة ١٨٤٤ . وقد كان بيته الأول كوخاً من الخشب أرضه من الطين ، وكان والده يزاول أعمال النجارة ليضيف شيئاً إلى دخل المزرعة القليل . وكانت أمه تحوك بيديها

القماش الذى صنع منه ثيابه حين التحق بكلية هانوفر، بعد أن أبل من مرضه فى زمن الحرب . ثم جعل يدرس اللغتين اليونانية واللاتينية فى جامعة بتلر فى النهار ، ويدأب على دراسة الطب فى الليل . على أن درجة الدكتور المرموقة التى ظفر بها من الكلية الطبية بإنديانا لم تكفه ، فقد كان همه أن يحمى الناس من الأمراض لا أن يبرئهم منها ، فذهب إلى جامعة هارفرد ، ليتوسع فى دراسة كيمياء الأطعمة ، فاجتاز فى ستة أشهر امتحانات الدراسات العلمية التى تستغرق أربع سنوات ، وتخرج .

عين أستاذاً للكيمياء فى جامعة « برديو » وأنشأ معملا للبحث ليقيم فيه الدليل على أن الطعام المغشوش يبتلى الناس بالأمراض ، فعده زملاؤه فى هيئة الأساتذة رجلا شاذ الطباع . ولقد عنفه أمناء الجامعة تعنيفاً شديداً لأنه لعب بالكرة مع الطلبة ، فأزرى بوقار هيئة الأساتذة ، ثم لأنه ركب دراجة كبيرة العجلات ! (وهذه الدراجة محفوظة الآن فى متحف جامعة برديو). ولكن تقريره الأول عن الطعام النقى أفضى إلى ذيوع ذكره فى الأمة ، وإلى تعيينه مديراً لمصلحة الكيمياء .

كانت المدن الأمريكية ، حين بدأ وايلى عمله فى وشنطن ، آخذة فى النمو السريع ، وكان عدد المستهلكين الذين ينتجون مواد طعامهم فى مزارعهم آخذا فى القلة ، فحاول المشتغلون بتهيئة الطعام وحفظه أن يلبّوا الطلب الذى لم يزل يزداد على الطعام المهيأ والمحفوظ مستعينين بأرخص الأساليب ، وكانوا يسلمون بديئاً بأن الطعام المحفوظ صائر حتما إلى الفساد ، إذا لم تضف إليه مواد تقيه الفساد .

وضم وايلى إليه طائفة من الكيميائيين الشبان الأذكياء ، وكانوا يلقبون هذا الرجل الدؤوب المتحمس « الرئيس » وكانوا يشيرون إليه فيما بينهم بقولهم « الدكتور الجسيم » ، فقد كان مديد القامة يبلغ طوله ست أقدام وبوصة ، ووزنه ٢١٠ أرطال ، وكان ضخم الرأس ينطق وجهه بالذكاء والعزم والدعابة .

رسّخ الرئيس وايلى فى أذهان أعوانه الشعارَ الذى اتخذه : « تحروا الحقائق أولا » . والحقائق تبدو واضحة فى أنابيب الاختبار ، فثمة بنزوات الصودا التى يكثر استعمالها لحفظ الطعام المحفوظ فى العلب ، وثمة الشب ، والحمض السلسيليك ، وغيرهما من المواد التى يغش بها الطعام ، وثمة كبريتات النحاس المستعملة لإضفاء لون زاه على الخضروات ، وأصباغ قطران الفحم الحجرى المحتوى على مواد كيميائية ضارة تضاف عادة إلى الأطعمة المهيأة .

ثم تحول « الرئيس » إلى نسف العقاقير المزيفة التي عظم إقبال الناس عليها ، فحلل وايلى ، وأعوانه من مستكشفي الزيف ، ألوفاً من النماذج ، فوجدوا تسعين في المئة منها ليست إلا دجلا صرفاً . وقد تبينوا أن كثيراً من هـذه الأدوية أشربة كحولية وحسب ، وأن دواء أعلن عنه أنه علاج لفقر الدم والربو والقرح وأمراض أخرى كثيرة ، لم يعد أن يكون محلولا خفيفاً من الحمضين الكبريتيك والكبريتوس ، وإذا جميع « مساحيق الصداع » تقريباً مصنوعة من مخدرات تولد في الجسم عادة الاحتياج إليها ، وأدوية تلطف الألم ولكنها تضعف القلب . وكانت الأمهات تعطى صغارها « أشربة ملطفة » مصنوعة من الأفيون والمورفين ، وكانت السوق زاخرة بأدوية لعلاج السل والسرطان !

فأطلق « الرئيس » على الجماعات المتأصلة في هذا الضرب من الاستغلال تياراً مستمراً من التقارير ، وجعل يكافح في سبيل سن قانون عام يضمن نقاء الأطعمة والعقاقير . وفي سنة ١٨٨٩ أغرى « بادوك » ، عضو مجلس الشيوخ من ولاية نبراسكا ، بتقديم أول مشروع قانون للأطعمة النقية ، ولكن العمال الذين يستخدمهم من يغشون الطعام ويصنعون الأدوية المحضرة ، قتلوه في المهد .

على أن مشروعات القانون ظلت تقدم إلى الكونجرس ، دورة بعـد دورة ، خلال ستة عشر عاماً فيقضى عليها في اللجان التي تحال إليها . وقد ظل جيـل كامل من أعضاء الكونجرس يرى هذا الطبيب الضخم البشوش يقود جماعة الخبراء إلى اجتماعات اللجنة ، وقد علموا علـم اليقين أنه يأتيهم دائماً بالأدلة الحاضرة . ولكنه مع ذلك ظل يمنى بالهزيمة ، إلا أن الكونجرس كان يجل نزاهته ، وكان على الأكثر يرصد له المال الذي يطلبه ، فتمكن من أن ينشئ جماعة متماسكة من الخبراء يكدحون في البحث والتنقيب .

كان وايلى خطيباً مفوهاً ، فسلك سبيل الكفاح في أوسع نطاق . وقد حضر مرة مؤتمراً لجمعية معبئى الأطعمة المحفوظة في غرب أمريكا ، فحذره رئيس الجماعة من خطر الظهور في المؤتمر .

فقال وايلى : « دع هذا السخف ، أتح لي فرصة لأحدثهم ، وهذا كل ما أريد » .

وقف الدكتور الكبير ونظر في بحر زاخر بالصمت والبغضاء ، وبدأ حديثه بسؤال : أبينكم رجل يرضى أن يغش رزمة من بضاعته ، أو أن يضع عليها بطاقة مكذوبة ، لكى يخدع زبونه قصداً ؟ إن يكن بينكم هـذا الرجل ، فليرفع يده » .

فلم ترتفع يد . ثم مضى وايلى يفسر لهم كيف تربح تجارتهم إذا ما تخيروا أجود البضاعة وصدقوا فى الإعلان عنها . فتحول استنكارهم هتافاً وتصفيقاً ، ووضعت الجمعية قراراً تعرب فيه عن تقديرها لهذه الخطبة ، وعاد الأعضاء إلى ولاياتهم وألسنتهم تلهج بذكر الدكتور وايلى والطعام النقى .

كانت الصحف والمجلات فى ذلك العهد ، تنال من المال عوناً كبيراً بالإعلان عن الأدوية المحضرة والأطعمة المغشوشة ، فألقى وايلى خطبة فى نيويورك بيّن فيها لجماعة من الناشرين ، أنهم يستطيعون زيادة كسبهم بنشر الإعلانات الصادقة وحسب ، هذا على أنهم يساهمون بذلك فى حفظ صحة الأمة وسعادتها . وكان فى الجماعة المحرر الشاب لصحيفة « أمبوريا كانساس جازيت » ، وليم آلن هوايت ، فعاد إلى بلدته وكتب افتتاحية مدوّية صرح فيها بأنه لن يقبل إعلاناً يظنه غير صادق . وأعلنت مجلة كوليرز أنها ستؤيد قانون الطعام النقى ، وجاراها إدوارد بوك محرر مجلة « ليديز هوم جورنال » القوية . ونصح وايلى نصحاً ثميناً إذ قال : « احمل النساء على أن يشددن أزرك » .

بعد الحرب الأمريكية الإسبانية التى قتل فيها الطعام الفاسد من الجنود أكثر مما قتل الرصاص ، واجه الكونجرس شعوراً مطرد النمو فى الأمة بوجوب سن قانون الطعام النقى . وأراد أصحاب المصانع أن يقاوموا هذا الاتجاه ، فأنشأوا فى وشنطن هيئة من الدعاة ، واستأجروا « خبراء » ليقرعوا بحجتهم حجة وايلى وينازعوه صدق الحقائق التى يوردها . فإذا شهد على دواء شائع بأنه دواء ضار ، تقدم الشهود صفا واحداً للتصريح بأن الدواء شفاهم من جميع أوصابهم . وقد صرف المال الوافر للمحررين والساسة وحتى القساوسة لكي يؤيدوا علناً تلك الأطعمة والأدوية التى حللها وايلى فوجدها ضارة .

ولو كان وايلى أضعف عزماً لكف عن النضال ، ولكن « الرئيس » عقد العزم على القيام بضرب جديد من الهجوم يسترعى الأنظار . فأعلن فى سنة ١٩٠٢ أنه سيمتحن الأطعمة والأدوية السامة فى تجارب يجريها على الناس . فأنشأ مطبخاً صغيراً وحجرة طعام فى قبو أحد مكاتبه ، وتطوع اثنا عشر شابا سليما من موظفى المصلحة ليكونوا فى هذا الامتحان حيوانات التجارب . وأضاف وايلى إلى طعامهم البنزوات ، والفورملدهيد ونترات الصوديوم ومواد كيميائية أخرى سوى المواد التى تستعمل عادة فى الأطعمة والأدوية ، فهزلوا وشحبوا وأصبحوا كأنهم أموات .

وأطلق صحفى فى وشنطن على الجماعة بوصف « جماعة وايلى المسمومة » ، واهتمت شركات الأخبار بالتجربة ، فكتبت المقالات الضافية ، وكذلك ظفر « الطبيب الجسيم » بعناية الأمة وانتفع بذلك أيما انتفاع .

وحين اجتمع الكونجرس فى ديسمبر ١٩٠٥ ، كان « الرئيس » ، قد أعد قانوناً شاملاً للأطعمة والأدوية النقية وذكر نصيحة بوك ، فطلب إلى مسز والتر مكناب ميلر ، زوجة أستاذ فى جامعة مسورى ، أن تشد أزره ، فنظمت أول سيل من البرقيات الموجهة من النساء إلى جميع أعضاء الكونجرس فسارع الأعضاء إلى تأييد القانون .

وقد أقر القانون فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦ وبمقتضاه يعد كل غش فى الأدوية أو فى رقومها جريمة . وقد نص على أن لمصلحة الكيمياء أن تقرر الأطعمة والأدوية التى بلغت درجة مقبولة من النقاء ، فزاد وايلى عدد مساعديه ووسع معامله .

واتبعه بعض المشتغلين بتحضير الأطعمة والأدوية ، ولكن آخرين كانوا مقتنعين بأن القانون سيجر الخراب عليهم ، فقد جاء إلى مكتب وايلى أحد الذين يصنعون عصير الطماطم وجلس أمامه وعيناه مغرورقتان بالدموع ، وقال : إن الأمر الذى أصدره وايلى بالحد من استعمال بنزوات الصودا سيجر الخراب على كل معبئ للطعام فى أمريكا . فأرسل الرئيس أحد معاونيه إلى مصنع هذا الرجل ، فوجد الطماطم مكومة أكواماً كبيرة لا يقيها من الذباب شئ ، وكان لباب الطماطم وقشورها — ومنهما يؤخذ العصير — كومة آخذة فى التخمر . وإن أكواماً من هذا القبيل لا يمكن أن تبقى غضة نقية بغير مادة كيميائية .

فأدخل مندوب وايلى الأساليب الصحية فى المصنع ، ووضع قدراً من عصير الطماطم دون أن يضيف إليه مادة كيميائية . وكان صاحب المصنع موقناً أن هذا العصير سيتخمر فتنفجر الزجاجات التى عبئ فيها ، فنحى الزجاجات ووضعها فى مخزن منفصل حتى لا تؤذى أحداً حين تنفجر ، ولكنها لم تنفجر ، وكان العصير النقى أطول عمراً من العصير المغشوش ، فانقلب الرجل إلى داعية من دعاة وايلى .

وكان ثمة معبئ آخر وجد وايلى بضاعته تعج بالبكتريا ، فزعم المعبئ محنقاً على رؤوس الأشهاد أن مصنعه أنظف المصانع فى البلاد وأن وايلى يضطهده ، فزار الدكتور وايلى ذلك المصنع ولاحظ أن الطعام يدفع فى أنابيب قائمة الزوايا حيث تنعطف ، ففككت فوجدت مفاصل الأنابيب ملأى بالمادة المتعفنة —

وهى أصلح مكان لنمو البكتريا . فقال وايلى : جرب أنابيب ليست قائمة الزوايا بل تنحنى انحناءات خفيفة ، فأفضى التحسين إلى زوال البكتريا ، وغدا هذا النوع من الأنابيب من المعدات المعتمدة فى جميع مصانع تهيئة الطعام فى كل مكان .

وللدكتور وايلى مآثر أخرى عظيمة غير قانون الأطعمة النقية خلال خدمته التى دامت تسعا وعشرين سنة . فقد كان أعظم علماء العالم فى كيمياء السكر ، وأنشأ معامل لتحسين استخراج السكر من القصب والبنجر والإسفندان . وقد حسن « طريقة الدوران » فى استخراج السكر من القصب فأتاح ، الفرصة لقيام صناعة سكر القصب الحديثة . وقد حلل أنواع التربة وأجرى تجارب متعددة ، ثم صنع خريطة للمناطق التى تجود فيها زراعة قصب السكر فى الولايات المتحدة .

وقد عارض رجال الصحة فى بعض الولايات قانون الأطعمة النقية خشية أن يكون فيه اعتداء على الحقوق الدستورية للولايات ، فنص الدكتور وايلى فى القانون على أن مديرى الصحة فى الولايات يجب أن يكونوا جزءاً من الأداة الإدارية التى تنفذ القانون ، فكان هذا النص أساس النظام الحالى القائم على التعاون بين حكومة الاتحاد وحكومات الولايات فى الصحة العامة ، وهو مثل يحتذى فى إدارة كل نشاط عام إدارة مشتركة .

وكثيراً ما كان « الدكتور » يطالب بمرتبات كبيرة لمرؤوسيه ، ولكنه لم يطلب قط زيادة مرتبه ، على أن لجنة من لجان الكونجرس ضاعفت مرتبه حين تبينت أنه لم يزل ٢٥٠ ريالا فى الشهر ، وهو مرتبه الأصلى منذ خمس عشرة سنة ، وقد كان أقل من مرتبات كثيرين من معاونيه .

وقد اعتزل الدكتور وايلى الخدمة العامة سنة ١٩١٢ ، ولكنه ظل سبع عشرة سنة أخرى يكافح بكتابة المقالات فى المجلات وبإلقاء الخطب . وقد كان ثقة فى العناية بالحامل والجنين ، على أنه كان يقول برما : « إن زوجتى هى المرأة الوحيدة التى تظن أننى لا أعرف كيف أغذى الأطفال » .

وقد عاش بطل « الطعام النقى » فرأى جميع الإصلاحات التى ناضل فى سبيلها قد حققت ، وقد شاهد بنفسه صانعى الأطعمة والأدوية والمعلنين والباعة ، يدافعون عن القوانين التى اقترحها أولا ويطالبون بتعزيزها . وحين توفى سنة ١٩٣٠ قررت الحكومة المعترفة بالجميل ، أن تدفن الجندى القديم فى حفلة عسكرية تليق به فى مقبرة أرلنجتون .

ماهو روح الحرية

لما احتشد أكثر من مليون نفس للاحتفال بيوم : « أنا أمريكي » في مايو الماضي بسنترال بارك بمدينة نيويورك ، تولى القاضي لرد هاند ، من أعضاء محكمة الاستئناف ، قيادة ١٥٠٫٠٠٠ من الذين تجنسوا حديثاً بالجنسية الأمريكية في حلف يمين الولاء للعلم .
وتعد خطبة القاضي هاند المنشورة فيما يلي ، حجراً جديداً في صرح الخطابة الأمريكية . وهي من طراز البيان المأثور عن أبراهام لنكولن الذى يمتاز بالبساطة والقوة ، والقاضي لرد هارد من أبرز فلاسفة القانون الممتازين ، وله في منصب القضاء الاتحادى ٣٥ عاماً .

اجتمعنا هنا لنقرر عقيدة ، عقيدة في غاية مشتركة ، واقتناع مشترك ، وولاء مشترك . وقد اختار بعضنا أمريكا وطناً له ، وانحدر سائرنا من أصلاب من فعلوا ذلك من قبل . ومن أجل هذا كان لنا بعض الحق في أن نعدّ أنفسنا جماعة مختارة ، جماعة من أولئك الذين أوتوا الشجاعة لبتّ صلتهم بالماضي ، ولمواجهة الأخطار والوحشة في أرض غريبة .

فما هي الغاية التي قوّت قلوبنا أو قلوب الذين سبقونا على هذا الاختيار ؟ لقد نشدنا الحرية : التحرر من الظلم ، التحرر من العوز ، الحرية لنكون كما نحن . هذا هو الذى نبغيناه ، وهذا هو الذى نعتقد الآن أننا نوشك أن نفوز به .

وماذا نعني حين نقول إننا ننشد الحرية أول ما ننشد ؟ كثيراً ما يخيل إلى أننا نسرف في الاعتماد في آمالنا على الدساتير ، وعلى القوانين ، وعلى المحاكم . هذه آمال كاذبة . وصدقوني حين أقول إنها آمال كاذبة ، فإن الحرية إنما تكون في قلوب الرجال والنساء ، فإذا ماتت فيها فلا الدستور ، ولا القانون ، ولا المحاكم تستطيع أن تنقذها ، بل ما من دستور أو قانون أو قضاء يسعه أن يصنع شيئاً يذكر لمساعدتها . أما وهي حية في القلوب فلا حاجه بها إلى دستور أو قانون أو محكمة لإنقاذها .

وما هي هذه الحرية التي يجب أن تعمر قلوب الرجال والنساء ؟ إنها ليست الإرادة الجامحة التي لا رحمة فيها ، وليست الحرية في أن يفعل المرء ما يشاء ، فإن هذا نقض للحرية يفضي مباشرة إلى القضاء عليها . وكل جماعة لا يشعر أعضاؤها بكابح لحريتهم سرعان ما تصبح جماعة لا ينعم بالحرية فيها سوى قلة متوحشة ، كما تعلمنا لسوء حظنا .

فما هو إذن روح الحرية ؟ ليس في وسعي

أن أعرفها ، وكل ما يسعنى هو أن أفضى إليكم بعقيدتى : إن روح الحرية هو ذلك الروح الذى لا يبلغ من يقينه أن يعتقد أنه على صواب . روح الحرية هو الروح الذى يحاول أن يفهم عقول الآخرين من رجال ونساء . روح الحرية هو الروح الذى يضع مصالح الغير فى كفة ميزان ، ومصالحه هو فى كفة بغير تحيز . روح الحرية يذكر أنه حتى العصفور لا يسقط على الأرض دون أن يعبأ به أحد . روح الحرية هو روح أولئك الذين علموا الجنس الإنسانى قبل سنوات عديدة ذلك الدرس الذى لم يحذقه قط ، ولكنه لم ينسه كل النسيان : أنه قد تكون هناك دولة يظفر فيها الأدنون بالاستماع إليهم والرعاية لهم إلى جانب الأعلين .

والآن ، بهذا الروح ، روح أمريكا التى لم تكن قط ، والتى قد لا تكون قط ، بل التى لن تكون أبدا ، إلا كما يصوغها ضمير الأمريكيين وشجاعتهم ، بروح هذه البلاد الأمريكية الكامنة فى صورة ما فى مطامحنا جميعاً ، بروح هذه البلاد الأمريكية التى يقاتل فى سبيلها شبابنا فى هذه اللحظة ويموتون ، بروح الحرية وأمريكا أطلب إليكم أن تنهضوا ، وأن تعربوا معى عن إيمانكم بالمصير المجيد لبلادنا المحبوبة — مع الحرية والعدل للجميع .

ينابيع الالهام

● كتب يوهان كبلر الفلكى الألمانى فى صدر مؤلفه الفلكى :

« لقد قضى الأمر ، وكتب هذا الكتاب ليقرأ الآن أو لتقرأه الأجيال القادمة . ولا يهمنى متى يقرأ ، فقد يكون من نصيبه أن ينتظر قرناً كاملا ليظفر بقارىء ، كما انتظر العالم ستة آلاف سنة ليظفر بفلكى مثلى » .

● « وكتب هنرى وطسون فاولر فى إهداء كتابه « مقابلات لغوية » :

« إلى المعلمة التى ما فتئت تعلمنى منذ عشرين سنة كيف تبذ الزوجةُ الحقيقيةُ الزوجةَ المثالية » .

● وأهدى الروائى ب . ج . وود هاوس إحدى رواياته :

« إلى ابنتى العزيزة التى لولا عنايتها المتصلة وعونها المستمر ، لما استغرقت كتابة هذا الكتاب إلا نصف ما استغرقت » .

ولدى - أترى العاهة عاقته ؟

بقلم "أم"

ملخصة عن مجلة "ستردى إيفننج بوست"

ابنى البالغ من العمر خمس سنوات بعد يوم بهيج من المرح على الشاطىء ، وكببته فى الفراش فمنحنى قبلة ، وتسللت خارجة وأنا مفعمة من الفرح الذى أولتنيه صحته .

وفى تلك الليلة أصيب بشلل الأطفال ، وظلت أعضاء ابنى المعذبة ملفوفة شهوراً عدة فى القطن . على أنه لم يبق من ذكريات تلك الأيام سوى اليسير لحسن الحظ ، ولكنى أذكر ليلة وقد جلست أنا وزوجى بجانب سرير « لارى » وسمعنا الطبيب يقول إنه سيعيش . وكان وجهه الصغير الضامر يتحرك على نحو مضحك من عنق لا يقوى على حمله فوق بدن معروق هزيل . أيمكن أن يكون هـذا هو ابنى المشرق الديباجة الذى كان يلعب ويتوثب على الشاطىء ؟

كان هذا قبل ١٦ عاما . وما زال لارى كسيحاً ، ولكن —

منذ بضعة أسابيع قليلة فقط ، دخل لارى حجرة الجلوس ، ونشر صِداراً عليه شعار كبير للجامعة فوق مقعد ، وفى الوقت نفسه أعلن إلينا أنه نال مجانية أخرى تمكنه من الالتحاق بمدرسة الطب .

وهذه هى القصة كلها . فلم تكن هناك معجزة ، ولن تقع معجزة ، ولا تزال ساق ابنى اليمنى أقصر من اليسرى بثلاث بوصات ، والفخذ ضاوية لا تزيد استدارتها على الرسغ ، وهو يجرها بيده اليمنى القوية إذا مشى أو رقص ، وسيظل دائماً مضطراً أن يفعل ذلك .

ولكنه على الرغم مما يسمى عاهة ، يضعه سجل أعماله فى صف المتفوقين من طلبة الكلية القدماء ، وأهم من ذلك بكثير أن لارى يعد نفسه رجلا كاملا بين الرجال ، فلا يشقيه تأمل نفسه والتفكير فيها .

وبعد تلك الليلة التى لا تنسى منذ ١٦ عاما واجهت أنا وزوجى مشكلتنا ، فاعتزمنا أن نعلم لارى أن يبنى لنفسه حياة كاملة ، حياة نفيسة . وقال بعضنا لبعض إن الوسيلة إلى ذلك هى أن يُعطى العالمَ كل ما يدخل فى طاقته ، لا أن يأخذ كل ما يندفع الناس إليه ليعطوه إياه .

واخترنا أصعب الطريقين — لنفسنا وللارى ، وكان الأسهل جداً أن نعامله معاملة الطفل وأن نحميه . وكان هذا ما عنيت أن أفعل ، ولكنى آليت أن لا أفعله .

وبديهى أن كل ما كان يسعى أنا وزوجى

بعد أن أصيب بشلل الأطفال ، هو المحافظة على الحياة ذاتها . على أن لارى بعد ستة شهور من الإصابة ، بدأ يحرك رأسه قليلا ، فشرعت أتعهده بنظام، من شأنه ـ على ما قدر الأطباء ـ أن يتيح له أعظم فرصة للنمو ، وإن كانوا مع ذلك لم يعدوا بأى تحسن . فكنت بعد أن يتناول الإفطار أضعه فى ماء مالح مجلوب من البحر يستحم به ، ثم أدلكه دلكا وافياً ، وأمسد الساقين والقدمين ، ثم تلى ذلك ساعة طويلة من تحريكهما بثنيهما ولتيهما ، ثم تعقب ذلك فترة استراحة ، فالغداء ، فساعة خارج البيت على كرسى ذى عجلات .

ولم يكن لارى يستطيع أن يغادر كرسيه ، ولكنه كان يستطيع أن يقذف بكرة من المطاط لفريتز — كلب الشرطى فى حينا — ليجيئه بها . وقد دربنا فريتز على أن لا يتخلى عن الكرة حتى يتسنى للارى أن يميل قليلا من كرسيه ويأخذها من فمه . وإنه لشىء تافه ، ولكنها على كل حال بداية منه فى العمل بنفسه .

وكان زوجى طالباً رياضيا مشهوراً فى الكلية ، فحرص على أن يستخدم لارى أعضاءه السليمة فى أكثر ما يمكن من الألعاب الرياضية ، فابتاع له بندقية صغيرة ، فكانا يجلسان معا على الشرفة الخلفية جادين مستغرقين كأنهما من الخبراء فى المسابقات الأولمبية ويطلقان بندقيتهما واحداً بعد واحد ، على الزجاجات . وكانت الإصابات تسجل أسبوعا فأسبوع ، وما من لاعب جولف كان أغير على إصاباته من لارى . وكان من أثر هذا التدريب أن صار لارى أبرع الرماة بين الصبيان فى الحى فيما بعد .

وقد كلفنا لارى أيضاً بعض الواجبات فى سن مبكرة ، وجاء أول تكليف طبيعياً ، فقبل أن يصاب بشلل الأطفال كان يطيب له أن يمسك كرسىّ ، ويدفعه تحتى عند العشاء بحفاوة مضحكة . فلم يعد هذا يدخل فى وسعه ، ولكنه كان يستطيع أن يمد يده من كرسيه ويناولنى فوطة ، وكان يفعل هذا كل مساء بنفس التأدب المضحك . وهذا أمر تافه آخر ، ولكنه بداية فى إسداء العون للغير .

وكان على أنا وزوجى أن نهجم على المجهول ببرنامجنا ، وقد مرت أوقات كنت أرتجف فيها مخافة أن أكون قد انقلبت أمًّا غير رحيمة . فلما جاء الصيف بعد الإصابة ، قررنا أن نأخذ لارى إلى كوخنا على شاطىء البحر مرة أخرى ـ حيث أصيب ـ فذكرت ذلك عرضاً ، فاتسعت حدقتاه من الفزع وقال متوسلا : « ليس إلى هناك يا أمى ، فإن شيئاً لابد أن يصيبنى هناك مرة أخرى إذا ذهبنا » . فتفطر قلبى ، واندفعت إلى شفتى

التأكيدات بأنه لن يذهب إلى كوخنا على البحرة مرة أخرى ، ولكنى أطبقت شفتى بقوة ، فلو أنى تركت لارى يقهره خوفه لخنته . فلما استطعت أن أتكلم قلت :

« اسمع يا لارى . لابد أن تصحبنا هذا الصيف ، ولن يصيبك شيء فى الكوخ . وإذا لم تشعر أنك سعيد هناك ، فسأعود بك إلى البيت ، ولكن يجب أن تحاول وتجرب » .

وكان لارى ، فى الطريق إلى ساحل البحر ، من الاضطراب بحيث لم يستطع أن يطعم شيئاً ، فلما وصلنا ألبسناه ثياب الاستحمام بسرعة ، وحمله زوجى على ظهره إلى البحر . فطفا على الماء تسنده يد زوجى ، فابتسم ، وما هى إلا ساعة أو أقل حتى عاد كأسعد ما كان .

وأجريت له جراحتان لم يكن لهما داع على الإطلاق ، كانت الغاية منهما نقل عضلات ، وإطالة عرقوبه ، فأخرتا كل محاولة لإدخاله المدرسة . وإذا كانت الجراحتان غير ضروريتين فلماذا رضينا بهما لغلامنا المعذب ؟ من أجل كلمة « يحتمل » — وهى كلمة أصبحت أمقتها ، وقد قيل لنا إن الجراحتين « يحتمل » أن تعيدا إلى ساقى ولدنا الحركة المستقلة . فأحسسنا أننا لا نستطيع أن نحرم لارى هذه الفرصة .

وما أثمرت الجراحتان — إحداهما وهو فى السادسة والأخرى بعد تسعة شهور — إلا زيادة الألم ومضاعفة الأخطار العقلية .

وكانت مسألة النظام أشق ما عانيت فى تلك السنين الأولى . فلما بلغ لارى الثامنة استطعنا أن ندخله مدرسة خاصة صغيرة ونذهب به كل صباح إليها ، ولم يبد لارى من الرغبة فى الدرس والإقبال على التحصيل المنتظم أكثر مما يبديه غلام متوسط . وكان التمرد كثيراً ، وقد تمرد مرة أثناء زيارة صديقة لى :

« لست أريد أن أذاكر ولن أذاكر »

كذلك أعلن إلينا لارى ، وعجزت عن إقناعه فحملته ، وكببته على ركبتى وضربت أليتيه ضربا قويا . فلاحظت أن صديقتى امتقع لونها ، وما لبثت أن انصرفت .

وقد قالت لى حديثاً : « ما كنت أعتقد قط انى سأظن بك خيراً مرة أخرى بعد أن رأيتك تضربين ذلك الولد المسكين . ولكنى الآن أرى لارى فأفهم » .

ولما بلغ لارى التاسعة ألحقناه بمدرسة أولية . وكان يتخذ حمالات لساقيه جميعاً فى ذلك الوقت ، ويمشى على عكازين ، ثم فيما بعد على عصوين ، وكان يمشى بهما مشياً حسناً ، ولكنه بطبيعة الحال لم يكن يستطيع أن يساير زملاءه .

وقال لى يوما وقد عاد منهوك القوى : « آه يا أماه ، لو استطعت أن أجرى ! » وكان كل ما وسعنا من المعونة أن نتيح له كل نشاط ممكن وحركة ميسورة ، بدلا من الجرى المستحيل . فعلمه زوجى السباحة فأجادها جداً إذا اعتبرنا سنه ، وجعلنا من ساحتنا ملعباً للجيران ، وبيتنا مسرحا .

ولم يكن ثم شىء غير طبيعى أو مصطنع فى مساهمة لارى فى لعبتى البيس بول ، وكرة القدم فى ساحة بيتنا الخلفية . وقد أراد الأولاد فى البداية أن ينيبوا عنه بعضهم فى الجرى فلم يوافق ، فتولى هو ضرب الكرة والجرى بنفسه — فكان ينط حول الساحة بكل ما يسعه من جهد بساقه اليسرى السليمة . وكثيراً ما كنت أراقبه من النافذة ، وكان يقع مرة بعد مرة وينكب بشدة ، وتلتوى حمالاته تحته ، وكنت أعدو لأعينه ، وقد نهضت نفسى مخافة أن يكون قد أصيب بأذى شديد ، ولكنى كنت أكبح نفسى كل مرة على العتبة ، بينما كان لارى ينهضه إخوانه إلى قدميه وهو يضحك .

وكانت هناك أيضاً ، بطبيعة الحال ، مفاجآت سارة . فلما بلغ لارى الحادية عشرة بعثنا به إلى مخيم ، فظل بعد ذلك ست سنوات يذهب كل صيف ، وفاز بما يغطى مائدة من الكؤوس فى مسابقات السباحة ، وأخيراً صار مستشاراً للمخيم .

وصارت الأعوام تمضى كأنها تطير بعد أن جاوز لارى الحادية عشرة ، ففاز بدرجات الشرف فى المدرسة الثانوية ، وصار رئيس فرقته ومحرر صحيفة المدرسة . وقد تلقى نصيبه من الوقعات فى ميدان الرياضة أيضاً ، ولم يستطع فقط أن يدخل فى فرقة كرة القدم ، بل وسعه أيضاً — بعد أن استغنى عن العكازات والعصى — أن يكون قاذف الكرة لفرقة الكلية الثانية فى لعبة البيس بول .

وحوالى هذا الوقت أدركت أن لارى ينقصه شىء فى الحياة الاجتماعية ، فاقترحت أن يذهب مع أصدقائه إلى الرقص .

فقال : « هذا يا أمى أكثر مما يجب . فلن يحتاج إلىّ أحد . فما أستطيع إلا أن أقعد كأنى نتوء على كتلة من الخشب » .

فأحسست أنى إذا قبلت هذا الرفض حرمت لارى جانباً من الحياة ، فما كان له إخوة أو أخوات فيه حاجة إلى الحياة الاجتماعية .

وكانت لنا فتاة من جيرتنا مفرطة الحياء ، وكان ينعقد لسانها فى محضر الشبان . وكنت أنا ولارى قد تحدثنا فى هذا من قبل ، ففى ذات مساء قلت له ، كأنما خطر لى ذلك عفواً : « لقد كنت أفكر فى أنه ينبغى لنا أن

نحاول مساعدة « سو »، فلماذا لا نقيم حفلة وندعوها ؟ إنها خليق أن تأنس بنا هنا ، ولعلها إذا أوليتها عناية كبيرة ، تعتاد ذلك تنسى ما بها » .

فقال لارى : « أتعنين أنها ستضجر ضجراً يدفعها إلى مجتمعات أخرى ؟ » .

ولكن الفكرة علقت ، وأقمنا الحفلة ، وقام لارى بدور المضيف وأولاها التفاتاً فوق المعتاد ، فصرفه هذا عن البيانو الذى كان يقعد إليه عادة فى مثل هذه الحفلات فى البيت .

وقد أنسيت أن أذكر أنى اخترت له البيانو وهو صغير ليكون وسيلته إلى الحياة الاجتماعية ، وكان المدرس الوحيد الميسور موسيقيا كهلا كان مغرًى بالموسيقى القديمة (الكلاسيكية) وتحصيلها بانتظام . فكان لارى يحرن ويضجر بمرارة من التدريب ، وأخيراً أقنعت المعلم أن يعالج ما هو أشرح للصدر وأكثر مرحا، وأن يتخذ من الأغانى الشائعة مادة للتعليم . فأدى هذا إلى رضى لارى عن البيانو .

ولما نشطت الحفلة وحميت ، بلغ من اشتغال لارى بالمسألة – وهى زهرة صغيرة جميلة حقا – أن ذهل عن كل ما عداها . وكانت سو قد تلقت عدة دعوات إلى الرقص من الآخرين ، فعلمها لارى بذلك الأسلوب الدارج الذلق السريع الشائع فى ذلك الوقت ، وإذا بهما فى المرقص . وكان يضحكان ويرقصان ، وأدت رقصة إلى أخرى ، وما زال لارى يرقص منذ ذلك الوقت – لا رقص خبير ، بل بحماسة .

وفى السنة الأخيرة من مرحلة التعليم العالى اضطر لارى أن يواجه أزمة أخرى ، فقد رأى جراح أن إجراء جراحة جديدة قد يعفيه من الحاجة إلى حمالة لساقه اليسرى ، ولكن لارى أبى ذلك ، وكان باعثه على الرفض أقوى مؤثر فى العالم — الخوف من الألم .

وأنا لم أصف الآلام التى لا نهاية لها والتى فرضت على ابنى ، ولكنه لا معدى لى عن ذكر حادثة تجلو حالته الفكرية فى ذلك الوقت . فقد قيل لى إن غلاماً فى الأحياء الفقيرة الزرية يعانى حالة متفاقمة من شلل الأطفال ، وقد ينفعه أن ينقل إليه شىء من دم لارى .

فقلت على الفور : « كلا » فما كنت أطيق أن أكلف لارى ألماً آخر .

فقال لى الجراح : « فكرى فى الأمر » وألقى إلىّ نظرة غريبة .

فلم أطق أن أفكر فى الأمر وأخبرت لارى به .

فقال : « لا أستطيع يا أمى الا أستطيع »

فلم أقل شيئاً بعد ذلك ، وجاءنى لارى بعد يومين أو ثلاثة وقال: « لقد كنت أفكر فى أمر هــذا الغلام يا أمي . وكيف يسعنى أن أقول « لا » ؟ سأعطيه من دمى متى أرادوا . أتظنين أن هذا يؤلم يا أمى ؟ » .

وكانت ألفاظ ابنى واشـية بالجزع من الألم . ولست أستطيع أن أصف ثورة الحنق التى اضطرمت فى نفسى فى تلك اللحظة ــ الحنق على الذين اقترحوا تعذيب ابنى لأن هذا « ربما » نفع واحداً لم يره قط من قبل .

وآلمه نقل الدم ، وزاد ذلك فى جزعه من الألم ، وساعد على إيجـاد تلك الحالة الفـكرية التى حملته على رفض الجراحة التى أشار بها الطبيب ، وكان الطبيب معنيا بإجرائها ولـكنه قال: «إن من حق لارى علينا الآن أن ندع له الخيار فى التصرف » وأهملنا الموضوع .

وبعد عام جاءنى لارى وقال: « إنى أريد إجراء هذه الجراحة فى ساقى اليسرى يا أمى، وأنا واثق أنى لن أكون مرتاحا راضيا إذا لم أجرها » .

ونجحت الجراحة نجاحا طيبا ، ورقد لارى ، وساقه فى جبائر الجبس عشرة أسابيع ، غصت فى خلالها غرفته بالأصدقاء وزملاء المدرسة .

وكان من أسعد أيام حياتى ذلك اليوم الذى نزعت فيه الجبائر عن ساقه فخطا خطوة عليها ، وبعث بقبلة مع النسيم إلى الحمالة المعفّرة وضحك . وكان وجه الجراح مشرقا .

وكان من حسن الحظ أن سجلّ لارى الدراسى أكسبه مجانية فى الجامعة ، ولولا ذلك لـكان التعليم الجامعى مستحيلا ، فقد كانت أحاظى أسرتنا كلها سوء حظوظ ، ولم يكن فى وسعنا أن ننفق على تعليمه فى الجامعة التى دخلها على شاطىء المحيط الهادى. وأود أن أقيد هنا أننا لو لم نكن فى رخاء من العيش فى طفولة لارى ، لـكان من المشكوك فيه أن نمضى فى إنفاذ برنامجنا ، فقد كلفنا العام الأول من مرض لارى ٣٠٠٠ ريال ، وظلت النفقة الشهرية زمنا طويلا ، للطبيب والتدليك ١٥٠ ريالا .

وفى السنة الأولى من حياة لارى فى الجامعة أحس للمرة الأخيرة أن هناك حاجزاً يعزله عن حيـاة الشبان غيره . وكانت الشهور الأولى أليمة ، فإن كل طالب جديد يصدمه أن يجد أنه ليس بذلك الفتى الذى كان موضع الترحيب والحفاوة، إذ هو طالب قديم بالمدرسة العالية . وكأن النظام الاجتماعى فى الجامعة مجعول لإشعاره الاتضاع ، فـكان من جراء ذلك أن تجسمت آفة لارى لما

صارت معروضة فى بيئة غريبة . وقد كتب إلىّ يقول إنه لا يرى زملاءه إلا قليلا . وصحيح أنه كان يعمل ليفوز بمكان فى نشرة الجامعة ، ولكنه كان مذوداً عن سماحة الزمالة فى ميادين الألعاب وبيت اللاعبين ، فافتقد الألعاب الرياضية .

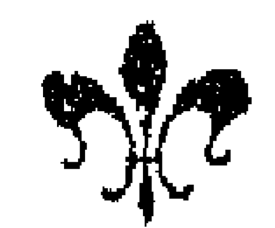
فشاورت صديقى الجراح ، فرأى أن لارى يستطيع ، وإن كان فى ذلك شىء من المخاطرة ، أن يزاول الألعاب الرياضية التى تتطلب قوة الكتفين أكثر مما تتطلب خفة الرجلين . فدخل لارى فى فرقة الرياضة البدنية، وفطن المدرب إلى قوة نمو كتفيه ، فاختبره فى مسابقتين كبيرتين . وكان لارى يتدرب بهمة وإخلاص كأى ظهير جديد ، فأصيبت ساقه اليسرى بأذى شديد بلغ من أمره أن احتاج إلى ابتداع نوع جديد من الحمالات ليستعمله فى إحدى المسابقتين . ولكنه ثابر ، ولم يقتصر نجاحه على الفوز بعضوية الفرقة، بل ظفر أيضا ببطولة المباراة بين الكليات فى المرتين . وفضلا عن ذلك أصبح من زمرة بيت اللاعبين ، وهكذا تخطى الحاجز .

وفى ليلة من ليالى الصيف الماضى ، وقد عاد ابنى إلينا فى العطلة ، لم يسعنى إلا أن أسأله : « أتظن يا لارى أنك ذو عاهة تقعد بك ؟ » .

فقال: « كلا يا أمى ! فقد استفدت مزية مذ مرضت ، ولا تزال لى . ذلك أنى لا أحب أن يسدى إلىّ المعونة أحد . وهذه مزية » .

وأنا أعتقد مثل لارى أن العاهة الحقيقية قد تهيئ للمرء ما يعوضها ، ولكنى أعلم كذلك أنه ما كل أم تستطيع أن تولى طفلها العناية التى أوليتها لارى . ولو كان لى بنون آخرون لاضطررت أن أهملهم أو أهمل لارى .

على أنى واثقة على الجملة أن ما فعله لارى ميسور ، إلى حد ما ، لعدد كبير من ذوى العاهات من الصبيان والبنات . ولارى واثق من هذا مثلى ، فقد اعتزم أن يكون جراحا للعظام ، وهو يشعر أن فى وسعه أن يمنح الغير ما منح نفسه ، وبذلك يجد السعادة .



أن تفكر فى إتقان عملك ، هو خير وسيلة تذهب عن نفسك ملالة ما تعمل .

معرض اعترافات مؤمنين

ملخصة عن مجلة « ترو كونفشنز »

أديلا روجرز سجنز

مؤلفة وكاتبة سناريو للسينما

رجعت بيتى ذات ليلة وحدى ، وكان الوقت متأخراً ، والظلام دامساً ، فأدرت مفتاح الكهرباء فغمر النور المكان ، وإذا بى أقول عفو الخاطر : « الحمد لله على هذا » وبديهى أن المكان كان يظل فى ظلام لو لم أدر مفتاح النور .

وعندى ما يدعو إلى الاعتقاد أن « النور » موجود أبداً ، وأنه مهيأ وقوى ، فإذا كان بى كسل أو كبر ، أو كنت مشغولة أو مضطربة حيرى فلم أضئه ، فإنى أقعد فى الظلمة وألوم كل إنسان إلا نفسى على سوء حالتى . ومتى توجهت أخيراً بالصلاة فى خشوع ، وأدرت المفتاح فإن النور يجيء دائماً .

* * *

كاثلين نوريس

الروائيـة

كانت بنية فى السادسة من عمرها ، وكانت فى صلاتها تطلب شططاً — ولعل ما كانت تطلب ٥٠ لعبة — فلم تفز إلا بواحدة . وكان أبوها الذى يعرف صلواتها هذه يعابثها فى ذلك ويقول لها : « من الجلى أن الله لم يسمعك يا سارة ، فلم يجبك — أليس كذلك ؟ »

فقالت سارة تجيبه وهى تلعب راضية ، باللعبة الوحيدة التى جاءتها : « لقد سمعنى وأجابنى ، وكان جوابه : لا » .

ونحن الآدميين قد خلطنا الأمور خلطاً شديداً فى قرون من الغباء والإثم ، حتى إن الجواب الذى لا مهرب منه ، كثيراً ما يكون « لا » . على أن المدهش أن الجواب كثيراً ما يكون « نعم » ، وأن النور ، على الرغم من عمانا ، ينفذ إلينا ، والسرور والسلام الذى ليس من هذه الدنيا ، يغمران قلوبنا .

* * *

لويس برومفيلد

الروائى

فى السابعة عشر من عمرى عملت كملحق بالجيش الفرنسى ، فبدأت — فى أحوال قاسية ، والموت راصد على زاوية الطريق — أفهم وأقدر زملائى ، وأدركت أنهم يكونون أحياناً ذوى حسد ، وأحياناً من أهل

السوء ، بل يبلغ بهم الأمر فى بعض الأوقات حد الإجرام ، ولـكنى على العموم انتهيت إلى الإيمان بما فيهم من خير أصيل ، فأحببتهم ووثقت بهم . وقد وجدت فى رحلاتى فى بلاد غربية أن من السهل جداً أن يكون لك أصدقاء كثيرون كالذين لك فى بلدك ، ومن طرازهم أيضاً . وكان بعضهم سود الجلود ، والبعض صفرها ، وبعضهم يتكلم لغة غير لغتى ، أو يتبع ديناً شديد الاختلاف عن الدين الذى نشأت عليه ، ولـكن ما من شىء من هذا كان له تأثير ، فصرت أحكم على الرجل بأعماله لا بدينه أو جنسه .

وتعلمت حقيقــة عظيمة سأظل دائماً معتزاً بها — هى أن الناس أشباه فى العالم كله ، متى اعتبرت الأمور الأساسية ، وأن اختلاف العنصر أو الدين أو اللون ليس بشىء يستحق الذكر .

* * *

الأومباشى أمرو روسلانسكى

من الفيلق الجوى التابع لجيش الولايات المتحدة

أقبل الطيارون الألمـان على موجات وأمطروا السـاحة وابلاً من القنابل والرصاص وكنت وأنا راقد هناك — متوتر الأعصاب خائفاً — أدعو الله .

ولم يكن دعائى مما يصلح أن يقال فى كنيسة ، ولـكنى ما شعرت قط من قبل بمثل هذا القرب من خالق ، ولا أحسست قط من قبل بمثل هذه الثقة بأنه يسمعنى . ويقولون إن الموت يجعل الإنسان أدنى إلى الله . وهذا صحيح .

وكان فى أذنى رعد مجلجل ، وكان الطيار الألمانى قد دنا من الأرض وأسف حتى لقد كنت أستطيع أن أرى وجهه ، وما لبث أن ذهب ، فحاولت أن أنهض ، ولـكنى عجزت . ورأيت الدم يلوث ثيابى .

وقد أخرجوا فيما بعد من ساقى ١٤ شظية ، وأدخلت ستة مستشفيات ، ولـكن هذا لم يزعجنى ، فقد كنت مشغولا بالتفكير فى آراء جديدة . وقوى إيمانى فشرعت أفكر فى أمر غيرى . لم يكن فى ذلك الميدان رجل واحـد لم يتوجه بالدعاء كما توجهت ، وكان بعض هؤلاء الفتيـة من البروتستانت ، والبعض من اليهود ، ومنهم من لم يذهب إلى كنيسة ما ، ولـكنهم جميعاً دعوا الله فى ذلك اليوم . وكانوا جميعاً ينطوون على عقيدة لها قيمتها عندهم .

وقد رأيت هذا الإيمان وأثره فى المستشفى وأثناء هجوم الأعداء الذى لا رحمة فيه . وهو إيمان مشترك بالله العظيم ، وشعور نفسى بقرب المرء من خالقه أكسب هؤلاء الفتية ، فى كل ملة ، نفس القوة الباطنية . وقد علمتنى الحرب التسامح إذا كانت لم

تعلمنى سواه، والمرء يتعلم التسامح حين يسمع همس الموت فى أذن ، وبلاغَ ربه فى أذن .

***

فيت بولدوين
الروائيـة

عشت نصف قرن ، وتعلمت — ببطء دائماً وبألم أحياناً — أننا نؤدى ثمن كل كلمة قاسية ، وكل عمل غير نزيه . وتعلمت أنه مهما يكن الإيمان وطيداً فإن هناك دائماً لحظات من الشك . ولـكن الأمور تتعادل على نحو ما ، الخير منها والشر .

وقد كنت دائماً وما زلت أومن بالصلاة : وهى الدعاء والنشدان تفيض بهما النفس . وحدثتنى فتاة قتل خطيبها الطيار ، قالت : « ذهبت كل يوم إلى الـكنيسة وصليت ، وصليت كل ليلة ، وكل ساعة من ساعات اليقظة تقريباً ، ولـكنه قتل . فلن أصلى مرة أخرى أو أدخل الـكنيسة » .

ومن الصعب أن يكون المرء بعيد أفق النظر . وأكبر ظنى أن كل جندى فى أية جبهة قتال ، وكل بحار فى أى موضع حربى تتبعه صلوات الذين يحبـونه ، ومع ذلك ما أكثر من لا يعودون .

فإذا كانت هـــذه الحرب لخير العـالم والأجيال القادمة آخر الأمر ، فلن تضيع صلاة سدى ، وقد لا يجاب الدعاء كما كنا نرجو ، وهى لم تحوّل الرصاصة ، ولم تنجد الطائرة ، ولم تحم السفينة أن تغرق ، ولـكن حين يموت الرجـل الحر ليتحرر كثيرون مستعبدون ، وليمتنع فى المستقبل أن يصفد رجل فى الأغلال ، فإن دعاء الداعين : « امنحه الحيـاة يا رب ! » يكون قد استجيب لهم .

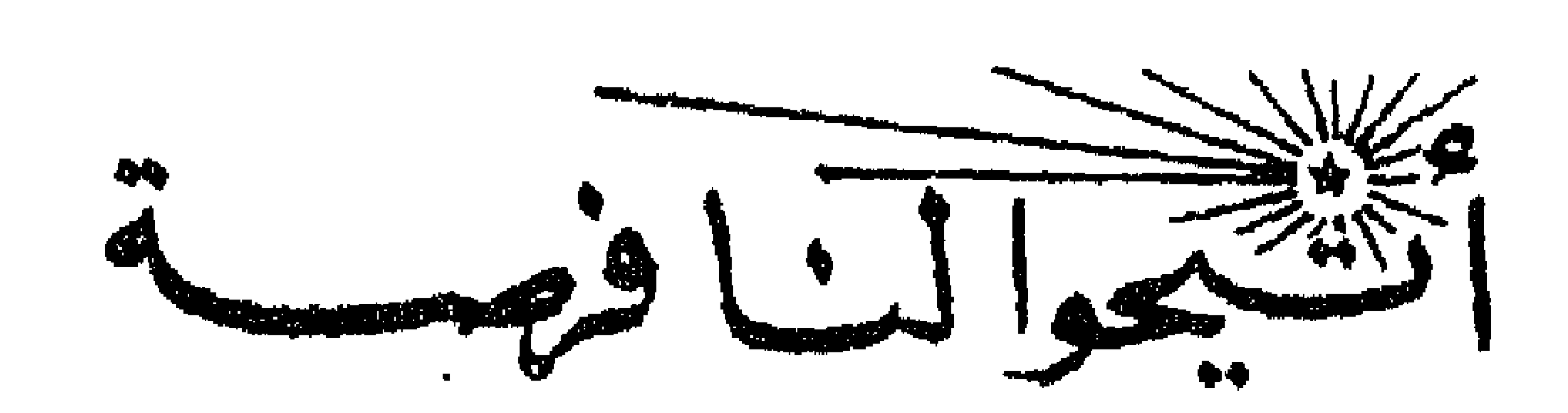
لأنه يحيى أبدا .

كيف تنفق عمرك ؟

تعلم «ول رودجرز» فى حداثته أن الطريق الوحيد إلى السعادة والقناعة هو أن تقبل كل يوم على عملك واثقاً مستبشراً ، وأن تلقى أعباءك فى المساء دون أن يلازمك همّ ما . وفى أحد الأيام جاءه صديق كئيب مهموم وسأله : ول ، لو لم يبق لك فى الحياة إلا ٤٨ ساعة فكيف تنفقها ؟

فقال الفلاح الفيلسوف الشعبى وهو يضحك : كلّ ساعة على حدة .

[كريستيان سينس مونيتور]



أتيحوا لنا فرصة

[كافح حتى أعياه الكفاح ، وفى الجيش يطلقون على ذلك اسم اللوثة وهي الاضطراب العصبي النفساني] .

كنت امرءا به لُوثة . هكذا وصفنى جيش الولايات المتحدة عندما أعفيت من الخدمة لعدم اللياقة الطبية منذ عام . ومنذ ذلك اليوم وأنا أناضل محنة الانتقال العسير من حياة الجيش إلى حياة المجتمع . وطالما واجهت فى ذلك صعاباً ، ورأيت الفضول والشك يتجليان فى وجوه زملائى الموظفين وأصدقائى ، بل أقاربى أنفسهم ، وكل ذلك بفضل هذا الميسم الذى وسمونى به .

إن هذا النوع من القلق العصبي يحدث لجنود فى كل نواحى الخدمة العاملة ، وإذا كنت أتحدث عنه ، فإنما أتحدث من أجلهم ، كما أتحدث من أجل نفسى ، ومن أجل ولدى الذى يوشك أن يولد ، فما أحب لنسلى هذا أن ينظر الناس إليه كأنه نسل رجل معتوه . نحن ضحايا اللوثة لسنا بالمجانين ، وإن لنا من القدرة على مراس الحياة الاجتماعية ما لأى كائن سوانا من البشر ، فأتيحوا لنا فرصة .

أنا الآن فى الثامنة والعشرين وقد جندت فى الجيش الأمريكى سنة ١٩٤١ ونقلت بحراً إلى إنجلترا سنة ١٩٤٢ ، وظللت أحارب الألمان ملاحاً فى إحدى القلاع الطائرة ، حتى قتل معظم زملائى فيها ، وحتى فقدت القدرة على النوم ، وغارت عيناى وتحدّد ما حولهما وأضنانى النحول .

ثم استدعانى جراح السرب ذات صباح صاخب ، وكنت أحاول التخلص من ذكرى ما رأيت بالأمس فلا أستطيع . يومئذ كنا عائدين من فرنسا ، فأصابت طائرة من طائرات مسر شمت إحدى قلاعنا ، فقد رأيت بوضوح كل ماحدث من وراء زجاج مقدم الطائرة : رأيت القلعة الشامخة وهى تترنح هابطة والدخان يتصاعد منها وينتشر ، ولكن لم أر أحداً يهبط منها بمظلته .

كان أعز أصدقائى على نفسى فى هذه الطائرة ، فأرقت طول الليل لا أستطيع النام .

قال لى طبيب السرب دون مقدمات : « ما رأيك فى الراحة إلى حين ؟ » وحلا لى ذلك ، وخيل إلى أنها ليست إلا بضعة أسابيع أقضيها على الأرض ، ثم يأتى خلال الشهر من يوقظنى من نومى بعنف فيردنى إلى الخدمة العاملة فى السماء .

وظللت في أحد مستشفيات النقاهة منوماً بالعقاقير نوماً موصولا عدة أيام ، ثم بدأت أشعر بالأطباء يتحدثون على رأسي ، واتضح لي من حديثهم شيئاً فشيئاً أني لن أعود إلى الخدمة ، وأن اسمي قد شطب منها ، وأني ضحية من ضحايا اللّوثة .

وطفق طبيب من أطباء الجيش يرفه عني عذاب هـذا المصير ، وكان رجلا أصلع ودوداً ، فاقتعد مقعداً إلى جوار سريري ، ومدّ ساقيه ، ثم قال : « لا تدع هذا الهمّ يقتلك أيها الملازم ، وانظر إلى الأمر من هذه الناحية : لقد واجهتَ أخطاراً ما كان يمكن أن تواجه مثلها في حياتك المدنية قط ، ولـكل منا في الجلد غاية ثم يتخاذل ، وليس التفاوت بيننا في ذلك إلا تفاوت درجات ، وأنت حين وقفت لهذه الأخطار الشاذة انتابتك اللوثة فجعلتك غير لائق للخـدمة العسكرية ، فما هو إلا أن تعود إلى الوطن حتى تسترد قواك » .

وأعانتني كلماته على اجتياز الأشهر الطويلة الموحشة التي قضيتها في المستشفيات . ولـكن حين رست بي السفينة في نيويورك اعتادني بقية إحساس بالألم من فكرة لقاء زوجي وأصدقائي ، إذ أنىّ لهم أن يدركوا سر هذه العودة الغريبة إلى الوطن ؟

وارتديت في مستشفى الاستقبال منامة (بيجامة) المستشفى من فوقها قباء (روب) وقدر علي أن ألقى زوجي بهذا الرداء ، أما كسوتي العسكرية التي بليت ولمعت من طول الاستعمال ، والتي تزدان بشارة الطيران وأوسمة الخدمة ، فقد حيل بيني وبينها .

وعندئذ خاطبت « بتي » في التلفون ، والحق أننا كلينا حرنا كيف نبدأ الحديث على كثرة ماينبغي أن يقال ، وأدركت أنها كانت تبكي .

أخبرتها أن علي أن أبقى في المستشفى إلى حين ، وأن عليها أن لا تروعها كثرة الممرضين والحراس ، وأنها قد لا تجدني نفس الرجل القوي الذي كان يضمها إلى صدره منذ عام .

وقدمت لساعتها ، فلم ينبس كلانا بحرف سوى همس كل منا باسم صاحبه ، ولم نعد أن وقفنا متعانقين برهة ، ثم أغرقنا في الحديث ساعات ، ولم يكن بد من أن أنبئها أن أكثر أصدقائها في سربي قد قتلوا ، ولـكننا كذلك لم ننس حظنا من الضحك على كسائي الغريب ، وشحوبي شحوب السجناء ، وتلك الطريقة الغريبة التي عدت بها إلى الوطن .

كانت بتي تعودني كل يوم ، وأحسب أن يقيني من قدومها لتراني بعد ظهر كل يوم ، كان أهم ما أعاد إلى قواي وثقتي بنفسي ، وسرعان ما أطلقت لي حرية التجوال

فى ساحات المستشفى ، فأخـذنا نتهادى فى طرقها ، ونتفيأ ظـلال الشجر ، ونتحدث وأكثر حديثنا عن المستقبل .

ثم نبثت أن قدسمح لى أن أغادر المستشفى فى الرابعة بعد ظهر كل يوم حتى الثامنة من صباح اليوم التالى ، وكان هـذا نبأ ساراً ، ولـكن شق على أن أعيد الصلات بينى وبين الناس ، فعرفت لساعتى أىّ شقاء كتب على قلوبنا ، نحن الجرحى ، أن نلقاه . وكان على أن أعود فأتعلم ، نعم أتعلم ، كل أدب من آداب الحياة اليومية مهما صغر وهان .

لقد كانت أول رحلة لى فى السيارة العامة أشق على من أول طيران لى فى سماء ألمانيا ، وكان أول انتقال لى بقطار النفق كابوسا ، وإنى لأذكر كل التفاصيل ، فقـد أخذت أهبط درج السلم مطمئناً ، ثم ألفيت نفسى فجأة وسـط الزحام ، فأحسست كأنى فى شرك ــ إنه نفس الإحساس الذى كان ينتابنى فى ليالى الطويلة قبيل معاركى الأخيرة ــ ثم جلجل قطار سريع بجوارى ولعجلاته صرير ، ولنوافذه تدافع قاصف ، فارتسمت فى فكرى ثانية صورة من نُطُق الرصاص لا نهاية لها ، تلك النطق التى سممت أحلامى فى أيامى الماضية .

لـكن بقى أعانتنى . وليت شعرى أيدرك النـاس إلى أى حد يعنينا ، نحن طلقاء المستشفيات ، أن يرافقنا أحد خلال تجوالنا فى الطريق المزدحم ، أو ركوبنا السيارة ، أو ترددنا على المطاعم ؟ إن أولئك الذين يشكون من مثل علتى هم صرعى التردد لا يستقر رأيهم على قرار ، وإن قائمة الطعام التى تحتوى على عشرة ألوان مختلفة لتكفى وحدها كى تبلبل خواطرى .

فإذا ماترددت اقترحت بقى على شيئا ما ، أو غيرت الموضوع حتى أملك سلطانى على نفسى ، وكانت ترمى فى كل عمل تعمله إلى أن تعيد إلى ثقتى بنفسى ، وإشعارى الراحة والهدوء .

وليس كل جندى يواتيه الحظ حتى يوفق إلى رفيق يفهم كيف يمده بالعون .

وإليك طرفا مما حدث لمالك . إنه ملازم شاب آده الإجهاد فى إنجلترا ، فبهمه الأمر كثيراً ، وطالما كان يتساءل : « ترى كيف يلقانى أبواى ؟ »

فقلت له : « أصغ إلى ياصاحبى . لقـد قمت هنا بعمل ناصب لم يتهيأ لأحد فى أرض الوطن حتى أن يتصوره ، وسيدرك أهلك ما كان منك » .

وكنت مع مالك فى المستشفى يوم قدم أبوه ليراه . نظر الوالد إلى ولده مشمئزاً وقال : « إنى لأستحيى لك ، فما ظننت قط أن ترضى لنفسك مثل هذا الهوان » وخلال الأسبوع التالى كان مالك قد فقد كل سلطان له على نفسه .

وفى مرة أخرى قدمت أم أحد أصدقائى لتعوده ، ولم تكد تستقر حتى أيقن كل منا ما ترمى إليه ، فقد جعلت همها أن تتجاهل وجود ابنها فى غرفة الأمراض العقلية ، وغاظه منها ذلك ، فقد كان يحتقر الرياء ، ويريد أن يواجه متاعبه رجلا صادقاً ، وأن يلتمس القوة من قهرها . وذلك ما نبغيه جميعاً .

ظللت ثلاثة أشهر أعالج علاجاً نفسانياً ، وعندما أطلق سراحى من المستشفى لم تعد تروعنى المشاكل التافهة فى الحياة ، فقد عرفنا أن علينا أن نكافح هذه المخاوف إن أردنا أن نعود إلى مكاننا فى المجتمع ، فثابرت على ذلك ، وأخذت الآن أعتاد ذلك الشعور الجديد ، وأملك القدرة على معاناته وحيداً.

ثم أخذت أواجه مشكلة الحصول على عمل . وكنت سمعت فى المستشفى قصصاً تتصدع لها القلوب عن أناس قيل لهم : « لا يمكن أن تؤتمنوا على العمل بمخرطة غالية » أو « أخشى أن يكون هذا العمل فوق طاقتك ، فما مثلك من يقوى على حمل مثل هذه التبعات » .

ولكن الأمر لم يكن من السوء بحيث قدرت ، فعندما كان الناس يسألوننى لماذا فصلت من خدمة الجيش لم أكن أقول لهم قط : « لأنى مصاب باللوثة » فإن وقع هذه الكلمة لأشد من وقع النذير ، بل كنت أقول لهم : « نالنى إعياء من الطيران » وكان هذا حقا .

ومع ذلك فقد أوصدت فى وجهى أبواب عديدة ، ولن أنسى مدير أحد الخطوط الجوية وقد أدرك ما أعنيه بإعياء الطيران فقال لى : « كان لى ابن عم فصل من الخدمة بنفس العلة — علة اللوثة كما يسميها الأطباء ، أليس كذلك ؟ » وقبل أن أبرح المكان كاشفته بكل شىء ، فعرض على وظيفة ، ولكنى شعرت أنها لا تلائمنى .

وفى النهاية وجدت عملا أقوم فيه ببعض الأبحاث لرجل من رجال الاقتصاد ، واستقرت بى الحياة على وجهها المعتاد ، وأخذت الغرف التى استأجرناها تتخذ مظهر البيت ، ولكن طلاء الجدران كانت تفيح رائحته بالليل والنهار ، حتى أصيب زوجى بالغثيان ، واضطرت أن تستعين بالطبيب ، فلما عادت كان وجهها كله يشرق بالبسمات . ثم قالت : « لا تتجن على الطلاء ياجيم . لقد أوشك أن يكون لنا ولد » .

وبعد بضعة أسابيع وكل إلى عمل فى كاليفورنيا بوساطة قريب لى ، وبأجر أكبر من أجرى السابق . وإنى لأشعر اليوم شعوراً حقا أنى قد مكنت لنفسى فى الحياة . إن لنا منزلا يشمل نحو فدان ، وأقفاصاً

لتربية الدجاج ، وزريبة للخنازير ، ومخزناً للآلات ، وإنى لأفلح حديقتى ساعة أو ساعتين فى اليوم ، ولن يمضى غير قليل حتى يشرق ضياء ولدى على هذا الفردوس .

وإذا ما تذكرت الأشهر التى قضيتها فى المستشفى ، والنضال الذى ناضلته لأقهر مخاوفى رأعود إلى الحياة المدنية ، أدور ببصرى فى منزلى ثم أوقن أنى الرابح فى هذا النضال .

إن هـذا النضال الشاق سيجتازه مئات من ألوف الجنود العاملين ، وهم مثلى : قصارى ما يطلبون أن تتاح لهم فرصة . فإذا أنتم لم تطلقوا عليهم اسم «البندق الفارغ» ، وإذا ما هيأتم لهم سبيل العمل ، ووهبتم لهم مودتكم ، استطاعوا أن يشقوا طريقهم إلى العافية كما فعلت . وأن يجدوا أنفسهم فى النهاية سعداء فى بيوتهم ، يشغلهم العمل ، ويرفرف عليهم الأمن والسلامة ، وتحف بهم أهلهم ، ويصبحوا أحراراً فى الوطن الذى جاهدوا فى سبيل حريته

عصر الصراحة

عاد قائد إلى داره فى إجازة على حين فجأة ، فأعدت حفلة على عجل احتفاء باستقباله ، وضاق الوقت عن الظفر بخادم مساعد فى خدمة المدعوين ، فعرضت ابنته ، وكانت فى العاشرة ، أن تساعد فى تقـديم أقداح الـكوكتيل ، فقبل عرضها مقروناً بالشـكر . وكانت لم تزل قائمة على خدمة المدعوين والمدعوات على خـير ما تتمناه ربة بيت ، حين سمعتها والدتها تقول لزوجة أميرال فى رقة متناهية : « ألا تسمحين لى بأن أقدم لك كوكتيلك الثامن ؟ » .

[بنيت سيرف مجلة « ستردى رفيو الأدبية »]

ظللت سنين مدّرساً فى مدارس منطقة جبـل بلوردج فى ولاية فرجينيا ، وكنت أحاول دائماً أن أطبع فى نفوس تلاميذى فضيلة الأمانة . فأطلب منهم أن يكتبوا فى كل ورقة امتحان عهداً بأنهم لم يبذلوا فى الامتحان عوناً لأحد ولا تلقوا عوناً من أحـد . وقد أعطتنى فتـاة ورقتها وقد كتبت عليها العهد التالى : « لم أتلق عوناً من أحد ، ويعلم الله أنى لم أستطع أن أبذل عونى لأحد » .

[س . ى . ك . ورك]

الطبيب وزوجته والشائعة

أقصوصة لآنا كاترين جرين

يرويها أنتونى أبوت

قال الشهود إن أول ما سمعوه هو صرخة امرأة ، ثم أطل رجل برأسه من نافذة فى الطابق الثانى وصاح : « جريمة قتل » .

ولقد كانت حقاً جريمة بشعة شاذة حتى إن إنيزرجرايس ، ضابط مباحث نيويورك البارع فى كشف الجرائم الغامضة ، ظل وقتاً طويلا حائراً فى أمرها لبساطتها وخلوّها من التعقيد .

مكث مستر جرايس إلى مطلع الفجر فى المنزل الكائن بميدان لافييت ، يحادث مسز هازبروك وكان زوجها لم يزل ملقى على الأرض،وفى وسط جبهته ثقب رصاصة .

كانت الحقائق الأولى قليلة : فى الساعة ١١ كانت مسز هازبروك وزوجها فى الفراش ، وأكبر ظنها أنها استغرقت فى النوم من فورها، أو هكذا يبدو لها — وأكبر ظنها أنها صحت من نومها من فورها أيضاً ،فهل كانت هذه الأصوات الساخطة أضغاث أحلام ؟ وهل كان صوت الرصاصة كابوسا وحسب؟ غير أنها تحسست الفراش بيدها فأدركت أن زوجها لم يكن فى مكانه ، وأنها كانت وحدها على السرير .

ألجم الخوف لسانها ، وحملقت فى ظلام الغرفة الدامس ثم سمعت صوتاً يتمتم : « ماذا فعلت يارب ! » .

وسمعت بعد ذلك وقع أقدام تبتعد ، وصوت الباب الأمامى يغلق على حذر . وإلى تلك اللحظة لم تتمكن مسز هازبروك من أن تستجمع قواها لتضىء الأنوار ، ثم دخل عليها رئيس الخدم وخادمتان ، وهم حفاة ، ونبهوها إلى ما لم تكن قد رأته على الجانب الآخر من السرير،جثة زوجها القتيل،ثم فتح رئيس الخدم النافذة وصاح طالباً النجدة .

أرهق مستر جرايس نفسه فى فحص الغرفة ولكنه لم يهتد إلى دليل ، ثم أصغى إلى أقوال الجيران ولا سيما أهل الدار المجاورة ، وهما زوجان عجيبان ، فالدكتور كونستانت زابريسكى طبيب أعمى يدهش زملاءه بتشخيصه للأمراض . رآه مستر جرايس واقفاً مع زوجته الفاتنة هيلين على شرفة مدخل بيته ، وهى تحثه لكى يأوى

إلى فراشه لينام وقد سمع الضابط ما أجابها به: « أنام ! وفى الغرفة المجاورة قتيل ! ».

ولم يساعد البوليس لا أسرة زابريسكى ولا السكان الذين يقطنون العمارة نفسها. وقد أكبّ مستر جرايس على فحص هذه الجناية عـدة أشهر ولكن دون جدوى، ثم استيقظ فجأة ذات ليلة وهو ينضح عرقاً بارداً وقد تذكر أمراً أغفله.

لقـد أخبره الجيران أنهم سمعوا صرخة كانت أول إنذار، غير أن مسز هازبروك لم تصرخ، إذ لم تتو من ذهولهـا على أن تنبس ببنت شفة. وكذلك عقـد الخوف ألسـنة الخادمات، ومن أجل ذلك أقلق مستر جرايس سؤال واحد:

« من هى المرأة التى صرخت قبل أن يطل رئيس الخدم من النافذة ؟ »

وفى مطلع فجر اليوم التالى زار مسـتر جرايس هيلين زابريسكى فألفـاها أكثر فتنة مما يتذكر، وما وقعت عينه على سحر شبابها المتحفّز حتى أدرك أنها من النسـاء اللواتى متى ثار حبهن فإنه يكون أقوى من المـوت، ولكن هل أثار زوجها الأعمى هذا الحب ؟ ألقى عليها مستر جرايس سؤال الاتهام: من هى المرأة التى صرخت؟ فاصفر وجه هيلين، وقبل أن تتمكن من جوابه دخل الطبيب الأعمى الحجرة، فإنه حين علـم أن الزائر هو ضابط المباحث جرايس قال: « لقد ساقه الله إلينا ».

وقالت هيلين تدافع عنه: « لا تصدق ما سيصرح لك به، فإن به مسًّا من الخبل ».

وقال الدكتور زابريسكى بحزم: « أنا الذى قتل هازبروك ».

« ولـكن لماذا يا دكتور ؟ ».

فهز الرجل الأعمى رأسه، فما من شئ يحمله على أن يبوح بالباعث على جرمه.

« ولـكن كيف يتسنى لك وأنت أعمى أن تصيب مقتلا ؟ ».

فهز الدكتور زابريسكى كتفيه باستخفاف وقال: « إننى أسدد على منبعث الصوت، وأنا خبـير بالرماية، هاتِ مسدساً وأنا أريك ! ».

أصغى أصحاب الشأن فى قلم المباحث إلى حديث جرايس مجاملة له، ثم اقترحوا أن تصحب مسز زابريسكى زوجها إلى طبيب فى الأمراض العقلية.

وكان جرايس هو وحده الذى لم يطـّرح هـذا الاعتراف جانباً على أنه غير معقول، فتتبع كل شئ كما يتتبعه ضابط بارع من ضباط المباحث، فلم يكد يتقصى خبر حياة هيلين وزوجها حتى ترامى إليه ما ترجف به ألسنة الناس.

فى الأيام السالفة كان أمر حبهما أسطورة تروى ، وكان حبهما على ما يبدو يزداد شدة بما يلابسه من هم وبلوى ، غير أن الناس جعلوا أخيراً يتخافتون بينهم أن من حظ الطبيب أنه لا يستطيع أن يرى فتنة زوجته تسحر الرجال ذوى العيون والأبصار .

من هذه الأراجيف بدأ جرايس ينسج فكرة الجريمة ، فثابر على العمل عدة أسابيع ملتجئاً إلى كل حيلة فى جعبته ليصل إلى الحقائق ، فقد علم أن الإشاعات كانت قد بلغت زابريسكى فملأته غيرةً وشكا ، وأنه فى ليلة ارتكاب الجريمة أبلغه أحد أصدقائه وهو بعيد عن بيته أن زوجته مع عاشق لها.

تمثل جرايس المنظر : عاد الزوج إلى بيته وهو يحمل فى جيبه مسدساً ، ولكنه وهو فى جنون غيرته دخل من باب الدار المجاورة بدلا من باب بيته . وكانت هندسة بناء البيتين متشابهة ، فتسلل صاعداً الدرج ودخل غرفة النوم ، فظن مستر هازبروك المسكين أن المقتحم لص فصاح ، وظن زابريسكى أن هازبروك هو عاشق زوجته فأطلق المسدس فى اتجاه الصوت .

وكان ما تصوره مستر جرايس أن الطبيب حين ثاب إلى رشده أدرك ولا بد مما يحيط به ، أنه قد ارتكب خطأً كبيراً ، وذلك حين تمتم بقوله : « ما ذا فعلت يا رب ! » ، ثم انطلق خارجاً يحث خطاه بما جبل عليه العميان من ثبات الخطى تحت جنح الليل . ثم ألقى المسدس بعيداً ولم يعثر عليه رجال الشرطة أبداً ، واندفع فدخل بيته ، وما كادت هيلين تبصره حتى صرخت لأنها أدركت أن حادثاً مخيفا قد وقع .

ولكن فى صباح اليوم الذى عزم فيه مستر جرايس على أن يواجه الدكتور زابريسكى بهذه الوقائع ، تلقى أمراً مزعجاً من إدارة الشرطة ، فقد كلف بأن يذهب مع جماعة من المراقبين إلى أسوار نيوجرسى ليختبروا حذق الرجل الأعمى فى الرماية ، فبهذا الاختبار كان الدكتور زابريسكى يرجو أن يتخلص من مستشفى الأمراض العقلية ، فقد حكم عليه بالجنون ثلاثة أطباء من بين أربعة .

ولم ينبس أحد بحرف وهم يجتازون النهر بكلمة ، ولم يكن يتردد صوت سوى صوت دقات المنبه الذى سيكون هدف الرجل الأعمى . علقت هيلين المنبه على جذع شجرة، وكانت الساعة الخامسة إلا خمس دقائق ، وسيدق جرس المنبه فى الساعة الخامسة ويسدد الأعمى إليه قذيفته وهو على بعد عشر خطوات .

وحمل الدكتور زابريسكى المسدس فى يده، واستعد ليشهد على نفسه بالجريمة ويبعد

عنها شبهة الجنون .

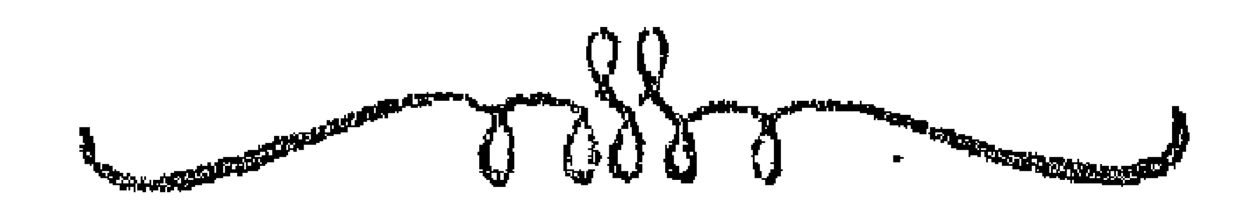
ثم صاح آمراً : « لا يتحرك أحد حتى لا أخطئ التقاط أول رنة للجرس » .

ثم رفع المسدس ، والجميع واقفون عن يساره بعيداً عنه ، إلا زوجتـه التى وقفت وحـدها عن يمينه ، وقد ارتدت معطفاً طويلا أسود . ومرت لحظـة صمت عميق يكاد لا ينتهى ، ثم انطلق رنين الجرس حاداً حثيثاً فى الهواء القارس ، وتبعته ومضة النـار المنطلقة ثم صوت زجاج يتهشم — وصرخة ألم .

وعلى جذع الشجرة ظل المنبه الذى كان هدفاً وهو يدق دون أن يمس أو يضطرب ، فلم تـكن الساعة قد بلغت الخامسة بعـد ، إلا أن الرصاصة كانت قد أصابت المقتـل من هدفها ، فقد سقطت الزوجة البائسة على الأرض مضرجة بدمائها ، وقد تناثر من معطفها حطام ساعة أخرى . وكأنما تحرك الرجل المجنون الأعمى بغريزته وجثا بجانبها على ركبتيه ليصغى إليها وهى تقول إنهـا أحبته أكثر مما أحبت الحيـاة نفسها . لقد أخطأ حين اعتقد أنها خائنة ، غير أن الجريمة حالت بينهما ، وليس فى وسعهما أن يتمتعا بالسعادة فى هذه الحياة الدنيا ، والآن وهما يتهامسان كانا يعدان أمرهما ليعيشا فى الحياة الأخرى .

لم يحزن المستر جرايس حين ألقى الرجل الأعمى بنفســه فى النهر وهو عائد إلى نيويورك ليلقى حتفه .

وقد قال إن هناك ألغازاً تخرج عن طاقة رجال المباحث ، وأحد هذه الألغاز « قلب المرأة » .

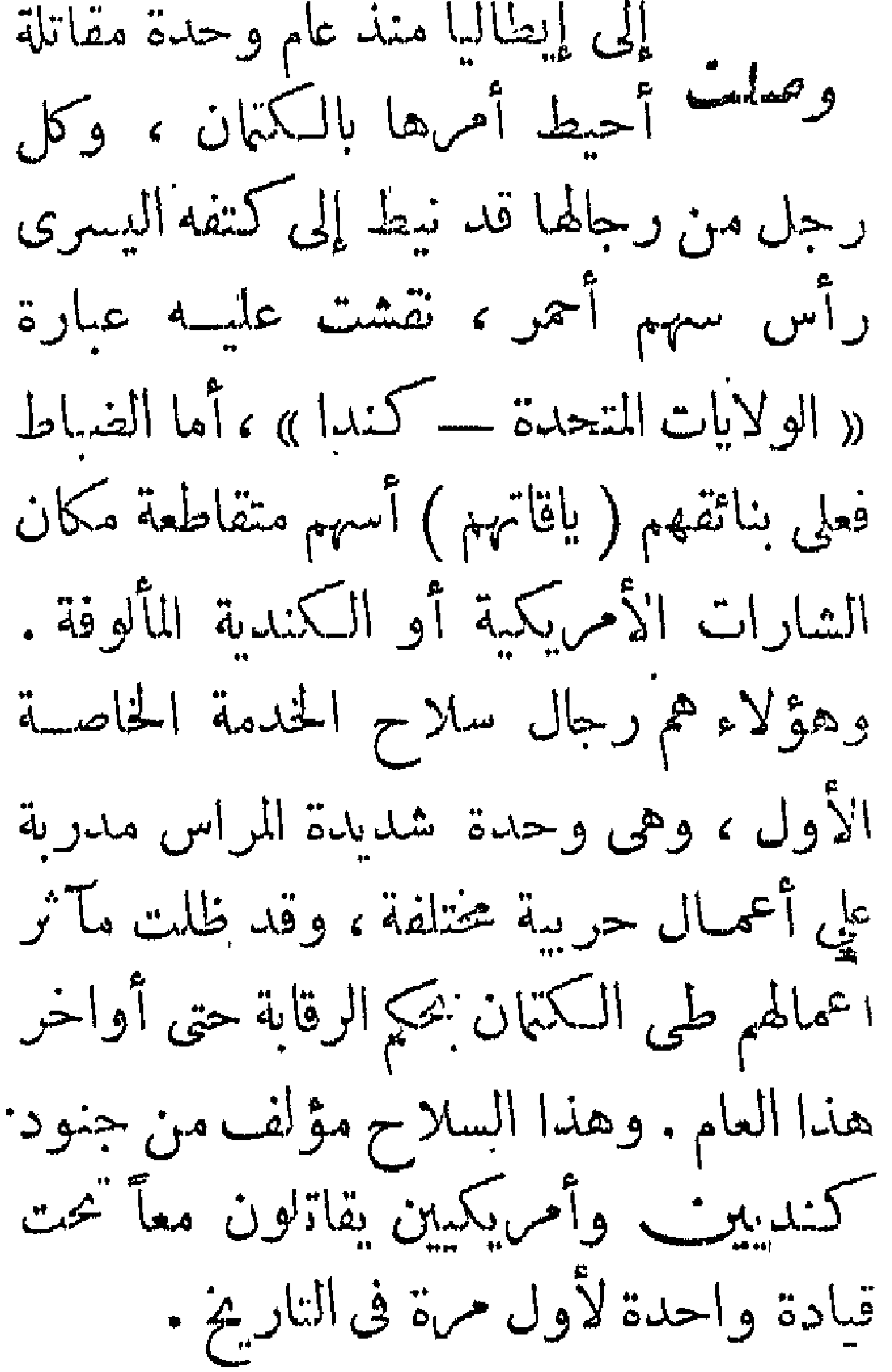


ولا يزالون يتقسمون

سألت خادمتى العجوز فى لندن ، ماذا تفعل حين تسقط القنابل ، أتبرح فراشها أم تلزمه ، أم تذهب إلى المخبأ ، أم تظل حيث هى لا تتحرك . فقالت : كنت فيما مضى ألزم الفراش ولـكننى أبرحه الآن . المسألة بسيطة يا سيدتى ، فنحن ندفع نفقات هـذه الحرب ، وأنا أقول إنه يحسن بنا أن نشاهد ما ندفع نفقته .

[مرجريت إيتكن]

الجنرال فريدريك وكتيبته الباسلة



قصة تذاع كاملة لأول مرة عن وحدة نظمت سرا من الأمريكيين والكنديين ، وقام رجالها بأعمال جريئة سجلت أسماءهم فى التاريخ

وصلت إلى إيطاليا منذ عام وحدة مقاتلة أحيط أمرها بالكتمان ، وكل رجل من رجالها قد نيط إلى كتفه اليسرى رأس سهم أحمر ، نقشت عليه عبارة « الولايات المتحدة — كندا » ، أما الضباط فعلى بنائقهم (ياقاتهم) أسهم متقاطعة مكان الشارات الأمريكية أو الكندية المألوفة . وهؤلاء هم رجال سلاح الخدمة الخاصة الأول ، وهى وحدة شديدة المراس مدربة على أعمال حربية مختلفة ، وقد ظلت مآثر أعمالهم طى الكتمان بحكم الرقابة حتى أواخر هذا العام . وهذا السلاح مؤلف من جنود كنديين وأمريكيين يقاتلون معاً تحت قيادة واحدة لأول مرة فى التاريخ .

وكانت المهمة التى تنتظرهم فى إيطاليا من النوع الذى دربوا خاصة على القيام به . وذلك أن فرقة من أمهر الفرق الأمريكية ظلت ثلاثة أسابيع تحاول الاستيلاء على جبل «لاديفنسا» ، وهو على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم ، ويسيطر على موقع الألمان فى كاسينو . ولكن الثلج والجليد ، ودفاع الألمان المستميت — حالت كلها بين الفرقة الأمريكية وما تريد .

ويومئذ قذف فى المعركة بفرقة الخدمة الخاصة — تحت رياسة قائدها الشاب النابغة البريجادير روبرت فردريك ، فأرسل طلائعه تتحسس ، فتبين لهم أن ناحية من القمة قائمة الانحدار بحيث لا يمكن تسلقها إلا بالحبال . وكان الألمان يحسبون ذلك ضرباً من المستحيل .

وبعد بضع ليال ، شرع فردريك ورجاله يتسلقون سفح الجبل ، فلما انبلج الفجر اختبأوا فى منتصف الطريق إلى القمة على مقربة من العدو ، بحيث كانوا يشمون رائحة الطعام الألمانى ، ويسمعون الألمان يتكلمون ، وكانت درجة الحرارة تكاد تنزل إلى الصفر . ولم يكن لدى الجنود أغطية يلتحفون بها ، ولم يكونوا يجرؤون

على الحراك خشية أن يراهم العدو فيبيدهم ، وهكذا ظلوا اثنتى عشرة ساعة بلا حراك ، حتى تجمدت ملابسهم ولصقت بالأرض ، وظلوا طول هذا الوقت لم يذوقوا طعاماً .

فلما أرخى الليل ستاره تسلقوا المنحدر القائم بالجبال ، حتى إذا لاح الصبح أغاروا على الألمان ، فملأوا قلوب النازيين ذعراً حملهم على التراجع ستة أميال إلى كاسينو ، ولم تفقد الفرقة إلا ٧٥ من رجالها .

وفى يناير ذهبت هذه الفرقة إلى رأس جسر أنزيو ، وظلت ٩٨ يوماً محتفظة بجبهة طولها عشرة أميال ، وهى مساحة تتطلب عادة خمسة أضعاف هذا العدد . كانت الفرقة تنقض من مكمنها فجأة على الطلائع الألمانية على طريقة الهنود الحمر ، فيخرج أفراد هذه الطلائع عشرات ثم سرعان ما يختفون . وأخيراً ردّ الألمان مناطق طلائعهم خمسة أميال إلى الوراء ، فلم يلبث فردريك أن انقض بدباباته وسياراته المصفحة وقتل ٥٠ ألمانيا ، وأسر ٦٠ فى مقابل إصابة رجل واحد من رجاله ، وهو جندى كندى انصدع عقبه وهو يقفز من برج إحدى الدبابات .

ويرجع الفضل فى إنشاء سلاح الخدمة الخاصة إلى ونستن تشرشل ، إذ اقترح فى أوائل سنة ١٩٤٢ تشكيل فرقة كندية أمريكية تسمى « سلاح أمريكا الشمالية » ، تدرب تدريباً خاصا على شتى صنوف القتال وتشترك فى الغارات التى تشن على المواقع العسكرية فى أوربا المحتلة . وانتهى هذا المشروع إلى مكتب فردريك ، وكان إذ ذاك مساعد كولونيل بقسم العمليات والخطط فى وشنطن .

وكان فردريك قد قضى معظم حياته فى اتخاذ العدة لمثل هذه الفرصة ، فقد التحق بالحرس الوطنى فى الثالثة عشرة من عمره ، فلما بلغ السادسة عشرة عين ضابطاً احتياطيا برتبة ملازم ثان فى سلاح الفرسان ، وأتم دراسته بالكلية الحربية الأمريكية فى وست بوينت عند ما بلغ الحادية والعشرين .

وفى سنة ١٩٣٩ أرسل إلى مدرسة القواد والضباط العظام .

وذهب فردريك إلى لندن ثم إلى أوتاوة للبحث فى المشاكل المعقدة الخاصة بتنظيم وحدة مقاتلة كندية أمريكية ، وكان لشخصيته الملهمة ، ودرايته العسكرية ، أثرها فى أوتاوة ، فقالت إنها على استعداد للمضى فى المشروع إذا عهد إلى فردريك بقيادة السلاح الجديد . فوافقت وزارة الحرب الأمريكية .

ووقع اختيار فردريك على ميدان للتدريب قرب هيلانة فى ولاية مونتانا ، وفى الوقت عينه كان الضباط يطوفون

بمعسكرات الجيش في الولايات المتحدة وكندا بحثاً عن رجال ذوى بنية فائقة في متانتها وقوتها ، ما بين خشابين، وصيادين، وقناصى بقر . وقد تطوع عدد كبير من هؤلاء الرجال الأشداء ، كما تطوع عدد آخر من أصحاب السوابق .

وسرعان ما وجد فردريك نفسه محوطاً بمشاكل التدريب . ومن ذلك أنه لم يكن بد من إتمام دراسة الهبوط بالمظلات في ستة أيام ، فاستعار طائرة من ناقلات الجنود ، وحصل على بعض مظلات الهبوط ، وسار بجنوده إلى ميدان التدريب . ولكى يقنع رجاله بأن ستة أيام تكفى للتدريب ، تلقى هو نفسه الدروس في مدة عشر دقائق لاتزيد ، فتعلم كيف يعالج مظلته ليتقى شدة الارتطام بالأرض، ثم صعد في إحدى الطائرات وقفز بالمظلة . وبهذا عرف في فرقته بالذى طالما سمعتهم يرددونه في إيطاليا قائلين : « إن لدينا قائداً لا يقود فحسب — بل يسبق إلى ما يأمر به » .

واستقدم فردريك خبراء يعلمون الضباط والجنود كيف يستعملون شتى أنواع السلاح، بما فيها سلاح الأعداء . وأصبحوا خبراء في التخريب ، وكانوا يخرجون إلى الجبال للتدرب على الانزلاق بالمزاليق وأحذية الجليد ، وكذلك تدربوا على النزول من البحر إلى البر في نورفوك بولاية فرجينيا .

وكان فردريك يعنى بتقوية البنية عناية خاصة ، فكان رجاله ينامون في الجليد بلا أغطية، ويتعلمون كيف يستغنون عن النوم، ويكتفون بأقل الطعام . وأعقب هذا على مر الزمن خير عاقبة ، وأصبح السلاح مشهوراً بقوة احتماله للشدائد .

وكان الجنود يذكرون أنفسهم في فخار باسم « رجال فريدى » ، ويباهون بالأثقال التي يستطيعون أن يحملوها . ومن ذلك أن بغلا ناء بحمل مدفع هاون زنته ١٤٠ رطلا وهو يصعد به فوق أحد الجبال في إيطاليا ، فما كان من كندى يدعى فرنسيس رايت إلا أن تناول المدفع وحمله صاعداً فوق السطح المغطى بالجليد !

ويرجع الفضل في قدرة رجال السلاح على إنزال أفدح الخسائر وانتزاع أمنع المواقع بأقل التضحيات ، إلى قوة احتمالهم الهائلة من ناحية، وإلى ما اعتاده فردريك من قيادة جميع الهجمات بنفسه . ومثال ذلك أنه في ليل ٤ يونيو سنة ١٩٤٤ ركب في مقدمة سبعة من جنوده سيارة مصفحة اجتازت بهم روما في طريقها إلى جسر مرغريتا ، وهو أحد خطوط التراجع الرئيسية للألمان ، على نهر التيبر . وكانت مهمته الاستيلاء على الجسر

والحيلولة دون عبور أحد من الألمان فى تراجعهم .

وقد بدأ القتال حينما دلفت أول سيارة ألمانية من غياهب الظلام ، فقد دوت مدافع تومى وتطاير الرصاص متداركا خاطفاً . ورأى فردريك ألمانياً يعدو لإلقاء قنبلة يدوية ، فزأر مدفعه الرشاش وسقط الألمانى صريعاً . ثم انهمر على المدافعين سيل من الرصاص ، فهوى سائق الجنرال فردريك برصاصة أصابته فى المخ ، وسقط جندى آخر من الفرقة ، وأصاب الرصاص ساق فردريك اليمنى .

ولكن نار المدافعين ظلت مستعرة ، فصرعت خمسة من الألمان ، وجرح ستة آخرون ، وتقدم أحد عشر مستسلمين ، وتراجع الباقون هاربين من حيث أتوا ، وراحوا يذيعون أن فرقة أمريكية ترابط عند الجسر ، وأن الموت بالمرصاد لمن يسلك ذلك الطريق .

ويطلب معظم القواد من مرءوسيهم أن يكونوا على رأس رجالهم فى القتال ، ولكن بوب فردريك لا يصر على ذلك فحسب ، بل يجعل تنفيذ ذلك شغله الشاغل . وقد حدث ذات يوم من أيام يناير الماضى فى إيطاليا أن أصدر أمره بالهجوم على موقع صعب المرام من مواقع المدفعية الألمانية ، وقبل ساعة الهجوم تسرب متغلغلا فى خطوط الألمان تغلغلا عميقاً ، حتى وصل إلى مكان استطاع أن يشرف منه على جنود فرقته والملحقين بهم وهم يتقدمون نحوه فى هجومهم ، وما من ضابط صغير تخلف عن مكان الصدر فى ذلك الصباح إلا ناله من غضب فردريك شُواظ من نار فى آخر النهار .

وفردريك من غير شك أكثر قواد هذه الحرب ندوباً وجراحاً ، إذ أصيب تسع مرات ، ولم يغادر قط ميدان القتال . وهو يحمل وسام « القلب القرمزى » ذى العناقيد الأربعة ، ووسام « النجم الفضى » لشجاعته فى جبل « لا ديفنسا » ، وصليب الخدمة الممتازة لشجاعته الفائقة ، ولكن أعظم دواعى فخره هو ذلك النجاح الذى أصابه الكنديون والأمريكيون — إذ قاتلوا معاً يداً واحدة .

وترى رجاله أيضاً يسترشدون به ويستلهمونه فى إزالة ما يسميه : « الحدود الخفية بين كندا والولايات المتحدة » . وقد أتيح لى أخيراً أن أشهد مثلا يدل على مبلغ حب جنوده له ، فقد كانوا يستجمون على شاطئ بحيرة ألبانو ، ولم يستطع الجنرال فردريك قط أن يظفر بأية مداليات بريطانية أو كندية يهديها مكافأة لرجاله ، ولكنه استطاع أن يحصل من الجنرال مارك كلارك

على بعض النجوم الفضية ، لمنحها للكنديين والأمريكيين جميعا . ووقفت الفرقة فى استعراض عام أمام البحيرة البهيجة الزرقاء ، وقد رفعت الأعلام الأمريكية والكندية على جانب علم الفرقة الخاص ، وهو علم قرمزى طبع فى وسطه باللون الأسود رسم خنجر الصيد الذى يحمله جنود أمريكا الشمالية . وفى نهاية الاستعراض خاطب الجنرال فردريك جنوده قائلا :

« إنه لمن أحب الأعمال إلى نفس القائد أن يقلد جنوده المداليات التى كسبوها عن جدارة واستحقاق ، ولكن من أشق أعمال القائد أن يقف ليودع وحدة يشعر بأنه يحبها » .

وساد الصمت المطبق لحظة ، ثم صاحت الفرقة صيحة رجل واحد ، صيحة الألم المكظوم . واغرورقت بالدموع عيون المقاتلين العتاة ، وتساءلوا إلى أين هو ذاهب ، ليسعوا إلى العمل تحت قيادته .

ولكنه هز رأسه قائلا : إنه لا يستطيع أن يخبرهم ، ولكنه ينتظر منهم أن يظلوا فى قتالهم معا ، لا على أنهم كنديون وأمريكيون ، بل بأنهم جنود أمريكا الشمالية ، محتفظين بسمعتهم أنهم أشجع وحدة مقاتلة على وجه الأرض . ثم دار فى هدوء ليحيى علم أمريكا الشمالية الفريد فى نوعه .

وتشاء المصادفة أن أكون فى جنوب فرنسا حين عاد هؤلاء الجنود فاجتمعوا بقائدهم مرة أخرى . وذلك أن فردريك كان قد عهد إليه بعمل من الأعمال الحبيبة إلى نفسه ، وهى تنظيم فرق المظلات من بريطانية وأمريكية وفرنسية ، وتأليف قوة جوية موحدة لغزو جنوب فرنسا ، وكان قد نال نجمته الثانية ، ورقى إلى رتبة ميجور جنرال فى السابعة والثلاثين من عمره ، وبذلك أصبح أصغر قائد بهذه الرتبة فى التاريخ الحديث .

ولقد كان مرة أخرى أول الهابطين من الطائرة عند ما نزلت وحدته الجديدة خلف خطوط العدو ، وأقامت حاجزاً للمقاومة حول رأس الجسر ، فلم تمنع الألمان من الدخول فحسب ، بل أسرت كذلك ٤٠٠٠ كانوا يريدون الفرار .

وكان قد عهد إلى سلاحه القديم — سلاح الخدمة الخاصة — بالاستيلاء على جزيرتى ليفانت وبوركروس ، على مقربة من الساحل الفرنسى عند طولون ، حيث كان عليهم أن يضعوا أيديهم على مدافع ضخمة فى الليلة السابقة ليوم الغزو وقاية لحاملات الجنود ، وقد وفقوا فى مهمتهم توفيقاً باهراً .

ولما ذهبت لمقابلة فردريك فى مركز قيادته فى ليمى قال لى وعيناه تلمعان ببريق

السرور : « إن سلاح الخـدمة الخاصة قد وضع مرة أخرى تحت قيادتى . . . .»

وراح رجاله بعد ذلك ، خارج مركز قيادته ، يطوحون بخوذاتهم فى الهواء وقد فرحوا فرحاً شديداً، ووقف بوب فردريك من جديد يحيي علم الأمريكيين الشماليين ، ويقول لرجاله : « لقد سرتنى رؤيتكم أكبر السرور » . والمعروف أن فرقته هذه تلتزم النظام الدقيق ، ولكن حبل النظام فى هذه المرة اضطرب، إذ صاحوا من بين الصفوف : « تستطيع أيها القائد أن تقول عنا كما تقول عن نفسك . إننا لفرحون أشد الفرح لعودتنا إليك » .

وفى اليوم التالى بدأ جنود الخدمة الخاصة يتعقبون الألمان على آخر شقة من الأرض تفضى إلى برلين . . .



نسيج الحياة

لا أعرف غبطة أعظم من أن أسدى يداً فى الخفاء ، ثم ينكشف خبرها مصادفة

[تشارلز لام]

هذا هو المحكُّ الأخير للسيِّد الكريم : احترامه للذين لا يستطيعون أن يصنعوا إليه معروفاً ما .

[وليم ليون فلبس]

قال نبوليون ، ولا ينبئك مثل خبير : إن الغلبة الوحيدة التى تدوم ولا تعقب أسفاً ، إنما هى غلبة النفس .

لا تكون الهزيمة مرّة حتى تتجرّعها .

كل نصف ما اعتدت أن تأكل ، ونم ضعف ما اعتدت أن تنام ، واشرب ثلاثة أضعاف ما اعتدت أن تشرب، واضحك أربعة أضعاف ما اعتدت أن تضحك، فإن فعلت مُتِّعتَ بأفضل العمر .

[الطبيب جون هارفى كيلوج]

هلم بنا نتمشى

ماكس بيربوم
الكاتب الانجليزي الفكاهي ، والمصور الهزلي ،
ومؤلف "زليخه دبسون" و "أشياء جديدة وقديمة" و "المنافق السعيد" الخ

ملخصة عن كتاب " والآن أيضاً "

لم يتفق لي مرة واحدة في حياتي كلها أن أخرج لأتمشى . نعم خرج بي ناس للتمشي مراراً ، ولكن هذا شيء مختلف جداً . والناس على ما يظهر يظنون أن الرغبة في التمشي تنطوي على شيء من النبل والفضل ، وأن لهم الحق في أن يفرضوا إرادتهم على من عسى أن يروه مستقراً مستريحاً على كرسيه يقرأ . فيقولون له : « تعال بنا نتمشى ! » بلهجة الأمر التي لا يحلمون باستعمالها في اي معرض آخر ، فترى أن من الحكمة أن تطيع في هدوء .

وقد يكون المشي من أجل المشي أهلا لكل ما يخلع عليه من ثناء جزيل ، وإنما اعتراضي عليه أنه يعطل الذهن . وقد علمتني التجربة أن كل ما عسى أن يكون ضيف مثلك قد أوتيه من القدرة على الإفادة أو التسلية وهو قاعد على كرسي ، وواقف على سجادة بجانب الموقد ، سرعان ما يفقده حين يستصحبك للتمشي . فترى وجه الرجل قد جمد بعد أن كان حيا ناطقاً ، وينطفىء النور الذي كان يشع من عينيه الجميلتين ، ويقول إن أ . (مضيفنا) رجل جامع لكل خير ، وندرج فرسخاً آخر أو نحوه ، فيقول إن المسز أ . سيدة فتانة . ولا يلبث أن يضيف إلى ذلك أنها أفتن امرأة عرفها . ونمر بفندق فيقرأ ببرود ، وبصوت عال : « حانة حرس الملك. مرخص لها ببيع الجعة والخمور » فأتوقع ، في بقية الرحلة ، أن يقرأ بصوت عال كل كتابة تصادفنا . ونمر بنصب في الطريق نقش عليه «أوكسمنستر ١٠ أميال» . وأرى من بعيد تحذيراً على لوح ، ويراه هو أيضاً ، ويديم إليه النظر ، حتى إذا بلغناه قال: « من تعدى الحدود حوكم » . يا له من مسكين ! لقد تقوض كيانه العقلي . بيد أن الغداء عند مضيفتنا أنقذه . فانظر إليه وقد صار مرة أخرى حياة الحفل وروحه .

فكيف ترى يحدث هذا الانحطاط السريع لمن يخرجون للمشي من أجل المشي ؟ أحسب أن الذي يغري المرء بالإقدام على ذلك ليس قواه المفكرة بل شيئاً آخر يسمو فوق العقل - روحه على ما أظن .

تصيح الروح بالجسم: «خطوة سريعة !» فيتدخل العقل معترضاً وينادى : « وقوفاً ! استراحة ! » ويسأل الروح متلطفاً : « لأية غاية ، وفى أية مهمة تبعثين بالجسم ؟ » فتجيبه الروح : « فى غير مهمة ما ، ولغير غاية على الإطلاق . إنما يذهب الجسم يمشى لأن مجرد عمله هذا آية نبل صادقة ، ودليل نزاهة ، وشاهد قوة ومتانة فى الخلق » فيقول العقل : « حسن إذن . وإنى لأرفض رفضاً باتا أن أشترك فى هذه الحماقة، وسأنام حتى تنتهى » .

ويلتحف العقل بعد ذلك بتلافيفه . ويغشاه سبات لا يوقظه منه شىء حتى يودع الجسم بسلام داخل الأبواب مرة أخرى‍!

سر النجاح !

أعلن أن التفتيش العسكرى سيكون دقيقاً لأن ضابط القيادة كان صارماً لا يطيق عبثاً . وكان المجندون فى مدرسة الطيران قد نظموا أمورهم على خير حال ، لولا مجند واحد لم يكن يجيد عملا البتة . فما أقبل القائد وفتح خزانة هذا المجند حتى اضطربوا جميعاً خوفاً عليه ، ولكنهم دهشوا إذ رأوا القائد تبدو على وجهه علامات الارتياح ، ثم مضى يفتش سائر المجندين . وبعد انصرافه ازدحموا حول هذا الفتى وسألوه سرّ ما حدث، ففتح خزانته وإذا صورة كبيرة للقائد ملصقة فى داخلها .

موازنة الميزانية

حين سئل سام كيف يوزّع دخله فى ميزانيته الخاصة قال : أوه ، نحو ٤٠ ٪ للمأكل ، ٣٠ ٪ للمأوى ، ٣٠ ٪ للملبس ، ٢٠ ٪ للملهى ومتفرقات أخرى .

— ولكن المجموع يا سام يبلغ ١٢٠ ٪

— أوتقول هذا لى أنا ؟ !

باب الكتب



أَنَّة وَملك سيام

ملخص كتاب : مرجريت لاندون

[« أنة وملك سيام » قصة حقيقية ، وإن كانت أغرب جداً من أشد الروايات إيغالا فى الخيال . وهى مبنية على مذكرات صحيحة عن مغامرات سيدة إنجليزية فى بلاط عاهل من آخر الحكام بأمرهم فى الشرق .

وقد قال جون تشمبرلن فى وصفها فى جريدة نيويورك تايمز : « إنها قصة ساحرة . ومن أعجب ما كتب عن أشد القرون رومنطيقية — القرن التاسع عشر »] .

في أصيل يوم من سنة ١٨٦٢ كانت باخرة من سنغافورة تدخل في بطء وحذر في نهر تشورفيا مصعدة إلى بانجكوك عاصمة سيام.

وكانت سيدة إنجليزية تعتمد على الحاجز، ومعها ابنها الصغير وهو في السادسة أو نحوها، وكان ثوبها الأزرق ذا زيق عال أنيق وكمين طويلين إلى الرسغين، وهي هيفاء القوام رشيقته. وكان النسيم يعبث بذلاذل ثوبها الفضفاض وهي واقفة هناك، ولم يكن فيها ما يشي بالقلق سوى عينيها الدعجاوين وقد شخصت بهما إلى الساحل.

وألقت الباخرة مراسيها على مقربة من جدار طويل أبيض، تبدو من ورائه مشرفة عليها في شيء من الغموض طبقة فوق طبقة من سقوف القصر الملكي. فجعلت السيدة الإنجليزية تنظر إليها مستغرقة الذهن، ذاهلة عن الأطواف والزوارق والسفن التي غص بها النهر.

وإذا بجندول طويل يخرج مؤتلقاً من الظلال المتكاثفة منحوت كالتنين، ومشاعله تنعكس أضواؤها في حيث تضرب الماء صفوف المجاديف المبتلة، وصعد منه موظف إلى الباخرة، وكان يلف على بدنه ملحفة من حرير أرجواني نفيس لا تبلغ ساقيه، ولا يلبس سترة أو معطفاً، وكان جسمه الأسمر يلمع تحت ضوء المشاعل، وخلفه اثنى عشر من الأتباع انبطحوا على الأرض كالضفادع وثنوا أذرعهم وأرجلهم تحتهم. وكأنما أعطيت إشارة، فخر كل أسيوي كان على السفينة — من الحمالين وغيرهم — على وجهه.

وتقدم ربان الباخرة:

« هل تسمحين لي يا مسز ليونوونز أن أقدم إليك صاحب السعادة شاو - فيا - سري - سورياونج رئيس الوزارة في مملكة سيام؟ ويا صاحب السعادة هذه هي المسز ليونوونز ».

فانحنت السيدة الإنجليزية قليلا، واضطرب ضوء المشاعل على وجه رئيس الوزارة الذي كان كأنه مصبوب في قالب. ومع أنه كان نصف عار، ولا شيء يرمز إلى رتبته ومقامه إلا أنها أدركت أن هذا الشريف السيامي يتقاضاك الاحترام. وأشار إلى شاب من أتباعه فزحف إليه كما يزحف الكلب ويدنو من سيده المغضب، وتلا ذلك لفظ سريع بمقاطع ألفاظ غير مفهومة، والتفت التابع إلى أنّة ليونوونز وقال لها بالإنجليزية:

« هل أنت السيدة التي ستعلم الأسرة الملكية؟ ».

فحنت رأسها قليلا وقالت: « نعم ».

« هل لك أصدقاء في بانجكوك؟ ».

« لا أعرف أحداً فى بانجاوك » .

ودار كلام سريع مرة أخرى باللغة السيامية ، ولم تكن السيدة الإنجليزية تدرى أن ذا العينين السوداوين المتكبرتين ، الذى كان يحدّ إليها النظر، كان يفهم ما قالت تماما.

وعاد المترجم يقول :

« وماذا تراك صانعة ؟ أين تبيتين الليلة ؟ » .

فقالت وجاهدت أن تحافظ على اتزان صوتها : « لا أدرى ، فإنى غريبة هنا . ولكنى فهمت من كتاب جلالته أن مسكناً سيهيؤ لي عند وصولى » .

فتأملها المترجم وسيده فى غير أدب ، وتكلم السيد وترجم المترجم : « إن جلالته لا يستطيع أن يتذكر كل شىء » . قال ذلك بلهجة من لا يكترث: « ولك أن تذهبى حيث تشائين » .

ودار رئيس الوزارة وانحدر من حيث صعد يتبعه عبيده وخوله ، وغاب الجندول فى الظلام بمشاعله الخفاقه الضوء ومجاديفه الملتمعة .

وظلت أنّة لحظة واقفة تنظر وقد أذهلها ما استقبلت به من قلة المبالاة بمصيرها .

وكانت قبل نحو عام قد توفى زوجها فجأة ، وهو ضابط شاب فى الجيش البريطانى فى الشرق الأقصى ، وترك أنّة وطفليها الصغيرين بلا مال ، فحاولت زمناً أن تدير مدرسة لأبناء الضباط فى سنغافورة ، ولكن الأمر كان شاقاً ، فقد كان الضباط يبعثون بأبنائهم عن طيب خاطر إلى المدرسة ، ولكنهم كانوا كثيراً ما ينسون أن يدفعوا المصاريف . ولهذا ما كاد يعرض عليها الملك مونجوت ملك سيام ، بواسطة قنصله ، أن تتولى تعليم أبنائه حتى بادرت إلى القبول . ورتبت أمورها فأرسلت بنتها « أفيس » إلى إنجلترا مع أصدقاء لها ، لتتعلم فى مدرسة هناك ، واستصحبت هى ابنها لويس الصغير واثنين من خدم الأسرة فى رحلتها هذه .

وكانت قد حُذّرت مراراً من الذهاب إلى هذه البلاد — بلاد الظلمات والأسرار والرق والحريم والاسترابة العميقة الجذور بالأجانب . والآن وقد انقطع آخر صوت خافت لضرب المجاديف فى المركب الآيبة ، ولم يعد يسمع فى الليل الساجى النسيم ، فقد شاع فى كيانها الخوف واستحوذ عليه . فياليتها أصغت إلى أصدقائها فى سنغافورة ! غير أنها تشددت وطردت مخاوفها . ومهما يكن ما يحدث فقد صممت على البقاء .

***

وكان فى بانجوك قنصل إنجليزى هو السير روبرت شومبرج ، ولكنه كان قد رحل عن المدينة حتى ينقضى موسم الحر

فهو لا يمكن أن يكون عوناً لها . غير أنه كان من حسن حظها أن ربان الباخرة استطاع أن يدلها على ملجأ وقتى عند مدير الميناء الإنجليزى ، الكبتن جون بوش ، فأنزلت حقائبها ، ورحبت بها المسز بوش ترحيباً جميلا على الرغم من تأخر الوقت .

ولكن أنّة لم تستطع أن تنام . وفى صباح اليوم التالى ، بعد ليلة قلقة لا راحة فيها ، التمست من مدير الميناء أن يشير عليها بما ينبغى أن تصنع .

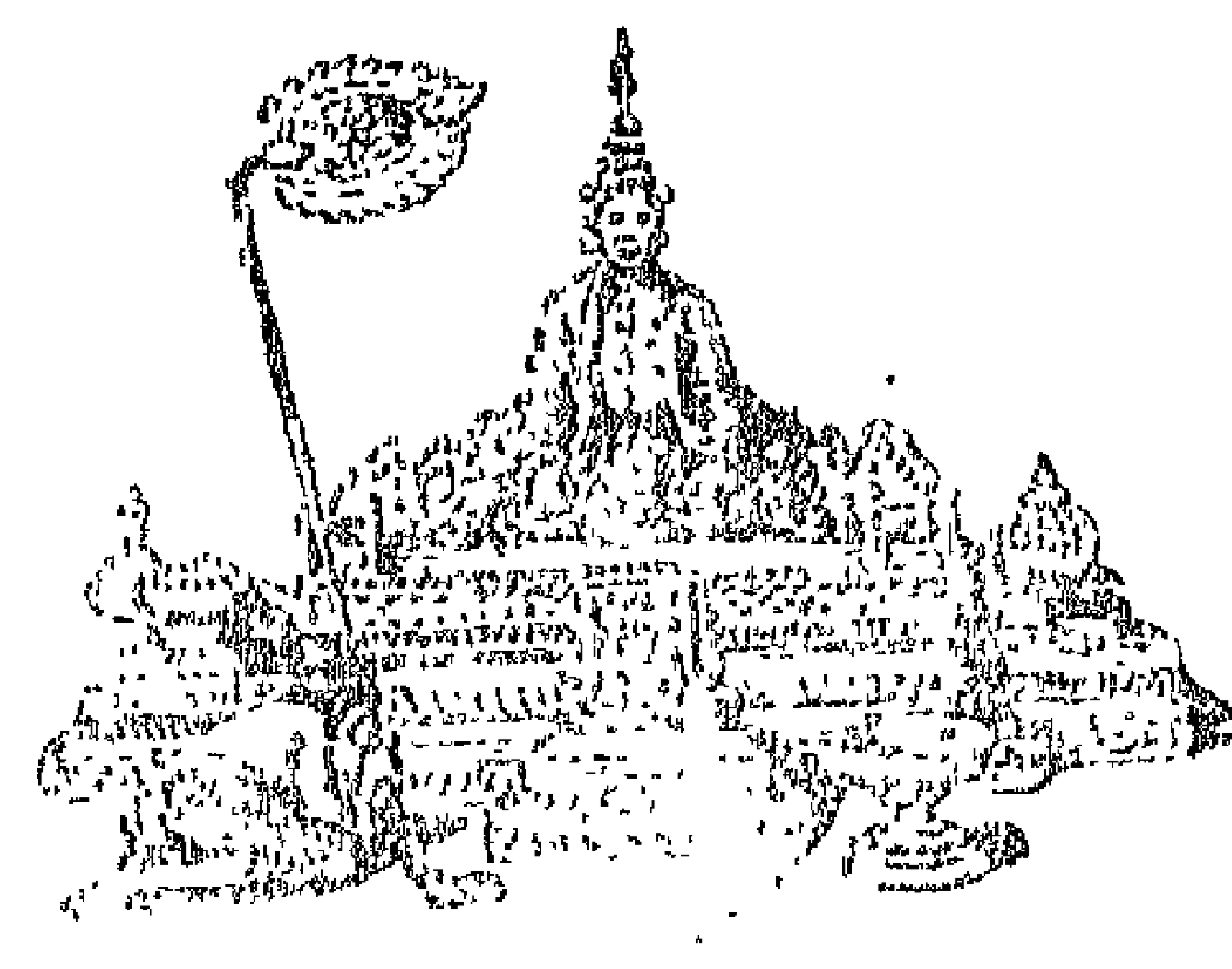
فقال الكبتن بوش على سبيل الإيضاح « هذه سيام . وأهم شىء هنا هو أن تستطيعى الانتظار حتى يتاح لك ما تبغين . وقد أنفق الملك مالا على رحلتك ، فهو سيتقاضاك خدمته فى وقتها » .

والواقع أنه ما كاد طعام الإفطار ينتهى حتى أقبل رسول يدعو أنّة . وقال : إن رئيس الوزارة — أوكرالاهوم وهو لقبه فى بلاده — ينتظرها .

فربتت المسز بوش على كتف أنّة وقالت لها : « والآن لا تقلقى ، فسيكون كل شىء على ما يرام ، وما عليك إلا الصبر » .

واستقبلهما الكرالاهوم فى قاعة الاستقبال بالقصر ، وهى حجرة عظيمة يصل إليها المرء من سلسلة من الحجرات تحجبها ستور من البزّ النفيس ، وتزينها شمعدانات من البللور ، وقد شاع فيها أرج يفوح من شتى الأزهار ويأخذ بالكظم قليلا . ولمحت أنّة وهى تدخل عدداً من الفتيات ينظر إليها وإلى ابنها من وراء الأستار المخملية المسدلة من السقف إلى الأرض . وكان رهط كبير من الأتباع من الذكور جاثين فى غرفة الانتظار ، وبعضهم فى ثياب الخدم أو الأرقاء الزرية ، وبعضهم فى هندام جميل وكأنهم من أقرباء الكرالاهوم الشبان . وأحست أنّة بالهمس الخافت من الاهتمام المكبوح ، والعيون السود المتطلعة ، فوقفت هى ولويس فى الوسط مترددة متوجسة .

وانفرجت الأستار فجأة وظهر الكرالاهوم ، وكان نصف عار كما كان فى الليلة السابقة ، فوقع فى نفس أنّة ، بفضل حاسة سادسة أفادتها من السنين الطويلة التى قضتها فى الشرق ، أن هذا يشعر بقلة الاحترام لها وللمنصب الذى ستشغله ، ولكن سلوكه لم يكن غير ودى ، فبسط لها يده وقال لها



بالإنجليزية : « اجلسى يا سيدى » .

فصافحت اليد الممدودة ولم يسعها إلا أن تبتسم لقوله « سيدى » ، وصرفتها غرابة اللفظ وعدم موافقته لمقتضى الحال عن مخاوفها ، وردت إلى خواطرها مقداراً من الاتزان ، فقررت أن تدخل فى الموضوع على الفور ، والتفتت إلى المترجم الذى كان جاثماً إلى جانبها على الأرض وقالت :

« هل لك أن تسأل سيدك أن يتفضل فيرفع إلى جلالة الملك رجائى أن يعطينى منزلا هادئاً أو شقة بأسرع ما يستطاع ؟ لقد وعدنى الملك فى كتابه بمسكن قريب من القصر » .

فسرعان ما تغير مسلك الكرالاهوم ، وخاطبها مباشرة فسأل : « متزوجة ؟ »

« زوجى مات »[1]

« إذن أين تراك ستذهبين فى المساء ؟ » .

فأجابته بلهجة الإيجاز الحاد، وقد وخزها ماينطوى عليه سؤاله من التلميح : « لا إلى أى مكان يا صاحب السعادة ، وما أبغى إلا أن يكون لى ولابنى مكان أخلو فيه بنفسى وأرتاح بعد أن أؤدى واجباتى » . والتفتت إلى المترجم وقالت : «قل لسيدك إنه ليس له ما يخوله أن يستطلع شئونى الخاصة ، فإن علاقته بى لا تتجاوز عملى كمعلمة ليس إلا ، وأنا أرفض الحديث فى كل موضوع آخر »

وما كادت تقول ذلك حتى شكت فى حكمة هذه اللطمة الحادة ، وكان رد الفعل الطبيعى قد أنساها لحظة ما تعرفه من أن الشرقيين يفتتحون الحديث عادة بسلسلة من الأسئلة الشخصية ، وأن مابدا لها من سوء أدب الكرالاهوم لعله ليس أكثر من مظهر لرغبته فى التظرف بالحديث . على أنه كان من المهم لها أن تقرر على الفور حقها فى الاحترام ، وفى حريتها فى شئونها الخاصة . فهز الكرالاهوم كتفيه هزة خفيفة وقال بفتور : « كما تشاءين » ثم انحنى لها ، ودار فاختفى وراء مرآة .

وما كاد الكرالاهوم ينصرف حتى ترك المترجم مجثمه ونهض ، ودنا فى جرأة من السيدة الإنجليزية .

وقال : « صباح الخير » .

فأجابته بفتور : « صباح الخير . كنت أظنك خادماً » .

فاعتدل فى وقفته كالمستاء وقال : «أنا أخو الكرالاهوم من أبيه . تفضلى من هنا ، فقد أعدت لك غرفك » .

وكان المسكن مؤثثاً تأثيثاً مريحاً على الطريقة الأوربية ، ويفتح على ساحة هادئة تظللها أشجار فاكهة منورة ، وتطل على بركة مصنوعة حافلة بالأسماك الملونة . وبعد قليل ، جىء بالغداء ووضعه على المائدة خدم

صغار ، وكان الطعام خليطاً من آكال أوربية أعدت لها ، ومن الكرى والمتبلات وهى سيامية لا خفاء بها ، وتراجع الخدم الصغار إلى الأرائك ليضطجعوا ويرقبوا باهتمام أنّة ولويس وهما يأكلان .

وكانت حقائبهما قد جئ بها من الباخرة ، وكانت أنّة لا تزال مشغولة بإفراغ مافيها فى اليوم التالى حين زارها المستر روبرت هنتر ، سكرتير القنصل البريطانى ، فالتمست أنّة معونته على مقابلة الملك .

فوعد السكرتير أن يبذل مايسعه ، ولكنه أنذرها أن الأمر قد يستغرق عدة أسابيع . وقال لها ، على سبيل الإيضاح ، إن جلالته مشغول بالاحتفال الذى يتبوأ بمقتضاه أكبر بنيه — البرنس شولا لو نجكورن — منصبه الرسمى ، ويصبح فعلا ولى العهد .

فسألته أنّة : « أتراه سيكون من تلاميذى ؟ » .

فقال المستر هنتر : « أظن ذلك » .

فأحست أنّة للمرة الأولى منذ وصولها بما يشجعها . ولم تكن موافقتها على المجئ إلى سيام من إملاء الحاجة وحدها إلى العمل ، فقد شعرت بأن هناك قدراً يحدوها . وكانت الحركة التى قامت فى الولايات المتحدة لتحرير الأرقاء قد حركت فى نفسها وتراً من العطف ، وعسى أن تكون الفرصة التى أتيحت لها للتعليم فى « حريم » الملك معناها أنها تستطيع أن تبث فى تلاميذها شعورها الخاص العميق بقداسة النفس الإنسانية ، والشر الذى ينطوى عليه أى نظام ينتهك حرمتها ، بأن يسمح لشخص بأن يملك شخصاً آخر . فإذا كان ولى العهد من بين تلاميذها ، فإن لها أن تأمل على الأقل أن تصوغه قليلا .

وبينما كانت المفاوضات دائرة عكفت أنّة على درس اللغة والحياة حولها ، وكان مسكنها يتعرض كل يوم أو نحو ذلك لغارة صاخبة من السيدات اللواتى فى « حريم » الكرالاهوم ، وكن يقبلن عليها كأنهن الجراد ، وقلما كن ينصرفن بغير غنيمة من التوافه التى يطلبنها أو يأخذنها .

ولم يكنّ ، حتى فى نظر هذه الإنجليزية المدققة ، غير فاتنات ، وإذا أغضينا عن شعرهن المجزوز ، وأسنانهن السود من جراء مداومتهن على مضغ رؤوس الفلفل ، فإن كثيرات منهن يرتضيهن الرأى الغربى فى الجمال بوجوههن السمر الصافية ، وعيونهن اللوزية السود .

وكان أصعب ما تعانيه أنّة هو أن تشرح لهن سبب وجودها فى سيام ، فقد كانت هناك ، فضلا عن بنات الأسر السيامية الطيبة ، كثيرات من الفتيات الصينيات والهنديات

يشتريهن السماسرة كل عام لحريم الملك . وكان معروفاً أيضا بأن هنالك أمراً رهن التنفيذ باجتلاب : « إنجليزية ذات جمال وأرومة كريمة » ، فكان يبدو لهن مما لا يصدق أن أنّة إنما جاءت لتعلم أطفال الأسرة الملكية فحسب، لا لتدخل في الحريم.

على أن رئيسة الزوجات وهي في الأربعين من العمر ، كانت متوقدة الذكاء وكانت تدعو أنّة أحياناً إلى زيارة بيتها الجميل في جناح النساء من القصر . وكان يعيش حول القصر وفيه أكثر من ألف من أتباع الملك، وثم أيضاً عدة مئات من الأرقاء يحتاجون إلى التعهد والنظر ، وكانت هذه المدينة المصغرة مسئولة من الزوجة .

وكانت أنّة تزداد كل يوم إعجابا بها ، فقد كانت رقيقة إلا أنها في منتهى الكفاية ، تُسارت الأمور في هذه المؤسسة الكبيرة بمثل الهدوء الذي تميزت به سيدتها. وتأثرت أنّة على وجه الخصوص بعطفها الذي لا يفتر على الصغيرات في حريم زوجها ، وكانت تحيا بينهن سعيدة كأنهن بناتها ، وتشاطرهن نجواهن ، وتسرّى عنهن شجونهن ، وتنصرهن أمام الكرالاهوم .

وتقرر أخيراً أن يتولى الكبتن جون بوش مدير الميناء تقديم أنّة في بلاط الملك . وتهيأت أنّة لهذه المقابلة بشيء من الخوف ، وكانت قد بدأت تعرف شيئاً عن هذا الملك العجيب الذي يسميه رعاياه «ملك الحياة» . وقد تبوأ العرش بعد ثلاثين عاماً قضاها في الكهنوت ، وفي هذه المدة عكف على درس العلوم الغربية ، فالآن اقترن ما حصله من العلوم الناهضة بالاستبداد التقليدي القائم على الهوى والقسوة .

وكان القصر الملكي على الضفة الأخرى من النهر في مقابل قصر الكرالاهوم . وكان النهر ، كما هو دائماً ، يعج بالحركة ، وكان نفر من القساوسة يستحم في النهر ، وكان قساوسة آخرون واقفين على الساحل في أكسية صفر مبللة ، يعصرون أردية فرغوا من غسلها ، وكان هناك فتيات رشيقات تعتدل على رءوسهن جرات الماء ، يسرن في الطريق على حافة الرصيف ، على حين كان غيرهن يحملن حزماً من الدريس أو سلالا من الفاكهة ، وكان الأشراف في محفات مذهبة يحملها العبدان المتصببون عرقاً على ظهورهم ، يسرعون إلى المقابلة الملكية قبيل الغروب . ولمحت أنّة ، من بعيد ، لفيفاً من الجنود الرامحين وأسنة حرابهم الطويلة تلمع في ضوء الشمس .

وخرج الكبتن بوش وأنة ولويس عند رصيف القصر من الزورق ، وساروا في ممر مغطى أدى بهم إلى طربة

نظيف مرصوف بالآجر ، نأى بهم عن النهر وأفضى بهم إلى شـارع ضيق على جانبيـه جدران عالية مبنية بالقرميد . وكان الكبتن بوش يريها المعالم المشهورة — معبد وات بو وتمثاله الضخم المشهور وهو عبارة عن تمثال نبوذا متكئاً،وطوله ١٥٠ قدم وارتفاعه ٤٠ قدماً ، تكسوه طبقة من رقائق الذهب — ووات فراكاأو و معبد بوذا الزمردى ، وهو أعجب الهياكل الفخمة فى سيام ، ومعبد الملك الخاص .

ودخلوا قاعة الاستقبال بالقصر،وكان فيها فيض من نور الأصيل يخلص من نوافذ عالية متوجة ، ويسطع على رهط من الأشراف يرتدون ثياباً من حرير ألوانه شتى وموشى بالذهب ، وكانوا جميعاً منكبين على الأرض فوق مرافقهم وركبهم ورءوسهم محنية ، فى اتجاه العرش الذهبى فى آخر القاعة ، وعليه كان يجلس الملك ، وهو معتـدل الطول هزيل الجسم ، وعليه ثياب من ذهب ، وكان متربعاً لا يتحرك،فكأنما نحت هو والعرش المتألق من قطعة واحدة .

ورآهم الملك ساعة دخـلوا ، فوثب إلى قدميه وتقـدم بسرعة نحوهما فى القاعة ، وكانت قدماه فى نعلين من ذهب لساناهما ينثنيان إلى فوق ، وعليهما درر صغار ينبعث منها بريق يسير إذ يمشى .

فلما بلغهم جثا الكبتن بوش على ركبتيه كغيره من رجال البـلاط ، وقام بواجب التقديم : « يا صاحب الجلالة ، هذه هى المعلمة الإنجليزية الجـديدة ، المسز أنة هريبيت ليونؤونز وابنها لويس » .

فانحنت أنـة انحناء شديداً ثم حافظت على قـدر ما تستطيع على وضعها وهى مثنية الركبتين على هيئة ضفدعية،قالوا إنها تكون مقبولة . وإذا بالملك يمد ذراعيـه فجأة إلى آخرمداها،ويشير إلى أنفها وسألها بصوت عال : « كم عمرك ؟ » .

فـكان السؤال غير المنتظر مفاجأة تامة لأنـة،على أن عقلها دار عدة دورات سريعة وقد واجهت احتمال التنقيب فى حياتها الخاصة على مسمع من مئات من الرجال الراكعين .

وأجابته بهدوء ورصانة: « مائة وخمسون سنة يامولاى » .

فرشق الملك محياها بنظرة فاحصة من عينيه السوداوين كأنهما خرزتان ، ثم التمعتا بالفهم السريع .

وسألها بحدة: « إذن فى أى سنة ولدت؟ »

فقامت بسرعة بحساب عقـلى وردت برزانة : « فى سنة ١٧١٢ يا صاحب الجلالة » وكان هذا أشبه بلعب الأطفال .

ومن المدهش أن الملك لم يغضبه منها اجتراؤها على الهرب من سؤاله ، بل انطلق

يضحك جذلا . وبعد أن وجه كلمات سريعة إلى أقرب رجال الحاشية الذين ابتسموا للسجادة تحت أنوفهم، تناول يد أنة وجرّها بسرعة فى قاعة العرش إلى باب عليه سجف فى آخرها ، وكان لويس يتعلق بثوبها ولا يدعه ، فمضوا بهذه السرعة التى لاوقار فيها يجتازون ممرات مغطاة متعاقبة تجثو فيها قهرمانات متغضنات الوجوه دميمات ، وقليل من الشواب . وكن يغطين وجوههن تأدبا وحياء بالنصيف ، كأن شمس الملك تبهر عيونهن الآدمية . ولما انبهرت أنفاس أنة ولويس ، وقف الملك أخيراً أمام باب من سلسلة الأبواب المستورة ، ونحى السجف المخملية .

فإذا هنالك على الأرض امرأة راكعة ، وكان وجهها مغطى بنصيفها كغيرها من النسوة التى كن فى الممرات ، وكان جسمها صغيراً وممشوقاً كأنه تمثال صغير من صنعة درسدن ، فنحى الملك الحرير المطوى الذى سترت به محياها ، وكانت معارف وجهها من الرقة والجمال كقوامها .

وقال الملك: «هذه إحدى زوجاتى. وإنه لمن بواعث سرورنا أن تتعلم الإنجليزية تعلما طيبا » .

واستولى شىء من هذه الشابة على قلب أنة ، وألقت الفتاة إلى أنة نظرة فيها من السرور الصادق ما جعل أنة تحس لها حين انصرفت بمزيج من المحبة والمرثية . ولشد ما يستثير النفس أن تكون رغبات الإنسان البريئة رهناً بأهواء هذا الملك الذى يشبه الصرصور الذابل ! وتبدى القصر فجأة فى نظر أنّة — بما فيه من مرمر وذهب وأنسجة ثمينة وجواهر وجدران متألقة — كأنه غاص بأشباح الاسترقاق والظلم .

وبينما كان الملك يرتد بها من الممرات إلى القاعة الكبرى، خرج عشرات من الأطفال من جوانب القصر ، فخاطبهم الملك بلطف ورقة ، ولكن لويس كان هو الذى اجتذبهم فانقضوا عليه وحفوا به يلغطون ويضحكون ويصيحون ، وكان ينفر خجلا إذ يمدون أيديهم للمسه ، فلا يزدادون إلا شداً عليه ودنوّاً منه ، وتحسسوا ثيابه وشعره وجلده وحذائيه ويديه البضاوين العجيبتين .

وقال الملك مزهوا وقد بلغوا القاعة ونجا لويس أخيرا : « إن لى ٦٧ من البنين ، وستربينهم لى ، وتعلمين من زوجاتى أيضاً كل من ترغب أن تتعلم الإنجليزية ، ولا بد أن تساعدينى كذلك فى مكاتباتى الكثيرة »

فراعت أنة هذه الكثرة فى واجباتها ، ولكنها رأت أن الأصوب أن ترجىء إلى المستقبل أى اعتراض .

وصرفها من المجلس بإشارة من يده وبقوله : « سأرسل إليك فيما بعد » .

فانحنت أنّـة، وحتى لويس استطاع أن يهز رأسه، ثم انصرفا مع الكبتن بوش. وما لبثوا أن خرجوا إلى الهواء الطلق، فتنفست أنّـة تنفساً عميقاً. وكان الملك قد بدأ رقيقاً راضياً، ومن المحقق أنه لم تكن تنقصه روح الفكاهة، ولكنه رجل غريب، ومن الجلى أنه استبدادى النزعة، وحُوّل قلب لا سبيل إلى التكهن بما يغريه به مزاجه.

* * *

وبعد شهور من التأخير، عين أخيراً يوم رأى منجمو البلاط أنه موافق للافتتاح الرسمى للمدرسة. وفى أثناء ذلك كانت أنّـة قد عجزت عن احتمال الانتظار والقعود بلا عمل، فأخذت تعـلم الأطفال فى قصر الكرالاهوم. فتعجب رئيس الوزارة لجدها وحبها للعمل.

وقال على سبيل البيان: « إن السـيدة السيامية لا تحب العمل، وإنما تحب اللعب والنوم ».

وكان المقرر أن تعقد المدرسة الجـديدة فى بناء كبير قائم فى بستان من أشـجار البرتقال والنخيل. فلما وافت الساعة المعينة تناولت أنّـة يد لويس ودخلت وبها شىء من التردد، فما كانت تدرى ماذا يحق لها أن تتوقع؟ وكان هناك تمثال كبير من ذهب لبوذا يشرف على القـاعة العظيمة، وقد وضعت فى وسطها على الأرضية المرصوفة بالفسيفساء، منضدة طويلة جميلة الصنع، وبضـعة كراسى مذهبة. وحضر الملك وأكثر سيدات البلاط من الأشراف، وبعض الكهنة.

واستقبل الملك أنّـة ولويس بلطف وعطف، وأشار إلى مقعدين أعدا لهما من قبل. وأمر الملك فظهر بعض الجوارى يزحفن بحذق فوق الأرض ومعهن صناديق فيها ألواح الإردواز والأقلام المختلفة والحبر، وكتاب وبستر الأزرق الجلدة المشهور، للتهجى والمطالعـة، ووضعن ذلك كله على المنضدة الطويلة. ثم أمر الملك مرة أخرى فأنشد الـكهنة ترتيلا.

وأخيراً هفت أصوات الموسيقى من فرقة غير مرئيـة، فكان ذلك إيذاناً بدخول الأمراء والأميرات الذين سيتتلمذون على أنّـة وتقدموا واحداً واحداً بحسب أسـنانهم، وكان الملك يمسك كلا منهم برفق ويقدمه إلى أنّـة.

وانتهى الاحتفـال. فوجه الملك كلمة قصيرة إلى الأطفـال، ثم انصرف ووراءه الـكهنة. وبعد



لحظات أقبل بعض الأرقاء وحملوا الأمراء ومضوا بهم . وقد أدهش أنّة ، أن الأمر لم يقتصر على حمل الأطفال الصغار ، فقد تجاوزه إلى الكبار من الصبية والبنات ممن تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشرة ، وكأنهم لم يألفوا المشى حتى ولا مسافات قصيرة ، فكان النسوة يحملنهم على أذرعهن فهن لهم جوار ومركبات آدمية ، ولا يبدو عليهن أن فى الأمر مشقة ، فكأنما يحملن أطفالا رضّعاً .

وبعد أسبوع من الافتتاح الرسمى بدأ العمل المدرسى الجدى ، وكان أصغر أبناء الملك فى الخامسة وأكبرهم فى العاشرة .

وسار الدرس على نهج منتظم إلى أن جىء بعدد من النساء الصغيرات ليتعلمن كالأطفال . وسرعان ما ظهر أن معلمتهن أهم لديهن من كتبهن ، فكن يلمسن شعرها وينزعن منه بعض الدبابيس ، ويتحسسن ثوبها ، وبخاصة زيق العنق والحزام ، ثم خواتمها . ثم جثت إحدى الجوارى أمام أنّة وجعلت تشير إلى أنفها الذى لا يشبه أنفها المبطط ، وكأنما كانت تريد أن تعرف هل استوى أنف أنّة وامتد لكثرة شده ؟ وهل ينبغى أن يشد كل صباح ليبقى هكذا ؟ وقد أدت هذه المقاطعة إلى تعذر العمل، حتى دخلت قهرمانة صارمة من الشرفة الخارجية فأعاد وجهها المكفهرُ النظامَ على الفور .

وفى الأيام التاليــة تسلل بعض النساء وقد أضجرهن التعليم ، على أن كثيراً من أبناء الملك أظهرن ما يبشر بحسن التعلم ، ولاسيما البرنس شولا لونجكورن ولى العهد، وهو غلام وسيم مؤدب فى العاشرة من عمره، وكذلك أخته الصغيرة الأمــيرة شانتارا مونتون التى كان كل امرىء يسميها « فاهنج » أى الأميرة السماوية .

وكان علم الجغرافيا من البداية هو الذى كان أقوى استيلاء على هوى التلاميــذ الملكيين وخيالهم .

وكانوا إلى الآن لم يروا سوى خريطة قديمة أعدها رئيس وزارة سابق كان أدرى بالسياسة منه برسم الخرائط ، وكان طولها خمس أقدام وعرضها ثلاث أقدام ، وفى وسطها رقعة حمراء مساحتها ٢٠ فى ١٢ بوصة ، وقد ألصق بها صورة إنسان بطولها، وهى مصنوعة من ورق فضى . وكان هذا هو ملك سيام ، وقد وضع على رأسه تاج ضخم فيه عــدة نقط ترمز إلى أملاكه الشاسعة . فلما أجاب الملك أنّة إلى ماطلبت، وزودها بكرة كبيرة تمثل الأرض ، كان من العسير عليهم أن يروا أن سيام قد تقلصت حتى عادت مجرد نقطة على وجه الأرض . وكان الشىء الوحيــد الذى عزاهم هو أن

إنجلترا — موطن معلمتهم — كانت أصغر من ذلك .

ولما أخذ أفق الأطفال يرحب ، راحت أنّة تجد وتتصيد وتجلب إلى الفصل أى شئ غير مألوف قد يساعدهم على تكوين فكرة عن العالم الخارجى — قطعة من الفحم الحجرى يستطيعون أن يقارنوا بينها وبين فحم الخشب الذى يستعمله الأرقاء للطبخ ، وجزة خروف ، مع صور لدولاب غزل ومصنع حديث ، ونماذج من الغزل ونسيج الصوف .

واتفق يوما أن جلبت باخرة صندوق ثلج للملك من سنغافورة ، فحصلت أنّة على قطعة للدرس ، فجعل الأطفال يفحصون هذه المادة الجديدة باهتمام عظيم ، وانتشر خبرها فأقبل النسوة من « الحريم » على المدرسة وتزاحمن ليروها ، ولمسنها ، وتهاتفن إذ وجدنها باردة ، ثم راقبنها وهى تذوب وتعود ماءاً . ولما رأى الأطفال الثلج لم يجدوا مشقة فى تصديق أن الماء يتجمد فى بلاد من العالم باردة الجو ، حتى يصبح من المستطاع السير عليها ، ولكن لما استطردت أنّة وقالت إن المطر فى مثل هـذه البلاد يتجمد وهو يسقط ، وأنه يصير مادة بيضاء يسميها الناس « البرَد » ، ثار ثائر المدرسة كلها ، ولم تستعد حسن الرأى فيها وفى صدقها إلا بعد أن أقنعت الملك بأن يشهد بأنه قرأ كثيراً عن هذه الظاهرة فى كتب السياحة .

ولما كان من أغراض الملك أن يتدرب أبناؤه على العادات الأوربية فإنها ، دعت ذات يوم نحو ثلاثين من تلاميذها إلى حفلة شاي إنجليزية . وزينت حجرة الطعام لهذه الغاية بالأعلام الإنجليزية ، ووضعت أزهاراً كثيرة على الموائد التى صفت عليها أوانى الشاى والقهوة ، والفطائر المنزلية ، والمربيات والمحفوظات والخبز والزبدة .

ولكنها لم يخطر لها أن تطلب قصر الأتباع على عدد معين ، فلما أقبل التلاميذ كان كل منهم يصحبه جوار كثيرة . وحاولت أنّة عبثاً أن توجد النظام حين أخذ هذا الجمع المختلط يتدفق من الأبواب ، فضاع صوتها فى الضجة ، وفحص الأمراء والأميرات موائد الشاى باهتمام ، ودس بعضهم أصابعه فى أوعية المربيات ليعرف قوامها ، وتناول البعض الفطائر ثم وضعها ثانية ، ونظر بعضهم فى أباريق الشاى ، ثم انتشروا فى المكان دون أن يطعموا شيئاً ، ومعهم جواريهم ، ووضعوا أيديهم على كل ما راقهم .

فلولا أن ساعة البرج العالى على الناحية الأخرى من الشارع دقت وأعلنت انتهاء اليوم ، لما بقيت إبرة أو زهرية أو صورة

أو منديل فى البيت ، فخرج الجميع يعدون إلى القصر ، وخطفت الجوارى أحمالهن الملكية ومعها الغنائم ، واختفى الحشد كما جاء بغير احتفال ، وصار البيت قاعاً صفصفاً ، ولم يبق لأنّة مقص ولا بكرة خيط من القطن ولا دبوس ولا كستبان . وكان الشىء الوحيد الذى لم يمسسه أحد ، والذى بقى على ترتيبه الجميل كما كان حين بدأت الحفلة ، هو صف موائد الشاى .

وجاء اليوم التالى بموكب من الجوارى من القصر يحملن صناديق من الطباق (التبغ) والكافور والسعوط ، وغير ذلك من الهدايا من أمهات الأطفال على سبيل التعويض ، وكان معظم هذه الهدايا أثمن عشر مرات مما أخذ ، وإنما كانت الآفة أنها لا فائدة لها عندها على الإطلاق .

* * *

وما لبث الملك موجكوت أن طلب من أنّة مساعدته على كتابة رسائله الإنجليزية والفرنسية ، فضلا عن أعمالها المدرسية . وكانت مكاتبات جلالته هائلة ، وكان اهتمامه بعلوم الغرب ولا سيما بالفلك ، وهو ما أفاده من السنين التى قضاها مع الكهنة ، مدعاة لتبادل الرسائل مع العلماء فى أقطار العالم . ولكن معظم المكاتبات كانت له أسباب دبلوماسية ، ذلك أنه فى القرن التاسع عشر تطلعت كل من فرنسا وإنجلترا إلى شبه جزيرة الملايو ، وكان الملك هو الوحيد تقريباً بين معاصريه السياميين الذى أدرك من البداية أن سياسة العزلة والمنع السيامية التقليدية ينبغى أن تراجع إذا أريد الاحتفاظ باستقلال البلاد .

وكان قبل بضع سنوات قد دخل فى مفاوضة لعقد أول معاهدة حديثة مع إنجلترا ، فاستتبع ذلك مكاتبات طويلة مع الملكة فكتوريا .

ولم يهمل الولايات المتحدة فى سعيه لتوثيق علاقاته بالعالم الخارجى ، وكان قد قرأ مرة أنه فى معارض الوحوش المتجولة ، وهى محبوبة جدا فى المناطق الريفية بالولايات المتحدة ، يعد الفيل أغرب الحيوانات التى تعرض ، فبادر إلى الكتابة إلى الرئيس لنكولن يعرض عليه أن يرسل عدة أزواج من صغار الفيلة ، ويقول إنها كلما كثرت تصلح أن تكون دواب حمل لسكان أمريكا .

ومع أن المستر لنكولن كان فى شاغل عظيم من الحرب الأهلية ، إلا أن رده كان غاية فى اللطف والظرف :

« . . . وما كانت هذه الحكومة لتتردد فى الانتفاع بمثل هذا العرض الكريم ، لو كان يمكن أن يكون ذا فائدة من الوجهة العملية . غير أن اختصاصنا السياسى لا يبلغ من هبوط

مستواه أن يشجع تكاثر الفيلة ، وقد كان البخار ومازال خير وسائلنا وأجداها فى مواصلاتنا الداخليـــة على الأرض وعلى الماء أيضاً . . . .

وإنى مع تمنىّ لجلالتك حيـاة سعيدة طويلة ، ولشعب سيام الأريحي المحتشد اسمى مراتب الرخاء الميسورة ، أسأل الله القدير أن يبارك فيكما جميعاً » .

. صديقك المخلص
أبرهام لنكولن
وشنطن فى ٣ فبراير سنة ١٨٦٢

***

وكان تولى مكاتبـات الملك عملا دقيقاً وشاقا ، لأن جلالته حوّل قلّب ، ومستبد ، فكان يبدو أن من المستحيل إرضاءه ، إذ كان يكتب الرسائل ويوقعها ويضع عليها ختمه ويبعث بها فى حقيبة بريده الخاصة إلى أوربا وأمريكا أو غيرهما . ثم يعود بعد ذلك فيأمر أنّـة أن تكتب إلى من أرسلت إليهم الرسائل وتقول : إن التعليمات الواردة فيها كانت خطأً ـــ خطأها هى فى الترجمة أو النقل أو أى شيء آخر إلا ما يقصد إليه هو .

وقد أصرت على شيء واحد ، ذلك أنها إذا كان عليها أن تعمل مع جلالته فى غرفة واحدة ، فإنه يجب أن يسمح لها بالوقوف معتـدلة فى حضرته . لأن الجثوم على هيئة الضفادع ، وهو ما سمح به لهـا على سبيل المعاملة الخاصة ، لا يطاق أكثر من بضع دقائق . فوافق الملك ، على أنه حتم أن تجلس على كرسى ، إذا جلس على كرسى ، أو على الأرض إذا جلس على الأرض .

وتلقت ذات يوم دعوة مستعجلة من الملك ، وكان ينتظر أن يزوره قريباً اللورد جون هي قائد الأسطول البريطانى فى المحيط الهندى ، فأراد أن يكسب مودة الزائر الممتاز ، فاستقر رأيه على ما لم يسبق له مثيل فى سيام ، وهو أن يسمح له بأن يرى طائفة من أجمل فتيات البلاد ، ولـكى لا يعود إلى الملـكة فكتوريا فيقول لها إن الملك متوحش ، فإن على أنة أن تدرب النساء الصغيرات على آداب السلوك الإنجليزية وارتداء الثياب الإنجليزية . أما لوثة السواد على الأسنان فإن الحلاق يتكفل بإزالتها .

وفى صباح اليوم التالى تحولت حجرة الدراسة إلى حجرة للخياطة ، وبذلت كبرى وصيفات القصر لأنّـة كل معونة ، ووضعت رهن مشيئتها الحرير والجواهر والزهور و « الدنتـلات » ، وتكدست المنـاديل والجوارب والخفاف المرصعة بالجواهر ، إلى جانب عشرات من حزم الحرير الـكثيف الغزل والمشجر جيء بها من المخازن ، ولم يكن ناقصاً سوى ما يلبس مما يلى الجسد ،

ولما لامت أنة الوصيفة على هذا النقص ، كان جوابها إن الوقت لا يتسع لصنع شيء من ذلك.

وقد اختيرت الأميرة فانرى عمة الأمير شولا لونجكورن كاصلح سيدة لاستقبال القائد ، ومعها خمس من الحسان كوصيفات لها ، وقد سرهن جميعاً أنهن سيرتدين ثياباً مذيّلة مثل أنة .

وبعث الملك بالحلاق لينظف أسنانهن ويجلوها حتى تعود بيضاء كاللبن ، وتولى رسام صينى دهن بشرتهن باللون الأبيض كذلك ، وكسيت رءوسهن شعراً أوربيا مستعارا ، تتلوى خصله على أحسن طراز ، وجعلت فيه أناشيط من اللؤلؤ والياقوت والماس ، ولما أضيفت الدبابيس والمشابك والقلائد والأساور ، صار المنظر يخطف الأبصار . وأسفت أنة لحظة لأن الوقت ضاق عن صنع الغلائل الثمينة ، وإن كان النظر الفاحص قد طمأنها فأيقنت أن كثافة نسج الحرير لن تدع أحداً يفطن إلى هذا النقص.

وجاء الوقت لتدريبهن على آداب السلوك الأوربية ، وكان كل ما يطالبن به هو أن يجلسن وراء سجف قرمزى بديع موشى بالذهب أسدل فى الهيكل، فإذا نحى السجف، وقدمهن جلالته إلى الضيف ، نهضن وانحنين وارتددن . وكان بعضهم قد حدث الملك أنه لا أحد يولى الملكة فكتوريا ظهره بعد أن يقدم إليها، وإنما يرتد ووجهه إليها، فأصر الملك على هذا من أجله ومن أجل السفير البريطانى.

وقد دربت أنة السيدات مرة بعد مرة على هذه الحركة البسيطة ، ولكنهن كن لا يلقين بالا إلى التدريب لفرط اضطراب أعصابهن. وكانت هناك إشاعة فى الحريم بأن كل الإنجليز ذوو لحى ، وذلك منظر منفر لشعب حليق، وأن كثيرين منهم سريعو الإصابة بعيونهم ، وهى عيون زرق فظيعة تستطيع أن تنفذ مباشرة إلى قلوب ضحاياهم ، وتوقع فى شراكها النفوس القليلة الحيلة إلى الأبد.

ومن سوء الحظ أن اللورد جون كان ذا لحية كثة وشاربين كثيفين يختلطان بها، فهى مرسلة على صدره، ولا شيء يبدو من وجهه سوى عينيه وأنفه . فلما كان يوم الاستقبال، ونحى الستار على صوت بوق فضى ريعت السيدات السياميات فجمدن على كراسيهن .

وفوجىء اللورد جون أيضاً بما أدهشه كل الدهشة ، ولم يكن يتوقع أن يرى فى ضوء المعبد الخافت سيدات أوربيات على ما يبدو ، فى الحريم الملكى بسيام ، وكأنما أراد أن يستثبت فرفع نظارته المفردة (المونوكل) إلى عينه اليمنى ، وراح يفحصهن من قمة رءوسهن إلى أقدامهن على حين كان الملك يقوم بواجب التعريف .

ثم انحنى انحناءاً شديداً كأحسن ماتقضى

به المراسم ، غير أن السيدات ، بدلا من أن ينهضن وينحنين ، ندت عنهن صرخات فزع خافتـة ، وغطين وجوههن بأكفهن ، وجعلن يراعينه من بين أصابعهن الممدودة . ولما رأين أن الرجل ما زال يحدق فيهن فى هدوء من خلال عينه الزجاجية (المونوكل) صاحت إحداهن : « عين السوء » فوثبن جميعاً عن مقاعدهن كأنما كن على اتفاق ، ورفعن ذيولهن إلى رءوسهن ليقين أنفسهن السوء ، وولين الفرار من المعبد .

وقد سرى عن أنـّة كثيراً فيما بعد حين لم يزد الملك على تأنيبها فى رفق لأنها لم تعرف السيدات بعادة الإنجليز أن يضعوا على عيونهم « زجاجاً متجسساً » ، وقال لها : « إن نساءنا يستحيين أن ينظر إلى وجوههن رجل غريب » .

كاد العام الأول من مقام أنـّة فى سيام ينقضى ، فتكشفت لها حياة القصر التى كانت غامضة ، وكان القصر نفسه يبدو فى البداية معقداً ، ثم بدأت صورته تنجلى شيئاً فشيئا ، وكان فى الحقيقة مدينة مسوّرة محصنة ، مستطيلة الشكل تزيد مساحتها على ميل مربع .

وكان فى القسم الشمالى ديوان الحكومة وفيـه مستودع السلاح ، وثكنات حرس القصر ، ومكاتب الحكومة ، والبورصة ، ومحاكم القضاء العليا . وفى هذا القسم وحده كان الناس أحراراً فى الدخول والخروج لأعمالهم الرسمية .

أما قلب المدينة الملكية حيث يقيم الملك ، فكان موقعه بحيث لا يمكن الدخول إليـه من الخارج إلا من بوابات محروسة حراسة قوية . وتحيط بقصر الملك إحاطة تامة بساتين ذات شرفات تنمو فيها أشـجار البرتقال والرمان فى أصـص صينية نفيسة ضخمة . وأوراق أشجار البلوط والدّفلى تلقى ظلها المسنون على المماشى المرمرية ، وغرس فى أصـص من الخزف السوسن والزنبق والنرجس من كل نوع ولون ، فمن قرمزى وذهبى ، إلى أرجوانى حائل وأبيض ، والنوافير لا تفتأ ترسل ماءها فتتلقى فيضه أحواض من الحجر تسبح فيه أسماك بلون الذهب والفضة وتأتلق كالدر .

وفى القصر الملكى ممر مغطى يؤدى إلى الحريم ، ولم يسمح قط لرجل بأن يدخل دائرة الحرم إلا الملك والكهنة الذين يأتون تحت الحراسة لأداء وظائفهم الدينية . وكان الملك مونجكوت أكثر تسامحاً من أسلافه ، فكان يأذن أحيـاناً لنسائه أن يخرجن فى مناسبات مهمة كإحراق جثمان والد إحداهن . غير أن المدينة كانت لمعظمهن هى العالم ، عالم من النساء عـدته تسعة آلاف فى نطاق من الأسوار العالية .

وكان الملك فى عالم القصر هو قرص النور

الذى يدور حوله كل شىء ، والذى يفعله يوما بعد يوم ، هو الذى يعين ما تفعله نساء الحريم . وكان يستيقظ فى الخامسة صباحا ، فكان معظم من فى بيته من النسوة يفعلن مثله ، وبعد إفطار خفيف تقدمه النساء اللواتى كن فى خدمته فى الليل ، يقصد الملك إلى معبده الخاص ليقضى فيه ساعة فى التأمل.

فإذا فرغ من هذا أوى إلى مخدعه ليغفى ، يحف به رهط جديد من الوصيفات ، وتصرف اللواتى كن يقمن بخدمته فى الليل فلا يستدعين مرة أخرى إلا بعد أسبوعين أو شهر ، إلا إذا شاء أن يوليهن عطفاً خاصا .

فإذا استيقظ من إغفاءته قدم إليه طعام الإفطار بمراسم معقدة ، فيركع اثنتى عشرة امرأة على مقربة من صحاف فضية عظيمة فيها اثنى عشر لوناً من الطعام — المرق ، واللحوم ، والطيور المصيدة ، والدجاج ، والسمك ، والخضر ، والكعك ، والهلام ، والمربيات ، والمتبلات ، والفواكه ، والشاى . وكل لون من هذه الألوان تقدمه ثلاث سيدات إلى رئيسة الزوجات ، فترفع الغطاء الفضى ، وتبدو ، على الأقل ، كأنها تذوق ما فيه ، ثم تتقدم على ركبتيها وتضع الصحاف واحدة واحدة على المائدة أمام الملك .

والحقيقة أن الملك ما كان يأكل إلا قليلا من هذا الطعام الوفير ، فقد كان أثناء اعتزاله الطويل ، فى الهيكل البوذى قد اعتاد التزهد ، فهو يكتفى عادة بملء سلطانية من الأرز المسلوق .

وكثيراً ما كان يتناول مع أنّة على طعام الإفطار ، أخبار اليوم ، والحرب الأهلية الأمريكية ، وبعثة نابليون إلى المكسيك ، وغوردون « الصينى » .

وسرعان ما أعجبت أنّة بما حصله عقل الملك ، وكانت تعتقد أنه بين الرءوس المتوجة فى ذلك الوقت ، فى الشرق أو فى أوربا ، أوفاها تعلما نظاميا ، ولكنها كانت كثيراً ما يصدمها وينفرها نزوع عقله إلى الشك فيما يتعلق بالناس ، فما كان له أى إيمان بنزاهة أى إنسان . وكان كلما نهضت أنّة لتدافع عن صديق أو صديقة ، لا يرى فى مروءة نفسها إلا نشداناً للمنفعة الشخصية ، وكان لا يفتأ يقول : « المال ، المال المال ! إنه يشترى أى شىء » كأنما كان صديقها قد رشاها لتدافع عنه أمام الملك .



وكان حب الأطفال هو فضيلته الثابتة ،

وكثيراً ما كان يأخذهم بين ذراعيه ويعانقهم ويبدى لهم من وجهه صوراً مضحكة ، بيد أنه على كونه أباً عطوفاً على بنيه الذين أرضعته أمهاتهم ، كان لا يستطيع أن يغفر لطفل أن أمه لم ترضه .

ومن نقائض الخلق السيامى الغريبة التى كانت مبعث دهشة دائمة لأنّـة ، أنه على الرغم من وجود الملك ، والهلع الذى كان يهجم على النسوة منه فيشلهن ، فقد احتاج الأمر إلى عدد غفير من « النساء الشرطيات » لحفظ النظام ، فإذا كثر الهتاف والهمس وجاوزا الحد وراء ستار ، ذهبت إحدى الشرطيات ، وضربت بالسوط فى رفق أكثرهن جلبة ، وكان السوط يستعمل ثلاث مرات أحياناً فى حضرة الملك ، فإذا انصرف انتشر النساء كأنهن سرب من الأوز ، وذهبن مسرعات إلى مساكنهن كأنما نجون وما كدن من واجب ثقيل .

* * *

ووصلت أنّـة ذات صباح إلى الهيكل فألفت تلاميذها فى هرج شديد ، فقد قيل إنه أثناء الجمع السنوى للأفيال فى الغابات شوهد فيل أبيض ، وهذه عند السياميين حادثة لها أسمى قيمة قومية ، لأن الاعتقاد السائد هو أن الفيل الأبيض ليس إلا بدناً يعود إلى الحلول فيه ملك أو بطل متوفى .

وما ذاع الخبر فى المدينة حتى أقبل الملك والفلاحون والسادة والعبيد والشيب والشبان ، بعضهم على بعض يتبادلون التهنئة فى جذل ، وأقيمت الصلوات وقدمت القرابين فى الهياكل جميعاً على الفور ، وانهالت على منادى المدينة الذى كان يصيح بالخبر فى الشوارع ، الهدايا من المال والثياب والأرز ، وزجاجات الزيت المعطر .

وصدرت الأوامر بإعداد خمسة وسبعين صندلا ملكياً ومائة زورق فى الحال ، وجهزت بمؤونة أسبوع لنقل الأسرة الملكية بأسرها إلى حيث وجد الفيل الأبيض ، ونالت أنّـة إذناً بمرافقة الركب .

وقبيل الغروب انطلق هذا الموكب فى النهر إلى العاصمة القديمة أيوثيا ، وهناك ركب القوم الخيل وقطعوا أميالا فى أرض جميلة إلى الرقعة المسورة أو « الكرال » التى أحيط فيها بالفيلة ، فكان مما ازدهى بالرهط الملكى واستخفهم أن رأوا فيلا فى لون سمك السلمون ينهج ويزفر فى بحر من الفيلة السود والشهب المحشودة فى هذه الحظيرة .

وفى صباح اليوم التالى نقلت الفيلة المقنوصة من الحظيرة ، وترك الفيل الأبيض وحده موثقاً بحبال من الحرير . وسرعان ما شرع فى تمهيد طريق واسع له فى الأرض التى لا بد أن يجتازها إلى النهر فى رحلته الملكية إلى بانجكوك ، فلما تم ذلك بعد

بضعة أيام ألقى على ظهره ستر منسوج بخيوط الذهب ، وبدأ موكب النصر يعود إلى العاصمة . وحتى الملك صار فى المحل الثانى إلى جانب هذا « الأمير » الجديد . ورقصت البنات وغنين وضربن على المعازف أمام الفيل الشاب ، وقام عدد من الرجال بطائفة من ألعاب القوة والبراعة ، فكانوا يتصارعون ويوقع بعضهم بعضاً لتسليته ، وتولى رجال آخرون الترويح عليه وإطعامه ، وصلى الكهنة من أجله ، فلما بلغ بانجكوك أنعم على هذا الحيوان الحسيب بلقب معناه « مولى الأسرة القوية الوسيم » ، وألبست أسنانه خواتم من ذهب ، وطوقت عنقه بقلادة من ذهب وألقى عليه كساء أرجوانى من خمل حواشيه قرمزية موشاة بالذهب .

وكان قد شرع فى بناء إسطبل جديد بديع « للأمير » ، وبذل القوم غاية الجهد فى إطعامه بخير الأعشاب ، وأنضر الحشائش وأحلى القصب ، وأنضج الموز ، وأشهى الكعك ، وكان ذلك يقدم إليه فى قصاع ضخمة من ذهب ونضة ، وعطر ماؤه بالياسمين . فثقل عليه هذا كله ، وأصابته تخمة شديدة فى الليلة السابعة ، ومع أن طبيب الملك الخاص دعى لعلاجه فقد مات بعد بضع ساعات .

ولم يجرؤ أحد أن يبلغ الملك خبر هذه الكارثة . غير ان الكرالاهوم ، وكان رجلا واسع الحيلة لا يخونه حضور ذهنه ، دعا بالآلاف من العبيد وهدم الإسطبل الجديد ، وكانوا يعملون بسرعة محمومة ، فقد كانوا يخافون أن يجىء الملك قبل أن يفرغوا ، ولم يحضر الملك إلا فى الأصيل العليل ليرى مبلغ تقدم البناء الذى كاد يتم فى الليلة السابقة ، فوقف مسمراً إلى الأرض لما لم تر عينه إلا الفضاء ، وأدرك الحقيقة لتوه ، فندت عن صدره صرخة ألم ، وهوى على حجر وأنشأ يبكى بكاء مراً .

فحدت الأمة كلها على الفور ، وأخيراً لف على جثة الحيوان الميت كفن من الكتان الأبيض ، ووضعت على نعش حمل على النهر بين العويل والرثاء ليودع آخر الأمر خليج سيام .

* * *

وكانت أنة كلما اجتازت بوابات الحريم الضخمة ، يستولى عليها إحساس ثقيل الوطأة بأن هذا سجن تسجن فيه مدى الحياة نساء وأطفال لم يجنوا شيئاً ، وعسى أن لا يكون النساء جميعاً غير سعيدات ، ولكن أنة كان يستثير نفسها أن هؤلاء النسوة ليس لهن فى حياتهن من الشأن أكثر مما لحيوانات الأرض .

وذهبت ذات صباح لتشهد احتفالا دينيا مهما ، فضلت الطريق بسوء الاتفاق ، وإذا بها تلقى نفسها فجأة فى ممر مظلم لا مخرج لها

منه ، على ما بدا لها ، سوى باب من نحاس مصقول فى جدار عال من قرميد . فدفعت الباب وقد خامرها شىء من الإشـفاق أن تـكون داخلة فى مكان محظور ، ثم تخطت العتبة إلى ساحة مرصوفة .

ورأت فى وسط حديقة قريبة من بركة صغيرة امرأة جالسة على الأرض وفى حجرها طفل عريان فى نحو الرابعة من عمره ، فلما أبصرت أنـّة رفعت رأسها منتفضة ، وضمت ذراعيها العاريتين على الطفل ، وشخصت إلى أنـّة بعينين ثابتتين صارمتين . وكانت عظيمة الجسم قوية البنية سمراء ، وكانت تبدو أشبه بدمية منحوتة من حجر أصم ، وموضوعة هنـاك لتفزع المتطفلين ، منها بآدميـة ، وكانت معارف وجهها معروقة شاحبة ، وشـعرها الأشعث الأغـبر يتهدل متفرقاً على كتفيها .

وسحبت أنـّة يدها من البـاب فارتد بقرقعة منـذرة ، ووقفت ترتجف قليلا ، ولـكنها نسيت، وهى تنظر إلى المرأة والطفل، ما ساورها من الخوف، وطغت على قلبها موجة خانقة من العطف والمرثية ، وكانت المرأة عارية إلى خصرها، وإحدى رجليها مشدودة إلى عمود ، ولا شىء يقيهـا لفح الشمس المحرقة، وكانت سلسلة القيد من حديد وثقيلة.

وظلت أنـّة لحظة لا تستطيع أن تنطق بكلمة ، وأخـيراً سألت المرأة عن اسمهـا فـكان الجواب الجافى : « باى سـيا ــ اذهبى عنى » . فلم يزعج أنة هذا ، وقعدت على البـلاط المحرق بجانب المرأة والطفل ، وسألت عن اسم الطفل بلهجة رقيقة جدا .

فقالت المرأة وهى مترددة : « اسمه ثولك (الحزن) » وأشاحت بوجهها ، ولـكن نظرة التحدى التى كانت فى عينها خفت .

واستطاعت أنـّة، باستدراجها وعطفها، ان تقف على قصتها ، فأخبرتهـا أن اسمهـا « لور » وأنها ولدت على الرق ، فاشتراها وأعتقها تاجر هندى كان قد رآها فعشقها . وتمت الصفقة على مقتضى القانون السيامى ، وبدأت المرأة حياة من الحرية السعيدة ، غـير أن مولاتها السابقة لم تستطع قط أن تروض نفسها على التخلى عنها .

ففى ذات يوم ، بعـد ثلاثة شهور من زواجها ، قبض عليها وكمت ، وشد وثاق يديها ورجلها وأعيدت إلى هذا المـكان . وأمرت مولاتها بربطها إلى هـذا العمود حيث بقيت إلى أن وضعت طفلهـا ، وبعد شهر قيدت ثانية ، وكانت جارية تأتى إليها بابنها حتى اسـتطاع أن يأتى إليها وحده ؛ ولا يعرف مكانها سوى مولاتها والجارية ، وقد مضى على وضعها فى القيد أربع سنوات .

فوقعت قصة لور من نفس أنـّة موقعاً

عميقاً ، وآلت لتعرضن أمرها على الملك ، وكان من حسن الحظ أنها اشترت حديثاً هدية — كتاباً صغيراً اسمه « عجائب العلم » أزمعت أن تهديه إليه متى قابلته مرة أخرى .

وقد سر الملك بالكتاب سروراً عظيما ، واهتزت نفسه وانبسطت للمروءة، فوعد بأن يتحرى قصة لور . وبعد وقت غير طويل صُدّعت الأصفاد عن لور بعد أن طال وثاقها ورُدت إلى بيتها ، وفى اليوم التالى زار زوجها السعيد أنّة ، وأخبرها أن اسم ابنه « ثوك » أو الحزن قد أبدل فصار اسمه الحر .

وكان من نتائج عودة لور إلى زوجها بما يشبه المعجزة، أن ألفت أنة نفسها وقد طارت شهرتها فجأة ، فقد راح العبيد الذين يخرجون من القصر إلى المدينة لقضاء الحاجات يقصون القصة على أصحاب الحوانيت فينقلها هؤلاء إلى زبائنهم ، وكان الذين لم ترهم قط من قبل ، من الناس العاديين ، ينكبون على وجوههم إذ تمر بهم ، وجعلوا يزحمون إليها بملتمساتهم وهى جالسة فى رواقها فى المساء . وإذا دخلت حجرة الدراسة وجدت فى مكانها وعلى كرسيها أزهار قطفتها أيدى الجوارى ونظمت منها طاقات . وصارت من الآن فصاعداً معروفة لمن فى القصر والمدينة باسم « الملاك الأبيض » وأصبحت عبارة « اذهى إلى بيت الملاك الأبيض فتساعدك »

رسالة أمل يُهمس بها فى آذان المكروبين .

ولم يقتصر الأمر على المسكينات ، فإن سيدات الحريم الساميات المقام كن يأتينها سرا بشكاواهن ، فوجدت نفسها على غير قصد منها ، قائمة بين الظالم والمظلوم ، وكانت تُقصد يوماً بعد يوم لمقاومة ظلم القضاة .

وقد حاولت مراراً فى حالات التعذيب والسجن والابتزاز أن تتنحى عن التدخل ، ولكن الأمهات أو الأخوات كن يتوسلن إليها فلا ترى لها حيلة إلا أن تحاول المساعدة .

وكانت أنّة أحياناً ، تعمل فى هذه المساعى متواطئة مع رئيسة الزوجات — اللادى تيانج ، وهى امرأة عطوف حكيمة. فكانت اللادى تيانج إذا رأت أن الملك متلهب الغضب خطره ، وأنه يوشك أن يهوى بالسوط على إحدى نساء الحريم ، تبادر إلى دعوة أنّة ، وكان على أنّة أن تذهب من فورها إلى الحجرة التى فيها الملك . والكتاب فى يدها، لتستشيره فى ترجمة من اللغة السنسكريتية أو السيامية . وكانت أنّة تحتفظ بذخيرة من مثل هذه الأسئلة لوقت الحاجة إليها . وكانت هذه الحيلة على وضوحها ، أو لفرط بساطتها، تؤتى ثمرتها المنشودة فى العادة ، فكان الملك كثيراً ما يستغرقه السؤال الذى تثيره أنة فيكفّ بسرعة مضحكة عن اللعنات والشتائم ويشير

بيده ، وهو شارد الذهن ، إلى المرأة المذنبة الراكعة أمامه أن تخرج .

على أن شفاعتها لم تكن دائماً مقبولة ، ففى ذات يوم جاء نبأ بأن السيدة توبتيم فى كرب شديد ، وهى سيدة صغيرة من تلميذاتها السابقات ويبلغ عمرها ١٦ سنة ، وكانت أنّـة توليها مودة خاصـة . وكان ما حدث هو أن هـذه السيدة عجزت عن احتمال حياة الحريم ، فلم يكفها أن رفضت ما قاربها به الملك من الرغبة ، بل استطاعت بطريقة ما أن تتسلل من بين الحراس وتفر من القصر ، وشر من ذلك أنها وجـدت متخفيـة فى دير . وإذا دنست امرأة ديراً بوجودها فليس لها إلا الموت .

ولم يكن ثم شئ يسع أحداً أن يفعله من أجلها ، غير أن أنّـة ألفت نفسها مرة أخرى تعد ، وهى تشعر شعوراً ممضاً بالعجز ، أن تشهد المحاكمة لتصنع ما يدخل فى وسعها لتلميذتها السابقة .

ولما جئ بالسجينة راع أنّـة ما اعترى الفتاة الجميـلة من التغير ، فقـد جز شعر رأسها حتى كاد يكشف العظم ، وحُلق حاجباها ، وكان خداها غائرين ، وعيناها إلى الأرض ، وصُـفدت يداها ، وكادت قدماها الصـغيرتان العاريتان تعجزان عن جر السلسلة الثقيلة التى قيدتا بها .

وكانت البيّـنة ضدها ماحقة ، فلم يقتصر الأمر على العثور عليها فى ثياب الكهنة التى تنكرت فيها لتهرب ، بل وجدت أيضاً رقعة صغيرة مخيطة إلى بطانة الثوب وعليها اسم فرابالات أحد الكهنة . فلم يشك القضاة فى نوع الخطيئة التى ارتكبت ، أو فيما جناه الاثنان ، غير أن توبتيم أصرت على أن الكاهن برئ . وقد تأثرت أنّـة تأثراً عميقاً بجلال هـذه المرأة الطفلة الوهنانة وهى تقذف القضاة بالتحدى ، فاقتنعت أنّـة ببراءتها ، وبادرت إلى الخروج من قاعة المحكمة لتعرض الأمر على الملك .

وكان الملك فى حجرة الإفطار ، وأدار رأس أنّـة نكهة الطعام وهى ترقى بجهد فى الدرج العالى ، فما أفطرت فى ذلك الصباح قبل أن تذهب إلى المحكمة ، غير أنها مضت بسرعة مخافة أن تفقد شجاعتها إذا فكرت فى الأمر لحظة .

وبدأت تقول ، وقد أحست أن هـذا ليس بصوتها : « يا صاحب الجلالة ، لقـد عدت الساعة من محاكمة توبتيم ، وأنا مقتنعة بأنها بريئة من الجريمة التى تتهم بها » .

فنظر إليها الملك بعينيه الضيقتين المؤتلقتين اللتين كثيراً ما أذكرتاها عيون الطير .

وقال : « إنك مجنونة » ورماها بنظرة فاترة كلها استرابة، ثم مال إلى الأمام وانطلق

يضحك فى وجهها ، فوثبت إلى قدميها كأنما كان لطمها ، ورأت فى وجهه المكفهر من الغضب شيئاً مستعراً ، شيئاً شيطانيا لم تره من قبل . ولم يكن معنياً بوجه الحق فى قضية توبتيم ، وغاض شعوره باللياقة والحق ، وابتلعته حاجة وحشية إلى أن يغرق فى الدم الكبرياء الجريحة للذكر المهين ، فاستولى على أنّـة شعور بالاستفظاع لا سبيل إلى العبارة عنه ، وذهلت وبهتت حيال هـــذا الشر الصريح الذى تكشف لها عنه قلب الملك ، وخانها عقلها ولسانها ، فدارت لتنصرف .

ولكن الملك كان قد قرأ وعرف ما نطق به وجهها ، فرده استبشاعها إلى الحالة الطبيعية ، فانقلب على الفور على عادته وقال لها بلهجة الأمر : « أيتها السيدة ، عودى ! إنى أقبــل رجاءك ، وسيحكم على المرأة بأن تعمل فى مضرب الأرز بقية حياتها . وسأبعث بقرارى إلى المحكمة بعد دقائق ، ولا حاجة بك إلى العودة إلى هنــاك ، والأفضل أن تذهبى إلى المدرسة الآن » .

ولم تستطع أنّـة أن تشكره ، فقد كان اشمئزازها عظيما ، وكان رأسها ينبض ويدور ، فانصرفت دون أن تنبس بكلمة ، ومرت عند رأس السلم بإحدى القاضيات وقد جاءت بضبطة المحاكمة إلى الملك ، وبدلا من أن تذهب أنّـة إلى حجرة الدراسة ، ذهبت إلى بيتها ، فقد كانت تحس أنها مريضة لا تقوى على شىء سوى الرقاد .

وكانت الساعة الثانية حين استيقظت ، وجذبها إلى النافذة صوت جمهور يضج ، وأفزعها أن ترى مشنقتين تنصبان فى الساحة قرب بيتها . وكان العمال يدقون الأوتاد ويجيئون بآلات غريبة بأوامر من موظفين كبار ، وقد احتشد جمع كبير من الرجال والنساء والأولاد ليشهدوا المنظر كائناً ما يكون ، وكان الجمهور يبدو عليه الاهتمام البالغ .

فدعت أنّة خادمتها وسألتها عن هــذا الاستعداد كله وذلك الهرج ما سببهما ؟ فأخبرتها الخادمة أن كاهناً وأميرة مذنبة سيعذبان لترقية الأخلاق العامة ، إذن قد نقض الملك قراره وعكسه !

وعلمت أنة فيما بعد أنها ما كادت تنصرف من حضرة الملك حتى عرض عليه ما جرى فى المحاكمة ، فلما قرأ ذلك تلهب غضبه تلهباً شمل أنّـة كما شمل الخليلة والكاهن ، فأمر بأن يعذب السياميان علناً ثم يشنقا ، ولكنه لم تخطر له وسيلة لعقاب الإنجليزية سوى إقامة المشنقتين تحت نافذتها مباشرة !

وقبل الساعة الثالثة بقليل رتبت أدوات التعذيب إلى جانب المشنقتين ، ثم سمعت نفخة فى الأبواق كانت إيذاناً بقدوم الرهط الملكى ، وأقبل الملك وحاشيته جميعاً وأخذت

الشرطيات فى ثياب قرمزية مذهبة،أمكنتهن لحراسة سيدات الحريم ، وإذا بالجمهور يطلق صيحة ، ذلك ان الحراس كانوا قد جاءوا من فناء القصر بالسجينين ، وكان الكاهن على ما يبدو أضعف من أن يمشى وحده ، فرفع إلى المشنقة التى إلى اليمين على حين صعدت توبتيم إلى المشنقة التى إلى اليسار فى هدوء وبدون مساعدة ، وصوبت عينيها فى سكون إلى الغوغاء الذين اقتربوا متزاحمين ليستمتعوا بالمنظر ، غير أن شيئاً فى هيئة الفتاة ألزمهم الصمت ، وأحست أنة أن سكينة توبتيم أفرغت على قلوبهم الرهبة بكرههم .

وانطلق نافخان فى بوقين ــ يميناً وشمالا ــ يعلنان الجريمة التى اتهم بها الاثنان ، فصارت توبتيم وبالات فى نطاق من عشرة آلاف حدقة ، ولكن الجمهور كان أخرس حتى لا تفوته كلمة واحدة من الحكم ، ونفخ فى الأبواق مرة أخرى وأذيع الحكم الذى صدر ، فزال السحر الذى كان مضروباً على الجمهور ، وارتفعت صيحة عظيمة حين ارتقى الجلاد منصّة مرفوعة ليعذب توبتيم ، وبدأت الضربات تهوى عليها ، وخيل إلى الجمع فى اللحظات التاليـة الأولى أن الألم سيكون أشـد من أن يطاق ، فأشاحت بوجهها قليلا عن الملك المتفرج من النافذة ، وتلوى جسمها برغمها ، وحاولت أن تخفى وجهها فى راحتيها ، غير أنها لم تكد تهم بذلك حتى ارتدت بقوة الإرادة فاعتدلت فى وقفتها ، ودوى صوتها فى الساحة كأنه ناقوس فضى عميق الرنة « أن بوذا المقدس فى السماء يعرف كل شىء ، ونحن بريئان ! » .

وما كادت تنتهى مما قالت حتى انكفأت صارخة صرخة نفذت من قلب أنة كالسيف ، وظلت الفتاة غائبة عن رشـدها حتى رده إليها الأطباء ، ثم استؤنف التعذيب . فعاد صوتها يدوى مرة أخرى احتجاجاً .

واستخدمت كل أداة للتعذيب ــ واحدة واحدة ــ دون القتل ، لانتزاع اعتراف من توبتيم ، غير أن كل عذاب ، وكل ألم عجز عن أن يكشف عن شىء سوى شجاعتها المعدومة النظير ، فلم تعترف بشىء ، ولم تطلب رحمة ، وواجهت معذبيها ومضطهديها بجلد بلغ مرتبة الجلال ، وواجهت قضاتها والملك ببراءتها . وكان آخر ما سمعته أنة منها قولها : « إنى لم أرتكب خطيئة ! » .

ولم تسمع أنة ولم تر شيئاً آخر بعد هذا ، ولم تدرك أن الإعياء أضمرها ، وأنه لم تبق لها ذرة من القوة تحتمل بها المنظر الذى تحت نافذتها ، فقد غاب وعيها فلم تعرف شيئاً ، وكانت لا تزال منطرحة على الأرض ــ ضعيفة متقبضة ــ حين أقبلت جارية من القصر سراً لتخبرها بما صار إليه توبتيم

وبالات ، ولم يعترف أحد منهما بشيء على الرغم من التعذيب ، وأخيراً كفوا عن التعذيب مخافة أن يزهق روحهما قبل أن يحرقا حيين ، ثم جروهما في الشوارع وأحرقوهما علناً خارج أسوار المقبرة ، وقد تأثر الشعب تأثراً عميقاً بجلد توبتيم وقوة روحها ، حتى لم يبق ثم من يهزأ ويسخر .

ولبثت أنة شهراً لا ترى الملك بعد مقتل توبتيم ، وأخيراً دعاها ذات يوم إلى حضرته ولم تكن قط كما كانت في ذلك اليوم ، باردة جافية ، لا يعرف قلبها الصفح والمغفرة ، فلم يعر ذلك اهتماماً ، وما كاد يراها حتى استأنف حديثهما السابق كأنما لم تكن ثم فترة انقطاع.

وقال : « إني شديد الحزن على توبتيم » ورأت أنّة أنه قد اعتراه تحول سريع شاذ على عادته ، وأنه صادق فيما قال فقد كان وجهه بادي الكآبة : « وأنا أعتقد الآن أنها بريئة ، فقد رأيت حلماً تمثلت لي فيه بوضوح توبتيم وبالات يسبحان معاً في فضاء واسع ، وانثنت إلي ، ولمست كتفي وقالت لي : « لقد كنا دائماً طاهرين غير مذنبين على الأرض ! وانظر إننا سعيدان الآن » . وإني لعظيم الأسى أيتها السيدة ، عظيم الأسى ، وعميق الاحترام لرأيك . والآن سآمر أن يقام أثر تذكاري لبالات وتوبتيم » .

وأقيم على المكان الذي ماتا فيه أثران عاليان بأمر الملك ، ونقشت على كل منهما هذه العبارة : « قد تغرب الشموس وتعود إلى الطلوع ، ولكن بالات وتوبتيم النقيين الشجاعين لن يعودا إلى الأرض » . ولما كان يؤمن بالدورة التي لا تنتهي للميلاد وتكوره ، وأن ذلك لا ينتهي إلا ببلوغ النيرفانا ، فإن كلماته هذه شهادة باقتناعه بأنهما قد نجوا بطهرهما من دورة التناسخ .

* * *

وعلى الأيام صارت أنّة كثيراً ما تشعر بالحاجة إلى مغادرة سيام ، فقد انقضت خمس سنوات دون أن ترى ابنتها أفيس ، وصار لويس محتاجاً إلى الالتحاق بمدرسة داخلية منتظمة العمل . وثم أيضاً صحتها ، فقد جعلت تعتريها نوبات عنيفة من الحمى ، ووافق الملك مكرهاً — نزولا على أوامر الأطباء — على خفض ساعات عملها ، غير أن ذلك لم يقها مطالبه المسرفة .

وقد أحست مرة أنها في خطر حقيقي من تقلب مزاج الملك ، وذلك أنه في عصر يوم على أثر خلاف بينهما على رسالة ، جاء سكرتير الملك الخاص برقعة فيها جدول بعدة اتهامات طولبت بالاعتراف بها وتوقيعها . وكان بين الاتهامات التافهة بالعصيان ، والجحود ، و « الفكر السيء » اتهام بأنها « مشت على رأس جلالته » .

وقرأت أنة هذه التهم السخيفة ، وغضبها يستشيط ، فياما أشد تشبث ذاكرة الملك بكل هفوة صغيرة ! وما أسرع ما ينسى الإخلاص فى الخدمة ! حدث مرة منذ زمن طويل ، وقبل أن تفهم مراسم القصر ، أن أعرب الملك عن رغبته فى كتاب معين ، فتذكرت أنه فى الغرفة التى فوق الحجرة التى كان الملك يعمل فيها فى صبيحة ذلك اليوم ، وظنت أنها إنما تفعل ما يريد ، فأسرعت فصعدت لتأتى بالكتاب ، ودخلت وهى لا تدرى غرفة فوق التى كان الملك جالسا فيها، وأخذت الكتاب ونزلت به وهى تتوقع أن يسره منها ما فعلت . ولكنها بذلك « مشت فوق رأسه » وأدهشها ، أن الوصيفات كن ينتفضن جزعاً ، وأكدن لها وشفاههن ترتجف أنها إذا ارتكبت مثل هذا الانتهاك لحرمة المراسم الملكية مرة أخرى فإنها ستلقى فى غيابة السجن . وكانت التهم الأخرى مثل هذه السخافة ، فردت الوثيقة إلى رسول الملك دون أن تنطق بحرف.

وبعد قليل تلقت رقعة بغير توقيع من قصر الملك جاء فيها أن غضب الملك قد زاده رفضها أن توقع الورقة التى أرسلها إليها ، وأنه صاح فى حاشيته المجتمعة: «أما من أحد يخلصنى من هذه المرأة ؟ » فطلبت أنـّة من خدمها أن يغلقوا الأبواب كلها ، وأن لا يسمحوا بدخول أحد . وقد ضحكت من نفسها فيما بعد ، وبدت لها مخاوفها ، وهى تكرر النظر فيها ، خيالية . ولكن أكانت خيالية ؟ أم تراها شعرت بخطر حقيقى زال لما زال غضب الملك ؟

وقد بقيت ، على الرغم من كل شىء ، لأن عملها استغرقها استغراقاً عميقاً ، ولاسيما تربية الأمير الصغير شولالونجكورن. ولكنه لابد آخر الأمر من فهم هذه العلاقة أيضاً ، فقد بدأ الأمير يشب ويدخل مداخل الشباب، وسيكون عليه أن يتفرغ لواجباته الرسمية .

وأحست أنها ، مع هذا الأمير على الأقل، قد أصابت قسطاً من النجاح ، فقد جرى بينهما أخيراً حديث طويل مداره أبرهام لنكولن ، وكان يعرف قصة هذا الرجل الإنسان العظيم من إشاراتها الدائمة إليه على طول السنين ، وقد أثرت فاجعة موت لنكولن تأثيراً عميقاً فى تفكير الأمير الشاب.

فقال لها وعيناه تومضان بالعزم : « ياعزيزتى . إذا عشت لأتولى الحكم ، فسأكون ملكا على أمة حرة لا أمة مسترقة ».

فنظرت أنـّة إلى وجه الفتى المتحمس ، وتمنت أن يعيش ليحقق حلمه .

***

وأبى الملك فى أول الأمر أن يوافق على سفرها ، وكان يقول لها معاتباً كلما خاطبته

فى الأمر : « ياعزيزتى ، إنك مكسال ، وجاحدة » فاحتاجت إلى ستة شهور لتفوز بموافقته التى كان ضنيناً بها . وحتى بعد ذلك لم يأذن لها فى السفر حتى وعدت بإخلاص أن تعود متى سمحت لها صحتها .

وقبل أن تسافر دعتها إحدى تلميذاتها المحبوبات السيدة « صون كلين » ، وهى من الحريم ، إلى العشاء ، ولم يكن ثم شىء غير مألوف فى مثل هذه الدعوة ، ولكن أنّة كانت تشعر طول الوقت أن هناك اهتماما مكبوتاً بأمر مستور ، فلما انتهى العشاء نهضت السيدة صون كلين وخرجت بأنّة إلى الحديقة . وهناك كان كل عبيدها وجواريها ركعا ، ١٣٢ من الرجال والنساء والأطفال ، وكان كل منهم يرتدى ثياباً جديدة . فقد اعتقتهم السيدة صون كلين !

فوقفت أنّة صامتة ، وأحست بشىء معترض فى حلقها . وإذا كانت لم تصنع شيئاً سوى أن تعلم هذه المرأة بمفردها ، فإن لها أن تثق أنها جزيت أوفى جزاء بما شاهدته فى تلك الليلة على السنوات الخمس الشاقه .

وكانت أنّة قد أرجأت إخبار معظم النساء والأطفال أنها مسافرة حتى اقترب اليوم . فلما أعلنت ذلك كادت لا تقوى على مواجهتهم، وظل البعض يأبى أن يصدق أنها ذاهبة حقاً ، فلما انقطع الشك أولوها من مظاهر الحب والإخلاص ما غلبها على أمرها ، فتدفقت الهدايا من كل نوع بكثرة تورث الارتباك ، وبعث كثيرات من النسوة مبالغ من المال لتستعين بها أنّة على الرحلة ، وجاء أفقر الجوارى وأصغرهن شأناً ، بالأرز والكعك والبقول المجففة والسكر ، وحاولت أنّة عبثاً أن تفهمهن برفق أنها لاتستطيع أن تأخذ كل هذه الأشياء معها .

أما الملك فكان صامتاً مقطباً حتى كان صباح يوم السفر ، ثم سال منه ما كان متجمداً ، فعانق لويس وأعطاه مشبكا من فضة وكيساً فيه مائة ريال ليشترى بها حلوى فى الطريق . ثم التفت إلى أنّة وقال : « يا عزيزتى إنك محبوبة جداً من عامة شعبنا ومن جميع سكان القصر والأطفال الأمراء . وكل امرئ متأثر لرحيلك ، ولا بد أن السبب أنك سيدة طيبة ومخلصة . وكثيراً ما غضبت منك وأضعت حلمى ، وإن كنت أنطوى لك على احترام عظيم ، على أنك يجب أن تعرفى أنك امرأة عسيرة ، وأنك أصعب مراساً من النساء عامة ، ولكنك ستنسين ما كان وتعودين إلى خدمتى ، فإنى أزداد ثقة بك كل يوم . وداعاً ! » .

ولم تستطع أنّة أن تجيب ، واغرورقت عيناها بالدموع ، وأدركت أن ما حسبته

غير ممكن قد كان . وأنها هى والملك ليسا مخدوماً ومستخدماً ، ملكا ومربية ، بل هما صديقان .

وبعد بضعة أيام رحلت أنة ولويس عن بانجكوك ، ورافقهما كثير من صديقاتها إلى الباخرة ، ثم صارا وحدهما — هى ولويس — يرقبان خط الشاطئ وهو يغيب ويصبح ظلا أشهبَ رقيقاً .

* * *

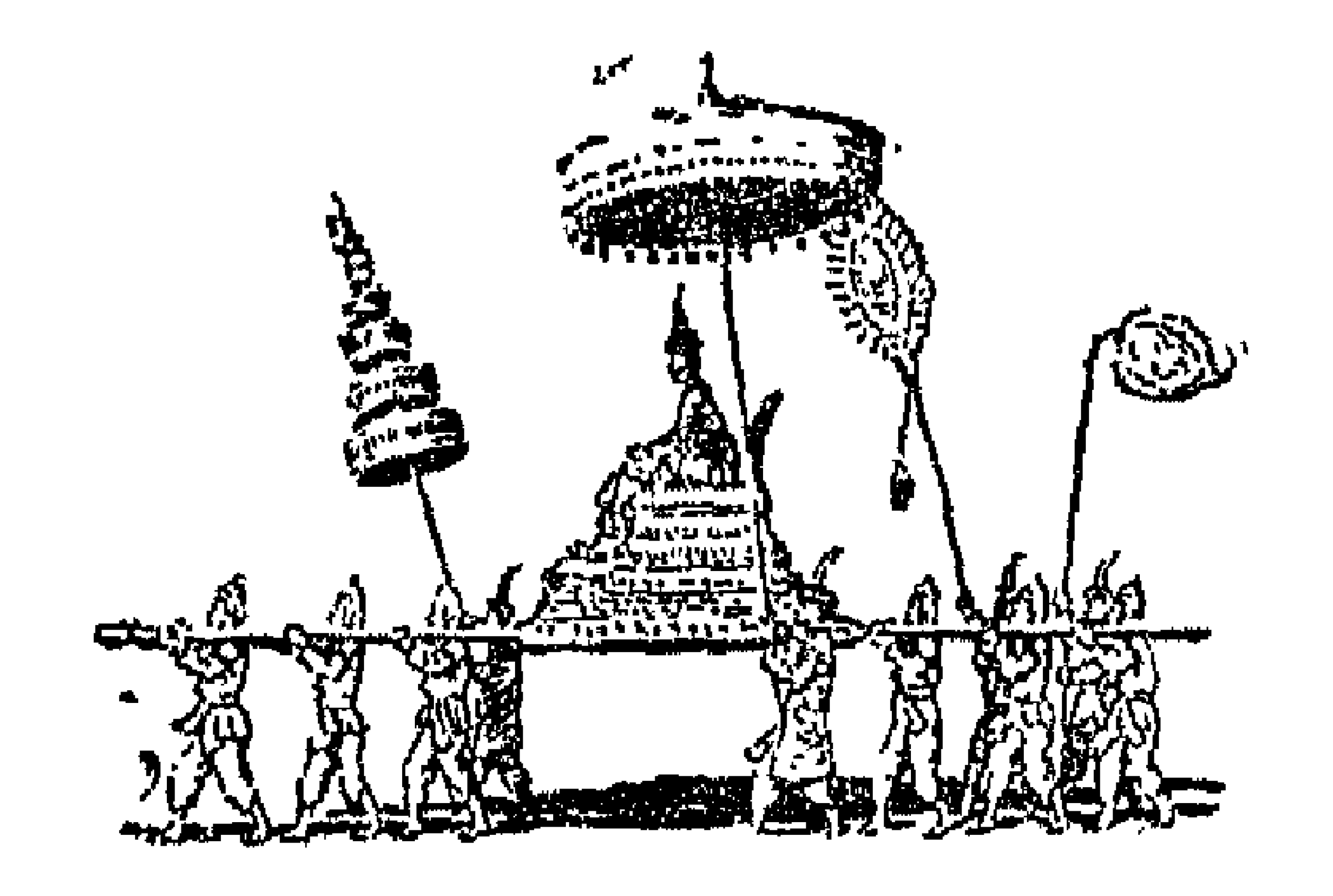
ولم تعد أنة إلى سيام بعد ذلك ، ومات الملك بعد عام من رحيلها .

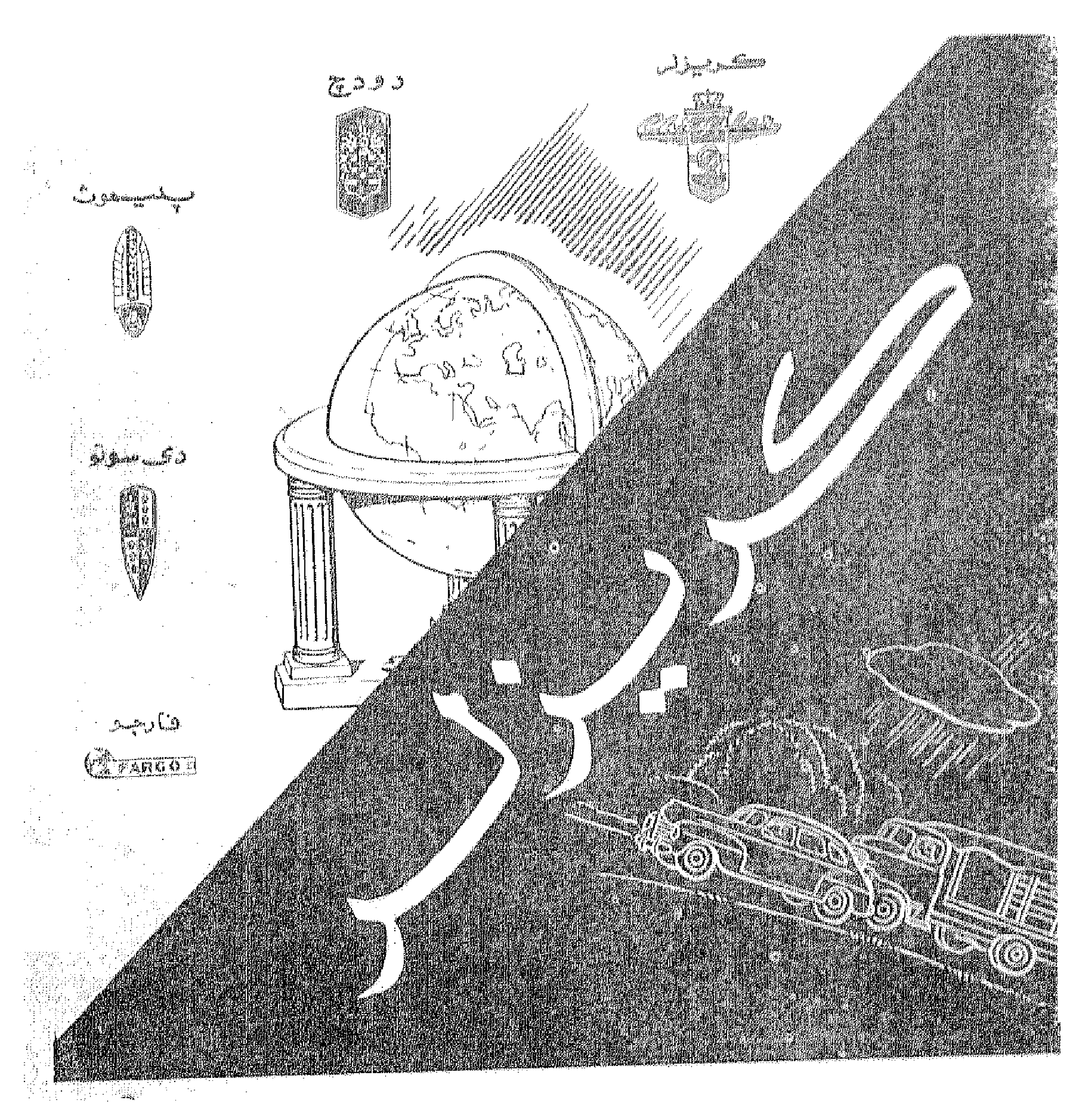
وكانت أنّة قد شغلت بحياة جديدة ، فبعد أن أدخلت لويس مدرسة فى إنجلترا سافرت إلى أمريكا عملا بمشورة الطبيب ، لأن الجو هناك أبعث على النشاط ، وظهرت أولى مقالاتها وفيها تصف بعض تجاربها فى بلاط الملك مونجكوت فى مجلة « أتلانتك منثلى » فى يونيه سنة ١٨٦٩ ثم تلا ذلك كتابان « المربية الإنجليزية فى بلاط سيام » و « قصة الحريم » . وما كادا يظهران حتى انهالت عليها طلبات المحاضرات ، فقضت سنوات توزع وقتها بين الكتابة والمحاضرة .

وبعد ثلاثين سنة من رحيلها عن سيام فى سنة ١٨٦٧ ، زار الملك شولا لونجكورن لندن ، فالتقت أنّة مرة أخرى بأبرز تلاميذها شأناً .

وكان الملك قد تبوأ العرش منذ ٢٩ سنة ، وهو رجل وفور هادئ قوى العزيمة قام بأعمال كثيرة على الرغم من مصاعب عظيمة ، فقضى على عادة السياميين أن ينكبوا بوجوههم على الأرض ساجدين ، وكبح امتيازات الأشراف ، وبدأ بإدخال الاصلاحات الخليقة أن تمحو الرق يوماً ما ، وأسس المدارس فى أنحاء المملكة ، وشجع بعثات المبشرين على فتح المستشفيات والمدارس ، وأعاد تنظيم المحاكم ، وأخذ الموظفون المتعلمون يحلون شيئاً فشيئاً محل رجال الإدارة الإقطاعيين السابقين ، وأوفد الشبان إلى الخارج ليدرسوا ، واستقدم المعلمين من أوربا وأمريكا ، حتى صار أهل سيام يقولون فى حياته إن شولا لونجكورن أعظم ملوكهم .

وهكذا سمعت أنّة الملك يقول — وقلبها يفيض شكراً وتواضعاً — إن الفضل فى المشروعات التى وضعها لترقية مملكته يرجع إلى المبادئ التى بثتها فى أثناء تعليمها له .





إليك المنتجات الحربية التى تصنعها شركة كريزلر فى مصانع ستجهزك بعد الظفر فى الحرب بأفضل ما تتوق إليه فى ميدان السيارات الخاصة وسيارات النقل . — محركات الطائرات ، مدافع مضادة للطائرات ، نقالات الجرحى والمرضى ، أجزاء هيا كل القاذفات ، أصناف متعددة من الذخيرة ، أجنحة القاذفات ، عربات مضادة للدبابات ، بوصلات جيروسكوبية ، سيارات القيادة للاستكشاف ، أجزاء آلات مصنوعة من تراب الفلزات ، دبابات ، محركات دبابات ، مدفئات الخيام ، حاملات الأسلحة ، معدات الإنذار بالغارات الجوية ومكافحة النار ، محركات للسفن وللمصانع ، قاطرات بحرية ، كارى مجهزة للأسطول ، حمالات القنابل ، مطابخ ميدان ، أفران للمعسكرات ، سيارات لنقل الجند ، ضاغطات للتبريد ، وعدد آخر وافر من معدات الحرب لا تزال فى مراحل مختلفة من الصنع والتحسين .

CHRYSLER CORPORATION, EXPORT DIVISION, DETROIT 31, MICHIGAN, U S.A.

Firestone

ينتج للحرب • ويستعد للسلام

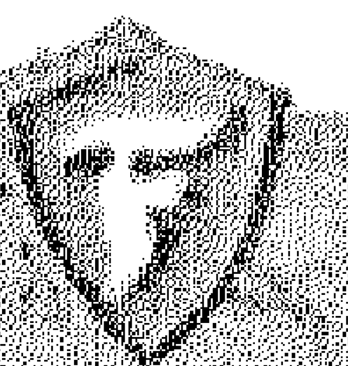
في الحرب كما في السلام قاعدة عملنا هي

الأمن

تخرج من مصانع فايرستون في جميع أنحاء العالم مئات من مواد الحرب المختلفة المصنوعة من المطاط والفلزات والمعادن الكيميائية وقد صممت معظم هذه المنتجات لكي تؤمن حياة المقاتلين .

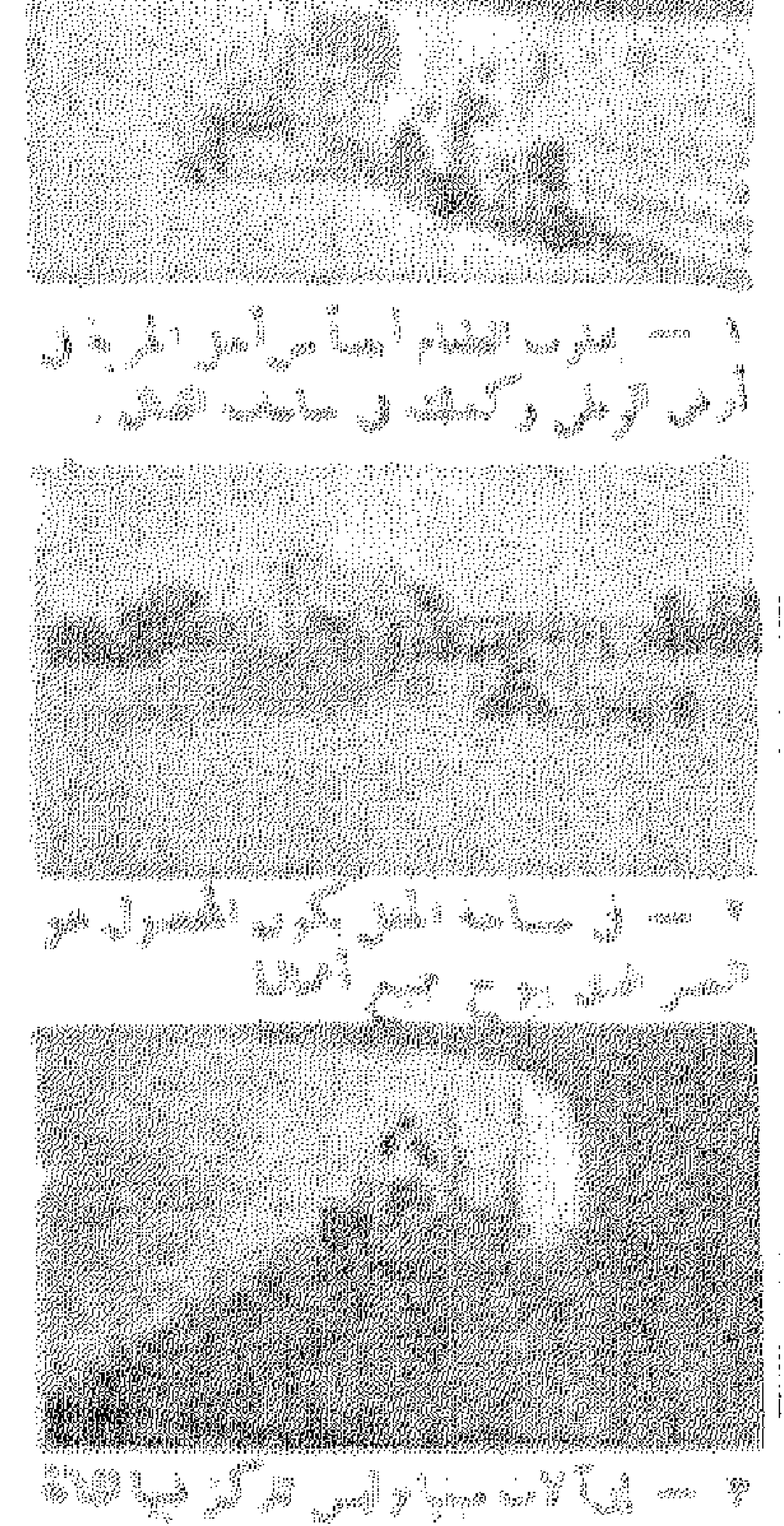
وحماية حياة الناس ليست شيئاً جديداً في تاريخ فايرستون . فإطارات فايرستون لم تزل منذ أربعين سنة تعمل هذا .

وسوف تقف فايرستون جهدها وخبرتها بعد الظفر على أن يصنع ويبيع عدداً أوفر من منتجات زمن السلام فيفضي استعمالها إلى درجة أعظم من الأمن والاقتصاد في عالم الغد ، وإلى هذا الهدف يتجه فايرستون الذي يتأهب للسلام في الحين الذي يكسب فيه الحرب .



فايرستون

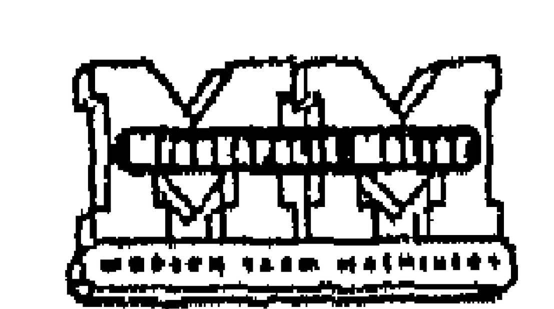




إنّ فلاح العالم يعمل يوماً عظيما طويلا شاقاً . وكذلك جزء من الليـل ، فى وقت الحرب الآن . وعليه أن يقضى ساعات اكثر فى الحقل ليعوض نقص المعاونين والآلات ، إذا كان يريد أن يبلغ أهدافه فى إنتاج الطعام للحرية . وعلى ذلك فنى كثير من الفصول ، نجد الهدوء الذى يعم الأراضى الزراعية ليلا ، يطير شعاعاً من جراء جلبة الجرارات التى فى العمل . وتخترق الظلام فى كل مكان أزواج من أشعة الضوء ، على حين يقوم الفلاح بأكبر عمل ألقى إليه .

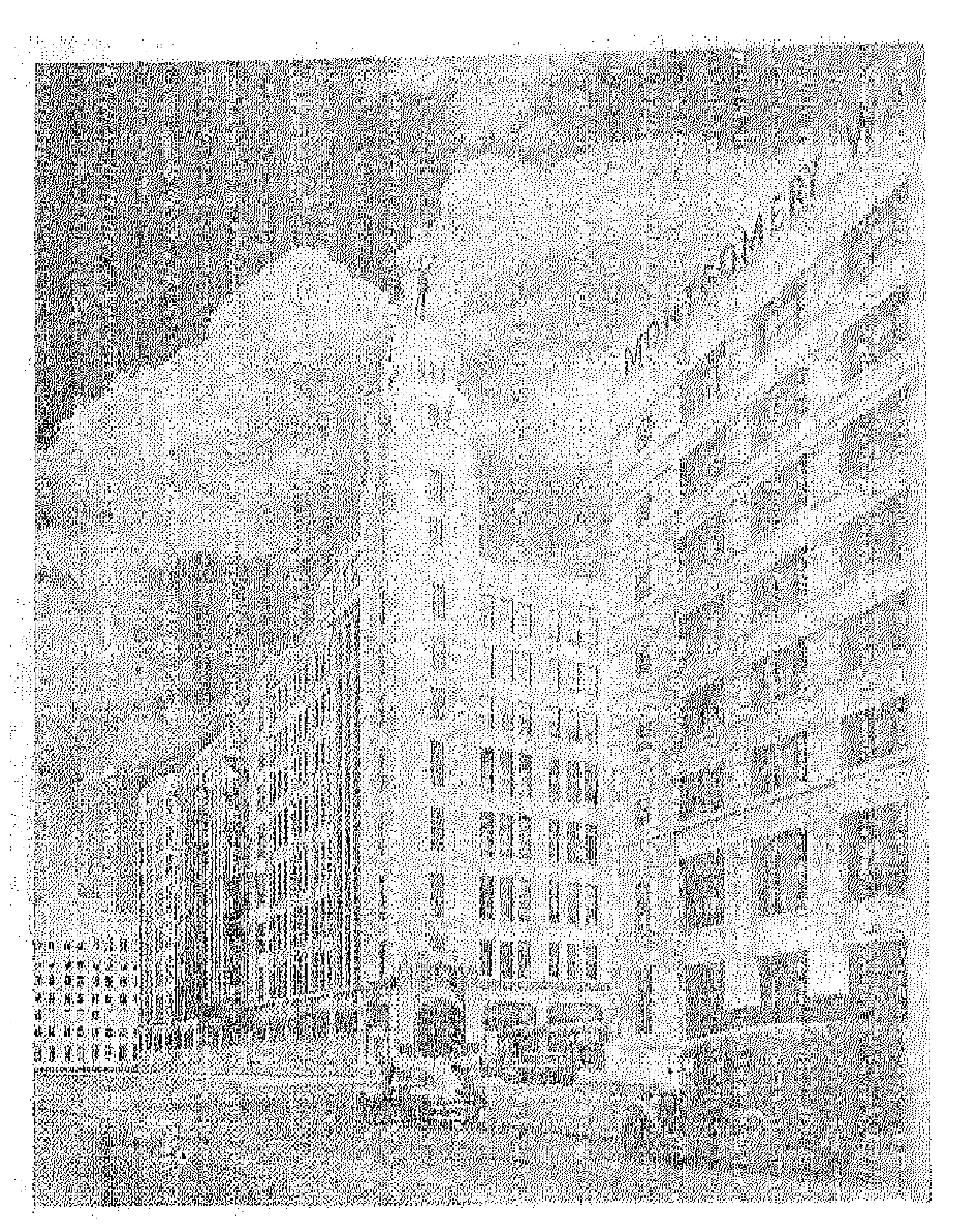
هذه الجرارات التى لا تهبط درجـة حرارتها من جراء العمل ليل نهار والتى تجمع سنوات عديدة من الخدمة فى سنة واحدة ، كثير منها من صنع مينيا بوليس مولين وذلك لأن شركة مينيا بوليس هى الأولى التى وضعت المصابيح الأمامية على الجرارات وبذلك جعلت العمل الليـل فى حيز المستطاع . وهـذا التحسين الذى ينظر إلى المستقبل ، نتج من تقدير مهنـدسى شركة مينيابوليس مولين ، أن الجرار يجب أن يستخدم عدداً معيناً من الساعات كل سنة لكى يستغل استغلالا مجدياً . ثم نظرت إلى زيادة نفعه فكانت مينيابوليس مولين هى الأولى أيضاً التى جهزت الجرار بعربة مقفلة حتى يمكن استعماله فى كل حالة جوية .

وهذان هما إثنان فقط من التحسينات الحديثة العديدة التى مكنت مينيابوليس مولين من أن تقدم أعظم خدمة لإنتاج الطعام خلال الأزمة الحالية .









بعض المنتجات التى نبيعها

معدات كهربائية

أجهزة راديو ، ثلاجات *
أجهزة غسيل ، وكى *
مكانس كهربائية * آلات خياطة *
مكبرات الأصوات *
أجزاء أجهزة الراديو وصمامات *
أفران كهربائية * ، موتورات

أجهزة سيارات

إطارات ، إطارات داخلية ، شموع احتراق
بطاريات ، أجهزة شحن البطاريات
زيت وشحم ، طلاء وشمع

أدوات زراعية

آلات لاستخراج القشدة
جرارات حدائق عربات ملحقة بالسيارات
جهاز كهربائى لحماية السياجات الحديدية

معدات ميكانيكية

آلات إنارة ، محركات بنزين
آلات لخرط الخشب ، معدات للبناء
طلاء ورشاشات طلاء ، أدوات السباكة
مجارف الفحم ، مواقد

متنوعات

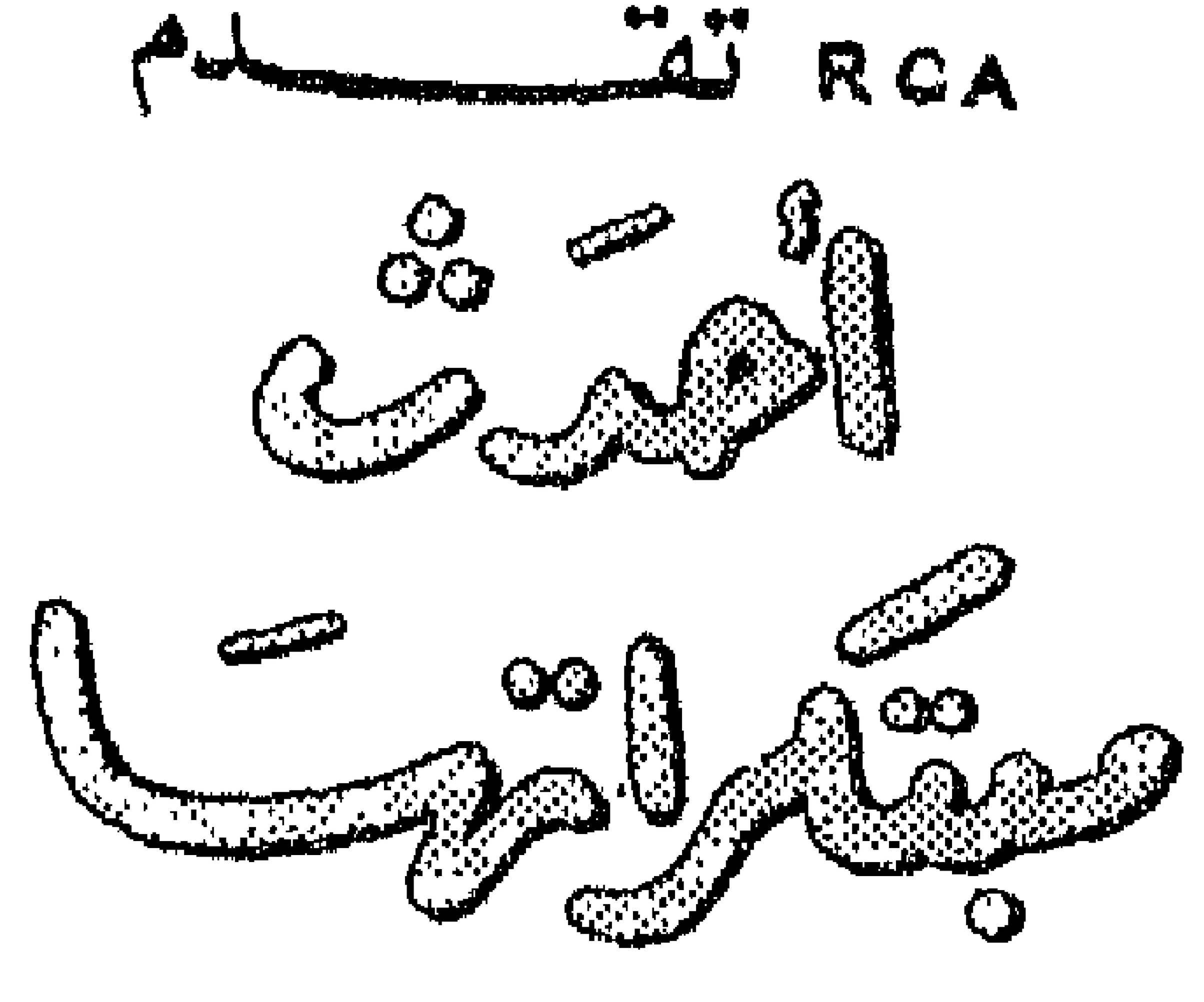
أدوات الرياضة ، ملابس ومنسوجات
معدات المطبخ . آلات موسيقية
حلى ، أدوات كتابة
مواد البناء ، مصنوعات حديدية

* لا تصنع الآن وإنما تعد نماذج منها للشروع فى صنعها فى أول فرصة

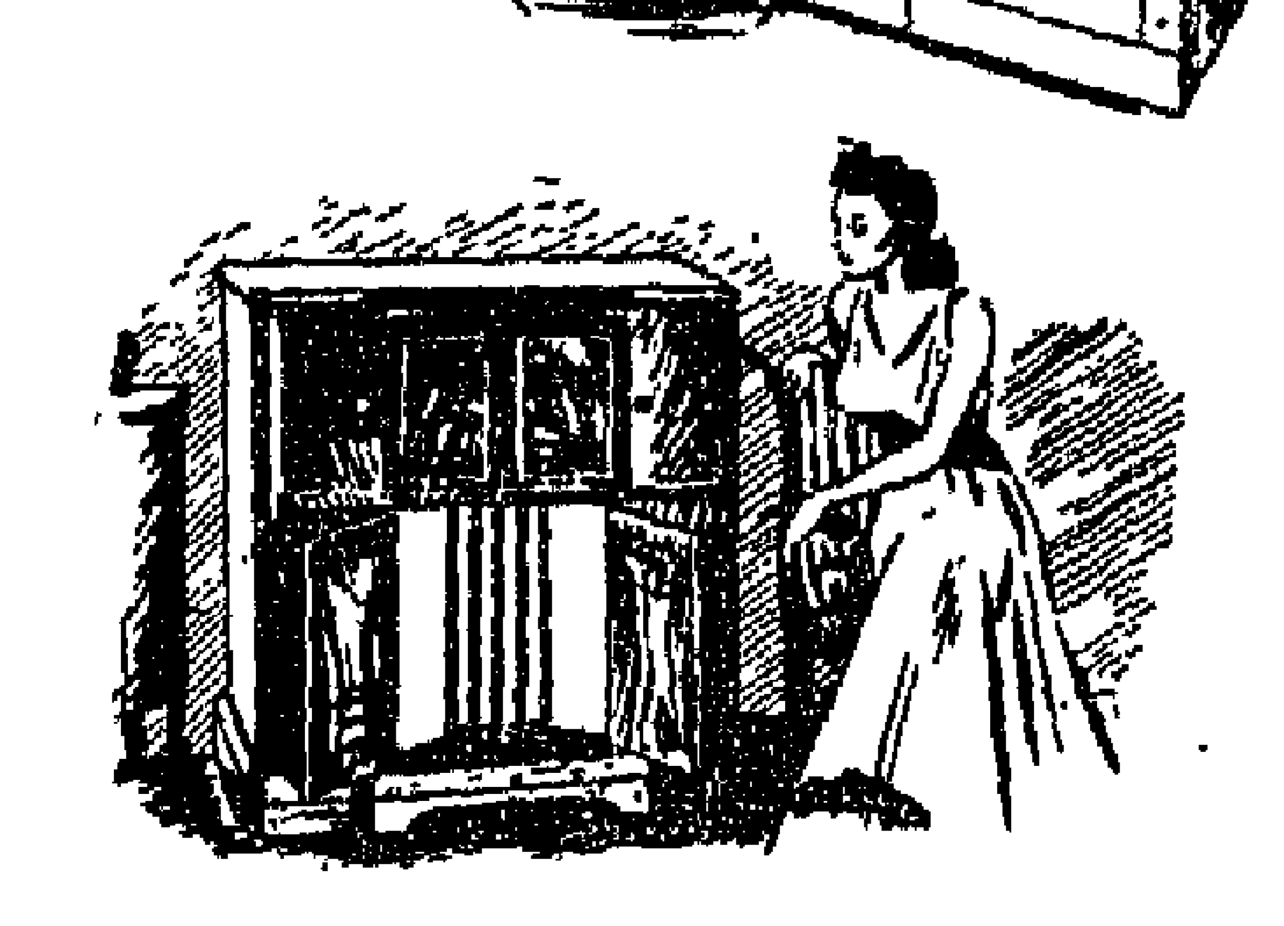
لم يزل المستهلكون منذ نصف قرن يعلمون أن مونتجومرى ورد وشركاه هم دائماً فى الطليعة ومركز للتمون والتزود يمكن الاعتماد عليه دائماً . فالصفقات العظيمة التى تعقدها هذه الشركة التى رأس مالها ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال تمكنها من الإنتاج الاقتصادى الواسع النطاق للبضائع الرئيسية فتظفر بذلك بمنتجات أحسن وأسعار أقل. وشركة ورد تملك بعض المصانع ولها اتفاقات وثيقة فى الإنتاج مع مصانع أخرى وفى كثير من الأحيان ليس لغيرها حق الإصدار إلى أسواق العالم . إن منتجات ورد الكهربائية وأجهزة السيارات والآلات والأدوات لا تباع فى الخارج إلا عن طريق موزعين مساهمين . فاكتب إلينا فى طلب حق التوزيع فى منطقتك . وهناك بضائع كثيرة متفرقة تباع للمستوردين والتجار . اطلب كتالوجاتنا وأسعارنا .



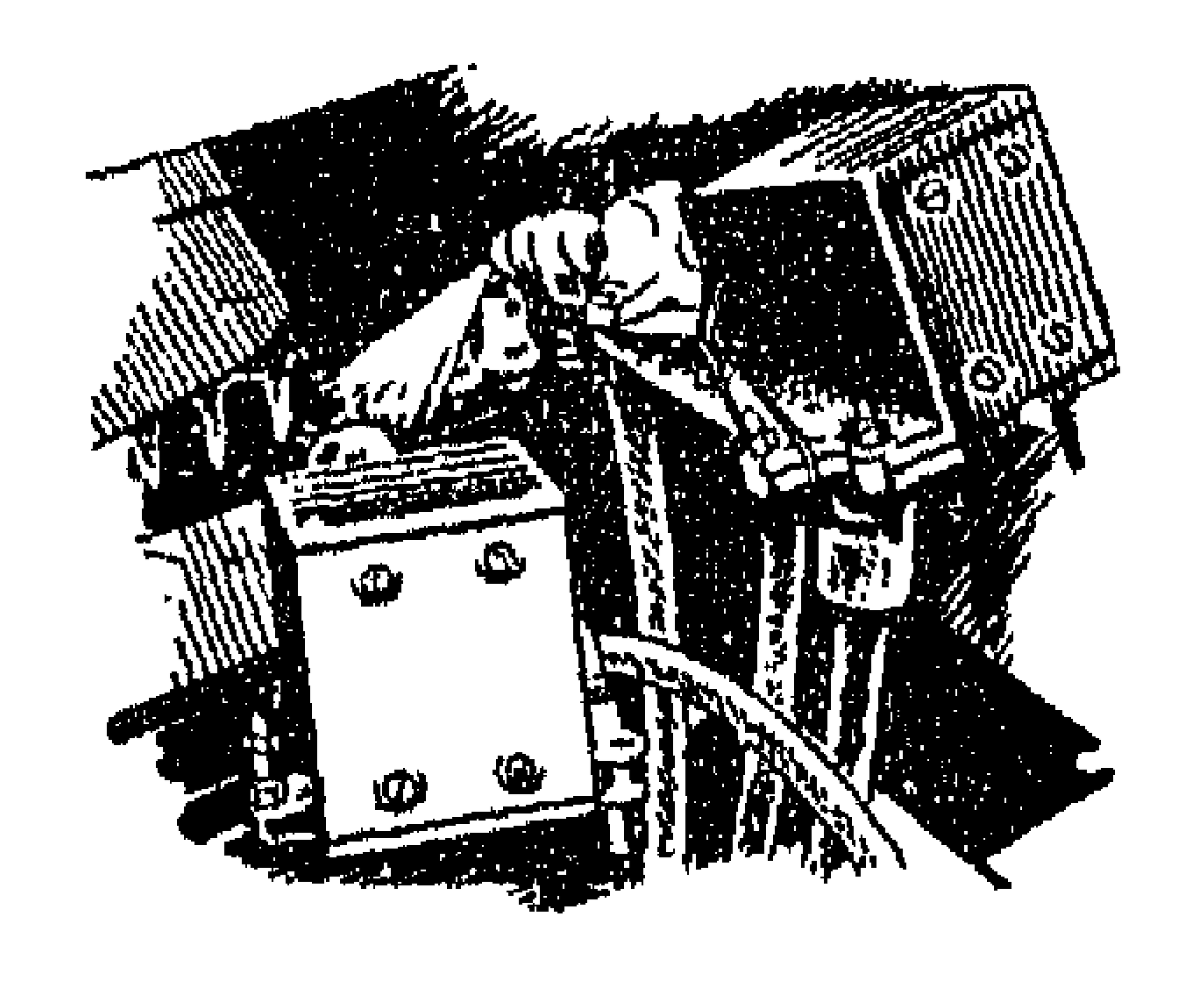
RCA تقـــدم



حلم خبراء الراديو : إن جهاز الاستقبال RCA ذا الموجة القصيرة المتعدد نواحي الفائدة ، هو أتم أجهزة الاستقبال إتقاناً — إذ يمدنا بثلاث صور للإذاعة الواحدة على ثلاثة أسلاك هوائية مختلفة ثم يختار من تلقاء ذاته أجود الثلاث . وبحوث RCA المنقطعة الآن لخدمة قضية الأمم المتحدة ، تعدنا براديو أجود ومنحات أخرى لعالم أفضل ، حينما يأتي السلام .



أعظم أجهزة الاستقبال إتقاناً : هو جهاز RCA QUB . وهو يقدم أقصى ما يمكن تقديمه في عالم الراديو بوساطة صماماته الأربعة والعشرين ومناطقه الموجية التسع ، كما يقدم أجود نوع من إذاعة الاسطوانات بوساطة جهازه الذي يغير عشرين قرص جراموفون تغييراً أوتوماتيكيا بدون أدنى ضعف في الإخراج . وهو يقوم بتسجيل برامج الراديو أو الأحاديث ، ويمكن استخدامه كجهاز فعال للخطب العامة — فمنظره رائع وصوته رخيم ، وهو ذلك النوع من راديو RCA الذي سيتاح لك استخدامه مرة أخرى حين يأتي السلام .



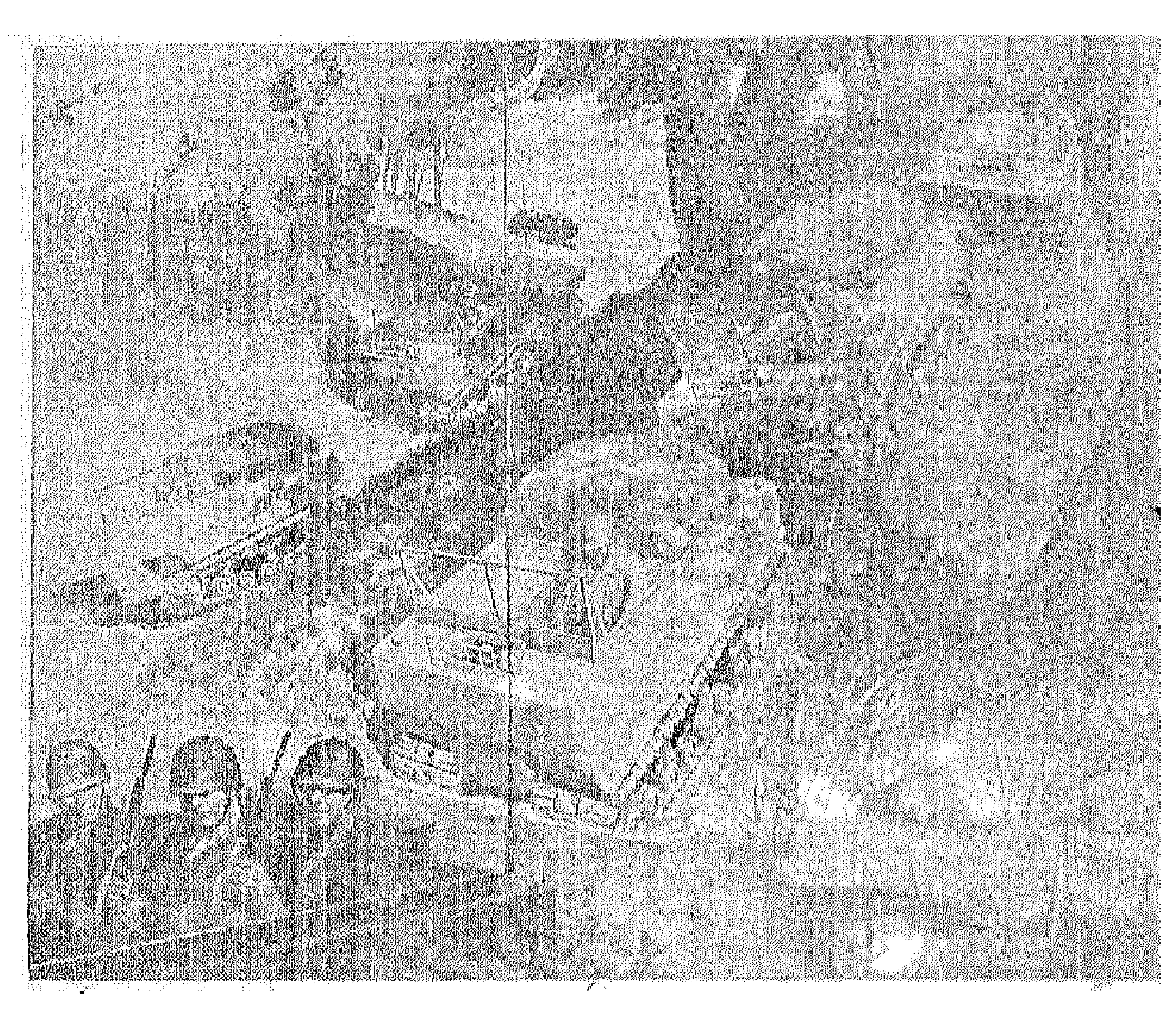
أنبوبة تساعد على طلاء أخرى : في رش الطلاء على أنابيب RCA المعدنية ، يتولى صمام RCA الألكتروني الاقتصاد في الطلاء برشه رشاً أوتوماتيكيا حينما تكون الأنابيب تماماً أمام صنبور الطلاء . وتصنع مئات من صمامات RCA العجائب في الصناعة الحديثة . وهناك صمام RCA خاص لكل غرض !



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة في الراديو .. تليفزيون .. انابيب .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات



بطل جديد فى حرب الغزو
سيارة ستوديبيكر "ويزل"
يصنعها ستوديبيكر ... يحركها محرك ستوديبيكر "شامبيون"

هذه السيارة الجديدة المتعددة المنافع الصالحة لنقل البضائع والأشخاص ، التى أطلق عليها إسم « ويزل » ، وقد وسمها الجيش الأمريكى رسميا بوسم م ٢٩

هى وليدة مكتب البحث العلمى والتحسين ومهندسى وزارة الحربية وستوديبيكر ، ويحركها محرك ستوديبيكر المشهور ، « شامبيون » . وهى تصنع فى مصانع ستوديبيكر بمقتضى عقد مع قسم المهمات لقيادة التموين الحربى .

وهى كاسمها (ويزل يعنى ابن عرس) خفة وسرعة ، فى حركتها الواثقة ، مهما تختلف طبائع الأرض التى تسير فيها — فهذه العربة الجديدة تضيف وحدة كبيرة ثالثة من معدات الحرب ، إلى كشف المصنوعات الحربية التى عهد بها إلى ستوديبيكر وتشمل محركات سيكلون رايت للقلاع الطائرة بوينج ، وسيارات النقل الحربى متعددة القوى — لخطوط التموين والميادين التى تقاتل فيها الأمم المتحدة فى جميع أنحاء العالم .

THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION — South Bend, Indiana, U.S.A.

CABLES : Studebaker, South Bend.

يدور الموزع تحت غطاء سيارتك بسرعة خاطفة وفي درجة حرارة مرتفعة متولياً تنظيم وتوقيت الاشتعال لكل اسطوانة. أتعلم أن التوقيت الصحيح للاشتعال لا يتم إلا اذا كانت أجزاء الموزع المتحركة سليمة من التآكل وأن التزييت الصحيح يؤجل هذا التآكل ؟ ونحن نتولى تزييت الموزع عند كل عملية تشحيم تجرى لسيارتك بالكيفية التي يوصي بها صانعوها أي باستعمال الزيت أو الشحم الصحيح بالمقدار اللازم. فهنالك من الموزعات ما يحتاج الى قطرة أو قطرتين من زيت موبيلويل آركتيك في حين أن البعض الآخر مجهز بمشحمة صغيرة تملأ بشحم مقاوم للحرارة كشحم موبيلجريس نمرة ٥ .. ولكن مهما يكن تصميم الموزع المجهزة به سيارتك فتأكد بأنه سينال أتم العناية عند تشحيمه على طريقة موبيل.
هذه الخدمة الممتازة تقدم في جميع محطات بنزين شركة سوكوني - فاكوم.

تفوق تشحيم "موبيل" على غيره



CR 4954

كتابة جافة بمداد سائل !

باركر "٥١"

أمر لا يعقل – بيد أنه حقيقة واقعة فإن قلم باركر العجيب « ٥١ » وحده يستطيع استعمال هذا المداد السحرى الجديد « ٥١ ». فإنه يجف حال كتابته . ويجعلنا فى غنى عن النشافات . ويمكن مع ذلك استعمال أي مداد لقلم باركر « ٥١ »

إن السن الدقيق فى قلم باركر مصنوع من الذهب عيار ١٤ قيراط . بمنأى عن الهواء والأوساخ ، تسيل كتابته حالما تكتب به . ويطيع أقل بادرة من أناملك .

فعليك بمشاهدة قلم باركر « ٥١ » الجميل بمحل أقلام باركر اليوم . فهو القلم الوحيد من نوعه .

غطاء من ذهب أو فضة — الألوان أسود ، أزرق قاتم ، رمادى ، بنى ، والماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.




طائرة كونستيليشن
صنع لوكهيد
أعظم طائرات النقل سرعة
أطول طائرات النقل مدى
أكبر طائرات النقل حمولة
أسرع طائرات النقل إرتفاعا
وجميع هذه العوامل تجعل طائرة كونستيليشن
أضمن طائرات النقل وأعظمها أمنا
ارتقبوا من Lockheed
كل ممتاز وجديد
..ION, BURBANK, CALIFORNIA U.S.A.



في خدمتك لإنتاج أنقى المواد البترولية
إن وسائل التوزيع الواسعة الانتشار التي تملكها شركة كالتكس تيسر لك التزود بأفضل أصناف البنزين والجاز ومواد التزييت ووقود ديزل وزيوت الوقود ،
فمنتجات كالتكس البترولية تضمن لك خدمة اقتصادية فعالة .
شركة زيت ، كاليفورنيا - تكساس
وموزعوها
CALTEX
كالتكس لإنتاج البترول



ما أكثر ما كتب عن الجرارات القوية التي تمهد الأرض وأعمال البطولة التي يقوم بها رجالها في جيوش الحلفاء. والواقع أن جرارات ديزل كاتربيلار نفسها كانت تتولى القيام بمهام عظيمة كمهامها الحربية زمناً طويلاً قبل أن تنشب الحرب. وهي متأهبة للقيام بمهام أعظم خلال عصر السلام الذي يمتد أمامنا. فليس ثمة جبل مهما يبلغ انحداره ولا صحراء مهما تشتد حرارتها ولا مفازة قطبية مهما يعظم بردها لا تستطيع هذه الآلات المتينة أن تعمل فيها كل ما يطلبه منها الإنسان.

وحين تنتهي الحرب سيوجد من جرارات ديزل وممهدات متحركة ومحركات وأجهزة كهربائية مما تصنعه شركة كاتربيلار كميات أوفر كثيراً من قبل. ولما كانت تصنع في مصانع كاتربيلار فهي تشبه كثيراً في تصميمها ما يستعمل الآن وستكون أقدر وأكفأ في العمل من الآلات التي امتحنها الزمن وجربت في القتال في جميع ميادين الحرب.

CATERPILLAR *DIESEL*

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا، الينوى

سحر الألكترونات!

مهندسو فيلكو يخلقون "عقلاً متفوقاً" يفكر ... يقرأ ... يحسب ... يقيس

تجد بين الخدمات الكثيرة التى أسداها « فيلكو » إلى المجهود الحربى ، هذا العقل الاليكترونى المتفوق . هذا الجهاز العجيب ، الذى يستعمل فيه ١٢٦ صماماً اليكتروياً ، قد حل محل العمل اليدوى المعقد البطىء ، فوفر توفيراً عظيما فى الوقت والمال ، لحكومة الولايات المتحدة .

هذه المأثرة وليدة الحرب ؛ تشير إلى العجائب التى سوف تخرج من عقول وأيدى علماء فيلكو ومهندسيه وصناعه لكى تزيد من رفاهية البشر ويسرهم وحسن حالهم — بعد الظفر .



PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION, 230 Park Avenue, New York, U.S.A.


بشائر القطن المصري
مع بشائر عام السلام المقبل
لقد عانت الشعوب الكثير من المصاعب خلال سنوات الحرب الخمس الماضية ولكن شركة مصر للغزل والنسج ذللت كثيراً من الصعاب . فقد أصبح عليها تبعة توفير الكساء للعدد الأكبر من الشعب فقامت بمهمتها وواصلت مصانعها العمل ليل نهار وقدمت أكبر نسبة من استهلاك البلاد من المنسوجات وهي فخورة بذلك وتتقدم إلى العالم الشرقي بأحسن وأطيب التحيات بمناسبة العام الجديد وترجو أن يكون عام سلام وأمن ورخاء .
وشركة مصر للغزل والنسج ستعمل من الآن لإمكان تلبية الطلبات المتزايدة على منتجاتها من القطر المصري والسودان والأقطار العربية الشقيقة
شركة مصر للغزل والنسج
أكبر مؤسسة للغزل والنسج في الشرق الأوسط
مركزها الرئيسي بالقاهرة
مصانعها بالمحلة الكبرى



كريم جليدر واسكواير

للحلاقة بدون فرشاه

صنعا خصيصاً للرجال الذين عليهم أن يحلقوا كل يوم

اكوافلفا وليامز

أشهر لوسيون بعد الحلاقة في العالم

نقي ، لطيف ، منعش الرائحة

كريم حلاقة وليامز الفاخر

يحتوي على مادة لانولين الملطفة التي تهيء لك

لك حلاقة تامة دون أن تسبب للبشرة أي تهيج

WILLIAMS

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من مائة سنة

شركة ج. ب. وليامز . جلاستونبري ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

لماذا يفضّل الرجال شفرة چيليت في كل قطر

إن مزية الحلاقة الممتازة التى تتصف بها شفرة چيليت ترجع إلى الصناعة البارعة والمعرفة الفنية المتفوقه التى تبذل فى صنعها.

هذه الشفرة — أفضل شفرات الحلاقة — يصنعها خبراء أتيحت لهم جميع الوسائل والأساليب الحديثه، وهم رجال وقفوا حياتهم على اتقان أدق وأصعب الأعمال فى ميدان الصناعة الدقيقة كله.

فى وسعك أن تعتمد دائماً على شفرة چيليت لتظفر بأهون وأسرع حلاقة — وأنظفها كذلك — ممكنة لأى رجل. وسبب ذلك أن هذه الشفرة هى أحدّ الشفرات التى تصنع وحدّاها ادقها سناً.



★ ★ ★ ★

تكرر مآسى الصراع التى يرميها بهم الحاكمون بأمرهم الذين لا يشبعون من السلطة . ولو أننا استطعنا أن ننفى الخوف من المجهول ، ونزيل ما تكدس من سوء التفاهم ، لكننا خلقاء أن نتبين أنه ما من خلاف صحيح فى الرأى لا يمكن الاهتداء إلى تسوية ودية له .

وهذا أحد الأسباب التى تثير اهتمامى الخاص بمجلة ريدرز دايجست ، فإن محرريها يقومون اليوم بنجاح غريب ، بما يشبه سعى الذى حاولت به أن أعمى حسن النية . وهم يتيحون للقراء فى كل قارة ، بفضل طبعات بخمس لغات كبرى ، أن يطلعوا على حياة الأمة الأمريكية — كما هى مصورة فى مقالات يقرأها الأمريكيون أنفسهم .

وقد أتيح لى ولزوجتى حديثا أن نسعد بزيارة مكاتب الدايجست فى بليزانتفيل ، وأن نقابل بعض المحررين الذين يصدرون هذه المجلة التى هى أوسع مجلات العالم انتشارا ، وقد انصرفت وأنا عميق التأثر بالمثالية العملية العميقة التى ظلت رائد الريدرز دايجست مذ ظهرت . فههنا طريق يبشر أقوى بشرى بالوصول إلى تفاهم ودى وطيد بين أبناء الأمم فى العالم طرا .

وأحسب أن بريطانيا وأمريكا قد تعلمتا أن تفهم إحداهما الأخرى خيرا مما كانتا تفعلان من قبل ، فى خلال هذه الزمالة الوثيقة فى القتال المستميت ضد الأعداء المشتركين . وإنى لأرجو أن تتعاونا بنفس الحصافة والإيثار فى السلام المقبل ، كما تعاونتا فى الحرب الحاضرة ، وأن تعززا إلى الأبد أداة مشتركة لحل المسائل الدولية . فإنه على طريق التعاون والفهم ينبغى أن تسير عقول الإنسانية ، إذا أريد أن نصل — ويجب أن نصل — إلى عالم يسود فيه السلام الدائم بين ذوى النية الحسنة من الناس .

في سبيل السلام بين الأخيار

بقلم صاحب السمو الملكي الدوق أوف وندسور

لو كتب لى أن أطوف فى العالم أكثر مما طوّفت إلى الآن ، ولما كنت خليقا أن أمل ملاقاة ناس جديدين . وإن ذكرياتى لصورة غاصة بالمناظر المتغيرة للناس : لجندى جريح يصعد طرفه من الموضع الذى سقط فيه إلى جانب طريق متوحل فى الفلاندر ، ومعدن إنجليزى فى منجم فحم قدم إلىّ قدحا من الشاى الساخن ، وصياد محار يعفى من أهل ميريلاند ، وعامل مستترق فى مجاهل الأمازون ، وقناص بقر مديد القامة قرب كالجارى فى كندا — رجال ونساء من خمسين أمة ولغة لا يشبه واحد منهم الآخر .

على أن أوضح ما وقع فى نفسى لم يكن الاختلافات بين الناس الذين لقيتهم فى أرجاء العالم السحيقة ، بل أن بينهم عددا مدهشا من الأشياء المشتركة — مشاكل ومسرات ، وغايات ومثل عليا . وقد وقعت من نفسى على الخصوص الاستجابة الودية التى أظهرها الجمهور الأكبر من الرجال والنساء بمجرد تفطنهم إلى اهتمام الغريب بهم ، فينتفى التكلف ويتبدّى الإخلاص .

لقد أثبتت لى تجربتى فى سعيي لإنماء المودة لبريطانيا العظمى فى بلاد الأرض ، إثباتاً لا يرتقى إليه الشك ، أن معظم الأمم كمعظم الناس ، تبغى أن تكون على ود . والإنسان فى كل مكان يمقت الحرب ، ويستفظع

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية